جامعة القدس المفتوحة

كلية الدراسات العليا والبحث العلمي

برنامج ماجستير اللغة العربية و آدابها

الأسلوبية البنيوية في القرآن الكريم
" السماء ، الأرض ، الجبال أنموذجاً"

إعداد الطالبة : سناء محمد أحمد دراغمه

الرقم الجامعي : 0330011510031

إشراف : أ . د عمر عتيق

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير من كلية الدراسات العليا والبحث العلمي/ جامعة القدس المفتوحة في برنامج اللغة العربية وآدابها.

2019/2018

فلسطين

جامعة القدس المفتوحة

كلية الدراسات العليا والبحث العلمي

برنامج ماجستير اللغة العربية وآدابها

الأسلوبية البنيوية في القرآن الكريم
" السماء ، الأرض ، الجبال أنموذجاً"

إعداد الطالبة : سناء محمد أحمد دراغمه

الرقم الجامعي : 0330011510031

إشراف : أ . د عمر عتيق

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير من كلية الدراسات العليا والبحث العلمي/ جامعة القدس المفتوحة في برنامج اللغة العربية وآدابها

2019/2018

فلسطين

الإقرار

أنا الموقعة أدناه مقدمة الرسالة الموسومة

بـ " الأسلوبية البنيوية في القرآن الكريم "السماء، الأرض ، الجبال أنموذجاً"

أقر بأن مضمون الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص ، باستثناء الاقتباسات والإشارات الواردة في الحواشي ، وأن الرسالة لم تقدم من قبل للحصول على درجـة علمية أو بحث علمي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis , unless otherwise referenced , is the researcher's own work , and has not been submitted elsewhere for any other

degree or qualification.

اسم الطالبة : سناء دراغمه **Students name :**

التوقيع : **Signature :**

التاريخ : 2019/1/28 م **Date :**

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة (الأسلوبية البنيوية في القرآن الكريم " السماء ، الأرض ، الجبال أنموذجاً ")

و أجيزت بتاريخ 2019/1/28 .

أعضاء لجنة المناقشة

1- أ . د عمر عتيق (رئيساً). التوقيع .....

2- د. حسن أبو الرب (ممتحناً داخلياً). التوقيع .....

3- أ . د . خليل عوده (ممتحناً خارجياً). التوقيع .....

جامعة القدس المفتوحة

كلية الدراسات العليا

(تفويض)

أنا سناء محمد أحمد دراغمه،أفوض جامعة القدس المفتوحة بتزويد المكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص بنسخ من رسالتي عند طلبها، بما يتفق وتعليمات الجامعة .

اسم الطالبة : سناء دراغمه .

التوقيع : .

التاريخ :2019/1/28 م .

الإهداء

إلى أرض الإسراء ..... إلى فلسطين

إلى مسرى الشريف الهادي ..... إلى الأقصى

إلى اللآتي نسجن لنا الفرح من حرير الانتظار ..... إلى أمهاتنا

إلى الذين علمونا الرجولة في أشواك الظلام ..... إلى آبائنا

إلى من تجري دماؤنا في عروقهم ..... إلى إخواننا

إلى كل من علمنا حرفاً ..... إلى معلمينا

شكر و تقدير

اللهم لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً ، أحمدك ربي وأشكرك على إتمام هذا البحث على الوجه الذي أرجو أن ترضى به عني.

يَسرُّني أن أتوجه بخالص شكري وعظيم امتناني إلى من رعاني طالبة في برنامج الماجستير، إلى أستاذي ومشرفي الفاضل البروفوسور الدكتور : عمر عتيق ، الذي له الفضل - بعد الله تعالى - مذ كان الموضوع عنواناً وفكرةً إلى أن صار رسالة وبحثاً. فكان نعم الموجه والمرشد ، بعلمه وإخلاصه ورفقه ورعايته ، فلم يألُ جهداً ، ولم يوفر وقتاً إلا أفدت منه ، فتعلمت على يديه البحث الجاد ، والإخلاص والأمانة في النقل ، حتى خرجت هذه الرسالة بشكلها الذي بين أيديكم ، أطال الله عمره عالماً ومعلماً .

وأتقدم بشكري الجزيل إلى أساتذتي الموقرين في لجنة المناقشة رئاسة وأعضاء لتفضلهم علي بقبول مناقشة هذه الرسالة ، فهم أهل لسد خللها ، وتقويم معوجها والإبانة عن مواطن القصور فيها ، سائلاً الله الكريم أن يثيبهم عني خيراً.

والشكرموصول لموظفيَ مكتبة جامعة النجاح الوطنية ، ومكتبة جامعة القدس المفتوحة ، وإلى موظفي مكتبة بلدية نابلس لما قدموه من عون .

وجزى الله الجميع خير الجزاء

الأسلوبية البنيوية في القرآن الكريم
" السماء ، الأرض ، الجبال أنموذجاً "

إعداد
سناء محمد أحمد دراغمه
إشراف
أ . د عمر عتيق

الملخص

يأسرني القرآن الكريم لغة وأسلوباً ودلالة كلما قرأت فيه، لما فيه من الإعجاز الفائِق ، والبيان البليغ ، فالقرآن الكريم منهج لجميع مجالات الحياة .

تهدف الدراسة إلى رصد التحولات الدلالية للظواهر الكونية الكبرى (السماء والأرض والجبال أنموذجاً) وفق منظور أسلوبي بنيوي يدرس التحولات من سياق البناء والإحكام والاستقرار والثبات ، إلى سياق الهدم والتشقق والتغير والزوال . وتسير الدراسة وفق نسق بنيوي إذ تتوزع الفصول الثاني والثالث والرابع على مبحثين يشكلان ثنائية دلالية مؤسسة على البناء والهدم .

بدأت الدراسة بتمهيد يعرض مفهوم الأسلوبية البنيوية ، وأنواعها ، وجاءت موزعة على أربعة فصول ، على النحو الآتي :

1. **الفصل الأول:يقدم صورة السماء والأرض والجبال في المعتقدات والفكر الأسطوري.**
2. **الفصل الثاني: يدرس تحول صورة السماء من سياق البناء والإحكام (الفتق ، السمك ، الحبك ، الرجع ، ...) إلى سياق الهدم والتشقق والانفطار والطي ، ويجسد هذا التحول ثنائية بنيوية كبرى تشكل ظاهرة أسلوبية تتضمن بعداً دلالياً وجمالياً وإعجازياً .**
3. **الفصل الثالث: يدرس التحولات الدلالية في صورة الأرض من منظور بنيوي من سياق الاستقرار والثبات في الدنيا إلى سياق مغاير ناجم عن مشاهد يوم القيامة ، وتشكل التحولات الدلالية لصورة الأرض ثنائية الاستقرار والتغير .**
4. **الفصل الرابع: يتناول التحول الدلالي في صورة الجبال المتمثل بثنائية الثبات (الرسوخ) و(الزوال) ، وهي ظاهرة أسلوبية تتوزع على مشاهد بدء خلق الأرض واستقرارها، ومشاهد القيامة التي تبدو فيها الجبال سراباً وعهناً منفوشاً ، وكثيباً ....الخ .**

وأخيراً أنهَيتُ بخاتِمة أوجَزتُ فيها نَتائج البَحث، وما تَوَصَلتُ إليه من مُلاحَظات رأيتُ أنها قَريبة من الصَواب .

Abstract

The Holy Qur'an captivates me in its language, style, and significance every time I go through it, as the astounding miracles and rhetoric language included within, for the Holy Qur'an is a way of life and its aspects.

The study aims to observe the major cosmic transformation (the Sky, Earth, and Mountains); in correspondence to a structural perspective that studies the transformations from the context of structure, precision, and stability to deconstruct, imprecision, and instability. The study progresses according to structural layout as the following 2nd, 3rd, and 4th chapters are distributed on two subjects, which constitutes the duality establishment of structuralism and deconstruction.

The study proceeds by a prefacing that views the concept of structuralism and its types. Its chapters were divided by 4 chapters accordingly:

1st chapter: Presents the image of Sky, Earth, and Mountains in the beliefs and culture of humans.

2nd chapter: Studies the transformation of the image of Sky throughout the layout of Structuralism and Precision (rupture, thickness, crochet, revert) to the layout of Deconstruction (crack, split, collapse) this transformation embodies a stylistic cosmic duality which forms a phenomenon holding an indicative, aesthetic, and miraculous dimension

3rd chapter: Studies the indicative transformation in the image of Earth throughout a structural perspective from the context of stabilization in life to its opposite context, which came to be due to the scenery of Judgment Day, and the forming of these indicative transformations for the image of Earth duality, stability and alteration.

4th chapter: Takes the indicative transformation in the image of Mountains which is embodied in the duality of stability (solidity, and demise). It is a stylistic phenomenon that is distributed on the scenery of Earth's creation and its stability, and the scenery of Judgment Day, in which mountains are nothing, but a mirage, carded wool, and sand dunes.

Finally, I end this in a conclusion that summarizes the results of this research, and the observation that I've reached, I found they are close to being right.

Keywords: Stylistic, Structural, Earth, Sky, Mountains, Structure,Deconstruction.

المُقَدِّمة

الحَمْد الله رَب العالمين ، والصلاة والسلام على النبيّ المُصطفى الأمين ، وعلى آله وصَحْبه أجمَعين ، ومن تَبِعَهُم واقتَفى أثَرَهم بإحسانٍ إلى يَوم الدين أما بعد :

تَكمُن أهمية الدِّرَاسَة في إضافتها جوانب بلاغية لم تعطها الدراسات البلاغية القرآنية حقها ، فترصد الدراسة الفضاء اللغوي لثلاث ظواهر كونية كبرى ، وهي الأرض والسماء والجبال . وتعاين التحولات الدلالية للظواهر الثلاث وفق منظور أسلوبي بنيوي ، يدرس تحول صورة السماء من سياق البناء والإحكام (الفتق ، السمك ، الحبك ، الرجع ، ...) إلى سياق الهدم والتشقق والانفطار والطي ، ويجسد هذا التحول ثنائية بنيوية كبرى ، تشكل ظاهرة أسلوبية تتضمن بعداً دلالياً وجمالياً وإعجازياً . وكذلك التحولات الدلالية في صورة الأرض التي تتحول من منظور بنيوي من سياق الاستقرار والثبات في الدنيا إلى سياق مغاير ناجم عن مشاهد يوم القيامة ، وتشكل التحولات الدلالية لصورة الأرض ثنائية الاستقرار والتغير . أما التحول الدلالي في صورة الجبال فهي تمثل بثنائية الثبات (الرسوخ) و(الزوال) . وهي ظاهرة أسلوبية تتوزع على مشاهد بدء خلق الأرض واستقرارها ، ومشاهد القيامة التي تبدو فيها الجبال سراباً وعهناً منفوشاً ، وكثيباً...الخ .

منهج البحث

اعتَمَدَت الدِّرَاسَة المَنهج الأسلوبي البنيوي الذي يعتني بمعاينة الثنائيات الدلالية ، وتأثيرها على المتلقي ، وقدرتها على الوصول إلى البنية العميقة للنص المدروس .

أسئلة الدراسة

1- ما التحولات الدلالية للظواهر الكونية الكبرى (السماء والأرض والجبال) ؟

2- ما الأبعاد البلاغية للتحولات الأسلوبية البنيوية ؟

3- كيف تؤثر دلالة الثنائيات البنيوية على المتلقي ؟

4- كيف يكون دور للسياق في تعزيز التحولات الدلالية ؟

5- هل يمكن فتح آفاق جديدة في فهم النص القرآني ؟

أهداف الدراسة

1- رصد التحولات الدلالية للظواهر الكونية الكبرى (السماء والأرض والجبال) .

2- الكشف عن الأبعاد الدلالية للتحولات البنيوية .

3- تأثير دلالة الثنائيات البنيوية على المتلقي .

4- الكشف عن دور السياق الأكبر في تعزيز التحولات الدلالية .

5- فتح آفاق جديدة في فهم النص القرآني .

الدراسات السابقة :

لم تجد الباحثة دراسة واحدة متخصصة بموضوع البحث . فالدراسات أو الرسائل العلمية التي عالجت الظواهر الكونية اقتصرت على جوانب لغوية وبلاغية ، لم تتنبه إلى المنهج البنيوي ، نحو : رسالة ماجستير موسومة بـ " صورة السماء والأرض في القرآن الكريم (دراسة بلاغية) إعداد : نوال علي عبد الرحمن خضر بإشراف الأستاذ الدكتور خليل عودة ، جامعة النجاح الوطنية _ فلسطين عام 2011م . وقد حفلت الدراسة المذكورة بمعالجة قضايا بلاغية كالتشبيهات والاستعارات والكنايات وهي مكونات الصورة البلاغية في هذه الدراسة . كما أن كتب التفسير التي عرضت لصور السماء والأرض والجبال اقتصرت على شرح لغوي دون الوصول إلى البنية العميقة . وغابت في كتب التفسير منهجية الربط بين مكونات صور الظواهر الكونية الثلاث في القرآن كله ، فبدت صور الظواهر الكونية منعزلة عن سياقها الكلي .

مضمون فصول البحث

يَعرض التَمهيد أبرز مبادئ الأسلوبية وإجراءاتها في تحليل النص ، ويتوقف على الأسلوبية البنيوية مبيناً الفرق بينها وبين الأنواع الأخرى للأسلوبية .

أما الفصل الأول فحمل عنوان صورة السماء والأرض والجبال في المعتقدات والثقافات الإنسانية وقسمته إلى مَبحثين: تحَدَثت في الأول عن صورة السماء والأرض والجبال في الفكر الأسطوري (والأسطورة السومرية ، والأسطورة البابلية ، والأسطورة المصرية ، والأسطورة

العربية ، والأسطورة الزرادشتية)، و في المَبحث الثاني تحَدَثت عن صورة السماء والأرض والجبال في التوراة والإنجيل .

واختص الفصل الثاني بصورة السماء في القرآن الكريم ، وقسمته إلى مبحثين : تناولت في المبحث الأول البناء والإحكام، فتحدثت عن (رتق السماء وفتقها ، والسماء دخان ، وبناء السماء ، ورفع السماء ، وطرائق السماء ، والسماوات الطباق والسماء الحبك ، وتزيين السماء) ، وفي المَبحث الثاني تحَدَثت عن هدم السماء وانشقاقها فتناولت انفطار السماء ، ومور السماء ، وفتح السماء ، وكشط السماء ، وطي السماء .

وتناول الفَصل الثالث صورة الأرض في القرآن الكريم ، وقسمته إلى مبحثين : تناول المبحث الأول استقرار الأرض وثباتها (خلق الأرض ، بسط الأرض ، مدّ الأرض ، فرش الأرض ، الأرض المهاد ، سطح الأرض، دحو الأرض، همود الأرض وخشوعها ، تصدع الأرض ، نقصان الأرض) وتناول المبحث الثاني تغير معالم الأرض في مشاهد يوم القيامة (زلزلة الأرض ، دك الأرض).

وعاين الفصل الرابع صورة الجبال في القرآن الكريم، وقسمته إلى مبحثين : تناول المبحث الأول ثبوت الجبال ورسوخها (ثبوت الجبال بالأوتاد، الاستقرار والسكن في الجبال ، تسبيح الجبال وخشوعها ، حركة الجبال ، صفات الجبال وألوانها) ، وتناول المبحث الثاني حركة الجبال ونسفها (الجبال السراب، تسيير الجبال، دك الجبال، نفش الجبال ، بس الجبال ، الجبال الكثيب المهيل، ونتق الجبال) ، وعاينت في الفصول الثلاثة السابقة التحولات الدلالية

للظواهر الكونية وفق منظور أسلوبي بنيوي يدرس التحولات من سياق البناء والإحكام والاستقرار والثبات ، إلى سياق الهدم والتشقق والتغير والزوال .

وأنهيت البحث بخاتمة ، عرضت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها ، ثم تلاها المصادر والمراجع التي أفدت منها في دراستي .

صعوبات إنجاز البحث

كانت مسيرةُ هذا البحث ، على صعوبتها ومخاوفها ، شيّقة جديرة بالدراسة ، واجهها عدد من العوائق والصعوبات، لكونها بكراً في مجالها، بالإضافة إلى الرهبة والحذر في أثناء تحليل النص القرآني خوفاً من الوقوع في الخطأ ؛ واقتضى هذا الأمر مني سعة الاطلاع ، وألزمني الجهد الدؤوب ، تنفيذاً لتوجيهات الأستاذ المشرف الذي لم يدخر جهداً في مدّ يد العون في التصحيح والإرشاد والتوجيه ، وأنا ممتنة له على جميل عنايته ورحابة صدره وصبره .

ولا أزعم كمال بحثي، وحسبي أنني تحديت الصعاب، وبذلت ما استطعت ، لعله يكون خطوة في طريق الباحثين المتأملين والمتدبرين لآيات الذكر الحكيم .

تمهيد

تشكل الظواهر الأسلوبية في القرآن الكريم حافزاً و تحدياً للباحثين في جماليات النص ، ومجالاً رحباً لتطبيق نظريات التحليل من حيث التلقي والسياق . ويختلف التحليل الأسلوبي باختلاف مدخل التحليل فقد " يكون المدخل بنيوياً ، بمعنى أن الانطلاق فيه يكون من مباني المفردات وتراكيب الجمل ، وأشكال النصوص وهندسة الآثار الأدبية ، أو يكون المدخل دلالياً ينطلق فيه المحلل الأسلوبي من صور معانيه الجزئية وموضوعاته الفرعية ، وأغراضه الغالبة ، ومقاصده العامة ، وأجناسه المعتمدة ، كما قد يكون المدخل بلاغياً ينطلق فيه من الظاهرة الأسلوبية ، أو مجموعة الظواهر المستخدمة ، كما قد يكون الدخول إليه من الباب التقني ، فتعتمد فيه المقارنة ، أو الموازنة أو التقنيات القياسية أو الإحصاء "[1].

ويتصف المنهج الأسلوبي بالمرونة والانفتاح، فالأسلوبية ليست منهجاً مغلقاً ، ولكن انفتاحها ومرونتها لا تعني ذوبانها في مقولات المناهج الأخرى ، فهي منفتحة ومستقلة في الوقت نفسه ، فحينما تنفتح على المنهج البنيوي – مثلا – فإنها تمتص ، أو تستمد منه بعض الإجراءات في التحليل وخاصة الثنائيات الضدية . ويؤدي هذا الانفتاح إلى تشكيل طريقة

1- الطرابلسي ، محمد الهادي : تحاليل أسلوبية . ط1 ، دار الجنوب للنشر ، تونس ، 1992 ،ص 9 .

جديدة في التحليل الأسلوبي أسماها النقاد " الأسلوبية البنيوية " [1]. وتقتضي الدراسة معاينة أبرز مكونات الإطار النظري للأسلوبية ، والأسلوبية البنيوية .

مفهوم الأسلوبية :

حرص النقاد على تأصيل مفهوم الأسلوبية التي ظهرت في النقد الغربي في القرن العشرين ، و" على الرغم من أن الدراسات النظرية للأسلوبية تركز على المقولات النقدية الغربية ، إلا أن جذور الأسلوبية تضرب في أعماق التراث البلاغي العربي"[2]، ولا يمكن أن نغفل تأثير الدراسات اللسانية الحديثة ، وخاصة عند سوسير، في نشأة الدراسات الأسلوبية ، ثم جاء بالي ليضع الأسس الأسلوبية الأولى " فالأسلوبية وليدة رحم علم اللغة الحديث " [3].

والأسلوبية عند ريفاتير علم يوضح الخواص البارزة التي تتوافر لدى المرسل ؛ والتي يؤثر بها في حرية التقبل لدى المتلقي ؛ بل إنه يفرض على هذا المتلقي لوناً معيناً من الفهم والإدراك" [4] ، فالأسلوبية " تهتم بالنص وتدرسه من الداخل لكشف طبيعة العناصر اللغوية التي نظمت في نسق واحد متآلف، بمعزل عن ربط هذه العناصر بسياقات خارجية ، فالأسلوبية تقرأ النص قراءة داخلية ؛ لاستخلاص سماته الإيجابية والجمالية من خلال

---

1. ينظر على سبيل المثال : حمداوي ، جميل : اتجاهات الأسلوبية ، ص 15 . حنيفة ، بداش ، الأسلوبية الوظيفية وموقعها في كتاب البيان في روائع القرآن لتمام حسان (رسالة ماجستير) ، إشراف : دوب راجح ، جامعة منتوري (الجزائر) ، 2008 . السد ، نور الدين : الأسلوبية وتحليل الخطاب . دط ، دار هرمة ، الجزائر ، 1997 ، ج1 ، ص 82 .
2. عتيق ، عمر : علم البلاغة بين الأصالة والمعاصرة . ط1 ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، الأردن – عمان ، 2012م ، ص 307 .
3. أبو العدوس ، يوسف : الأسلوبية الرؤية والتطبيق . ص 41 .
4. عبد المطلب ، محمد : البلاغة والأسلوبية . ط1 ، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان ، 1994 م، ص 212 .

صياغاته اللغوية ، ومن ثم فإن لكل نص خصوصية معينة ، تختلف عنها في نص آخر ، فالأسلوبية ليست عملية تفسير فقط ، وهي ليست منهجاً يأتينا بما لا نتوقع ، وإنما هي نظرة جمالية تتخلق من خلال الصياغة "[1].

" تنطلق الأسلوبية من مجموعة من المبادئ في تحليل النص الأدبي ، نحو مبدأ الاختيار الذي يعني أن المنشئ يختار لفظاً دون غيره من الألفاظ المناظرة للفظ المختار ، أو يختار أسلوباً محدداً دون غيره من الأساليب ؛ لاعتبارات سياقية ونفسية ، ومبدأ المحور الأفقي الذي يعني التفاعل الدلالي بين الألفاظ المتجاورة . ومبدأ الانحراف أو الإنزياح الذي يعني خروج المنشئ عن المعيار اللغوي بما يسمح به نظام اللغة " [2].

ارتبطت نشأة الأسلوبية من الناحية التاريخية ارتباطاً واضحاً بنشأة علوم اللغة الحديثة ، فاستفادت من تطور الدرس اللغوي ، فالأسلوبية " مدخل لغوي لفهم النص ، فبدأ تاريخ علم اللغة الحديث بفرديناند دي سوسير الذي أظهر علم اللسانيات حيث يعزى إليه التفريق بين اللغة والكلام "[3].

نستطيع القول وفق ما صدر من الدراسات المعاصرة " إن الأسلوبية هي الوريث الشرعي للبلاغة القديمة ، من حيث إعطاء البيانات المتكاملة للصورة الجمالية في الفن الإبداعي ،

1. أبو العدوس ، يوسف : الأسلوبية الرؤية والتطبيق . ص71.
2. عتيق ، عمر : علم البلاغة بين الأصالة والمعاصرة . ص 307 .
3. أبو العدوس ، يوسف : الأسلوبية الرؤية والتطبيق . ص 41 .

وطرائق توزيعها . ويأتي هذا التوجه في إطار فلسفة الخطاب ، باعتبارها جزءاً مهماً من فن القول ، وتكنيك الإقناع ، والإمتاع "[1]. فلغة الخطاب تعطي دلالات متعددة للنص .

أهمية الانزياح في الدراسة الأسلوبية :

اهتمت الدراسات النقدية والبلاغية الحديثة بظاهرة "الانزياح " ، و" استخدم القدماء مصطلحات أخرى للدلالة على مخالفة الاستعمال العادي للغة ، فترددت عندهم مصطلحات " العدول ، والغرابة ، والتغيير ، والتخييل ، والكذب ، والتجوز ، وإعمال الحيلة ، ومنافرة العادة ، والخروج عن مقتضى الحال " [2] ، واستطاعت هذه المصطلحات أن تستوعب مفهوم الانزياح الذي قامت عليه الدراسات الأسلوبية الحديثة . وعند التأمل بهذه المصطلحات ومعانيها ندرك وعي النقاد والبلاغيين القدامى في أساليب الشعراء الذين كانوا يحاولون دائماً شد انتباه المتلقي ، وابهاره في تفانين شعرهم ، وتعدد شروحات ومصطلحات هذه الظاهرة " يشير إلى مدى أهمية ما تحمله هذه المصطلحات من مفهوم ، وفي الوقت نفسه يشير إلى أن مصطلح الانزياح غير مستقر " [3].

فالانزياح يشكل منبهاً ذهنياً للمتلقي ، ويضاعف اليقظة نحو دلالة ما " فالخروج عن قواعد اللغة انزياح متعمد نابع من تمسك الشاعر بالحرف دون غيره ، وبالكلمة دون غيرها ، على

---

1. عبد الجليل ، عبد القادر : الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية . ط1، دار صفاء للطباعة والتوزيع ، عملن ، 2002 م ، ص133 .
2. ينظر ، ربايعة ، موسى : الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها .دط ، دار الكندي ، الكويت ، 2003 م ، ص 51 .
3. الخرشة ، أحمد غالب النوري : أسلوبية الانزياح في النص القرآني . ص 13 .

الرغم من قدرته على استبدالها مع الحفاظ على قواعد اللغة "[1] . فخروج الكلام عن المألوف ، أو الخروج عن المعيار لغرض قصد إليه المتكلم ، أو جاء عفو الخاطر يعد انزياحاً يخدم النص بدرجات متفاوتة ." فالإنزياح هو الممارسات التركيبية التي تستحدثها البلاغة "[2]. وقد عرف الانزياح في الأسلوبية الحديثة بأنه " خروج الكاتب عن المعايير اللغوية التي يسمح به نظام اللغة ، ويتفق هذا مع نظرية النظم عند الجرجاني التي تدعو الكاتب ، أو الشاعر أن يختار الأسلوب النحوي المناسب للسياق ، أو المقام والموقف "[3] .

وأسلوب الانزياح إنتاج إبداعي يتمثل في الخروج عن البنية المثالية ، فاللغة مستوى مثالي عادي ، ومستوى أدبي انزياحي يرى فيه القارئ جمالاً نسبياً . ويعد الانزياح أهم ما قامت عليه الأسلوبية حتى أن بعضهم عرفها بأنها " علم الانزياحات " [4] ، فالانزياح ظاهرة أسلوبية تخص اللغة الفنية ، وهذا يعود إلى أن الانزياح من أهم الظواهر التي يمتاز بها الأسلوب الأدبي عن غيره ، ومن خلال هذه الظاهرة يمكن " التعرف إلى طبيعة الأسلوب الأدبي ، بل يمكن اعتبار الانزياح هو الأسلوب الأدبي ذاته " [5] ولقد شاعت عبارة فاليرى" التي قال فيها أن الأسلوب هو في جوهره انحراف عن قاعدة ما ، وشاركه في ذلك الرأي كثير من النقاد ،

---

1. عتيق ، عمر : دراسات أسلوبية في الشعر الأموي . ط1 ، دار جريرللنشر والتوزيع ، عمان ، 2012 م، ص 24 .
2. أبو العدوس ، يوسف : الأسلوبية الرؤية والتطبيق . ص 131
3. عتيق ، عمر : علم البلاغة بين الأصالة والمعاصرة . ص 322 .
4. انظر : كوهن ، جان : بنية اللغة الشعرية . ط1 ، تر: محمد الولي ومحمد العمري ، دار توبقال للنشر ، المغرب ، 1986 م ، ص16 .
5. الخرشة ، أحمد غالب النوري : أسلوبية الانزياح في النص القرآني . (رسالة دكتوراه)، إشراف : زهير المنصور . جامعة مؤتة ، 2008 م ، ص 10 .

ودعوا إلى أن يتعود الباحث تماماً على القاعدة أولاً حتى يتمكن من اكتشاف الانحرافات المتفرعة عنها "[1].

يمكن القول إن ظاهرة الانزياح ليست خاصة بالنقد الحديث " فإذا كان مصطلح الانزياح ، من حيث هو مصطلح أسلوبي حديث النشأة ، ومن ابتداع الزمن المتأخر ، فإن شيئاً من مفهوم هذا الانزياح يرتد في أصوله إلى أرسطو وإلى من تلا أرسطو من بلاغة ونقد "[2]. لكن المحدثين تناولوا ظاهرة الانزياح بالدراسة والنقد بمنهجية دقيقة .

أدرك الجاحظ وظيفة الانزياح من خلال حديثه عن أهمية الخروج عن المألوف ، وما يتركه هذا الخروج من دهشة ومفاجأة فيقول : " الناس موكلون بتعظيم الغريب ، واستطراف البعيد ، وليس لهم في الموجود الراهن ، وفيما تحت قدرتهم من الرأي والهوى ، مثل الذي لهم في الغريب القليل ، وفي النادر الشاذ "[3]

فالغريب والنادر في هذا النص – يعد انزياحاً يولد الدهشة والعجب في نفس المتلقي ، فتنبع أهمية الانزياح في إحداث هزة سماعية ، غير متوقعة عند المتلقي الذي بدوره يستطيع الحكم على النص وعلى قيمته .

فالمبدع يحق له أن يتصرف بقواعد النحو وفق مقتضيات السياق إلا " أن الانحراف لا يعد خروجاً عن قواعد اللغة ؛ لأن الانحراف يبقى محصوراً في المساحة التي يتيحها النظام اللغوي

---

1. فضل ، صلاح : علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته . ط1 ، دار الشروق ، 1998 م ، ص 236 .
2. المرجع نفسه ، ص 14 .
3. الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر : البيان والتبيين . دط ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، دار الجبل ، بيروت، دت ، 1/ 89-90 .

"[1] فالتغيير والتجديد حاجة في النفس الإنسانية التي من شأنها أن تمل وتضجر من الأشياء المألوفة ، وغايات الانزياح في معظمها نفسية جمالية ، تهدف إلى شد انتباه المتلقي وإثارتها ، و ما يسمى بكسر أفق التوقع ،" فالانحراف هو منبه أسلوبي يثير المتلقي ، ويرفع من درجة يقظته "[2].

ويخدم الخروج عن المألوف وعن النظام اللغوي المستوى الدلالي ، والمستوى الفني فالمبدع عندما يحدث انزياحاً في نص ما لا يكون ذلك عجزا ً، أو ضعفاً في عدم القدرة على الاتيان ببديل ينسجم مع دلالة السياق ، وإنما وقع هذا الانزياح بدافع نفسي دلالي ، أو فني جمالي أحسه وأدركه المبدع ، فتمسك المبدع بلفظة معينة دون غيرها يعبر عما يجول في أفكاره من صور ومعانٍ .

دور السياق في التحليل الأسلوبي :

يتأتى فهم النص الأدبي من خلال السياق الذي يتبوأ أهمية كبيرة في التحليل التركيبي ، فهو لا يقتصر على الألفاظ المفردة ؛ بل يتجاوزها ليشمل التراكيب والجمل ، ومن ثم النص بأكمله " فكل ظاهرة لغوية أو فنية أو موسيقية لا تحمل بذاتها قيمة جمالية ما لم تتم دراستها في بيئتها السياقية ؛ لأن السياق هو الذي يضفي قيمة تعبيرية وإيحاءات وجدانية على المثيرات الأسلوبية " [3] . فالسياق يزيد من ترابط الدراسة الأسلوبية.

---

1. عتيق ، عمر : علم البلاغة بين الأصالة والمعاصرة . ص323 .
2. المرجع نفسه ، ص 323 .
3. عتيق ، عمر : دراسات أسلوبية في الشعر الأموي . ص 17 .

اهتم البلاغيون منذ القدم بظاهرة السياق من خلال مقولات متنوعة وأهمها : لكل مقام مقال ، ولكل كلمة مع صاحبتها مقام ، وربطوا الصياغة بالسياق " وأصبح مقياس الكلام في باب الحسن والقبول بحسب مناسبة الكلام لما يليق به ، أي بمقتضى الحال " [1] . فالكلمة تكتسب قيمتها من ما يسبقها ، أو يلحقها من الكلمات " لو أخذنا أي كلمة من السلسلة السياقية لوجدنا أنها تثير كلمات أخرى بالتداعي والإيحاء خارجة عن القول ، ولكنها تشترك معها في علاقة ما بالذاكرة " [2]، فعند نطق بعض الكلمات تتوارد في أذهاننا كلمات أخرى تقوم بينها علاقات متعددة ، والسياق عند عبد القاهر الجرجاني " هو نقطة البدء ، بحيث لا يمكن وجود كيان للتعبير إلا من خلاله ، وحينئذ من الواجب رصد السياق ، ثم البحث عن الألفاظ وعلاقاتها فيه ثانياً " [3] . وفي كثير من الأحيان نتعرض لسؤال أحدهم عن مرادف كلمه ما – إن صح التعبير– أو معنى هذه الكلمة ، وقبل أن نجيبه نقول له اذكر السياق الذي وردت فيه هذه الكلمة حتى استطيع تقديم معناها أو مدلولها ، فتحديد معنى الكلمة المفردة يفهم من السياق أكثر مما يفهم من الكلمات المفردة التي تشكله .

ويعطي السياق الكلمة قيمتها الدلالية وقدرتها على التأثير إذ " إن الاعتكاف على الألفاظ المفردة وعزلها عن سياقها ، يجعل المعاني مقصورة على المستوى المعجمي ، ما يؤدي إلى استحالة الكشف عن الإعجاز اللغوي للألفاظ المحورية ، وإلى فقدان حاسة تذوق الجمال

1. عبد المطلب ، محمد : البلاغة والأسلوبية . ص 305.
2. المرجع نفسه ، ص 307 .
3. المرجع نفسه ، ص 321 .

التعبيري الذي يشع من تلك الألفاظ " [1]. فعلاقة الألفاظ مع بعضها علاقة عنكبوتية إن جاز التعبير " وإذا كان السياق هو الذي يعطي المدلولات ، فإنه من جانب آخر هو الذي يعطي الشكل التركيبي للعبارة ، بحيث يكون هناك تفاعل أكيد بينهما "[2] .

وللسياق كينونته الذاتية التي تمنحه الحق في إبداع قوانينه ، وتتمثل "في شبكة العلاقات المعقدة لمجموعة الدوال والمدلول ، التي تمثل الأفق الرحب ، أو الفضاء الواسع الذي تتجمع فيه جزيئات العمل الإبداعي "[3]، فهو البيئة المناسبة التي يتخلق فيها المعنى ، والسياق الأسلوبي هو " نموذج لغوي ينكسر بعنصر غير متوقع ، وتختلف قدرة السياق على اجتذاب معاني المادة اللغوية عن سياق آخر ، " وكلما كان المعنى السياقي عاماً زاد قدرته على خلق التقاطع الدلالي بين المعاني للمادة اللغوية الواحدة "[4].

يقوم السياق بدور مهم في معرفة مكونات النص المتمثلة في الكلمة ، وما يحيط بها من علاقات تربطها بالكلمات المجاورة لها إذ " إن المحلل الأسلوبي مطالب بتفكيك السياق إلى عناصره ، ثم اكتشاف العلاقات السطحية والعميقة التي تربط بين تلك العناصر ، بهدف النهوض بالقيمة الأسلوبية للظاهرة المدروسة في إطارها السياقي "[5]. فيكون السياق عنصراً مهماً في عملية الاختيار يتوخى من خلاله المبدع الدقة حتى لا يحدث أي خلل في قواعد اللغة أو معجمها ." لأن اللفظة المفردة تحوي قدراً من المعاني التي تتفاعل مع دلالة السياق

1. عتيق ، عمر : ظواهر أسلوبية في القرآن الكريم : التركيب والرسم والإيقاع . ط1 ، عالم الكتب الحديث ، إربد – الأردن 2010م ، ص 32 ، ص 33 .
2. عبد المطلب ، محمد : البلاغة الأسلوبية . ص 321
3. المرجع نفسه ، ص 257 .
4. عتيق ، عمر : ظواهر أسلوبية في القرآن الكريم . ص 136.
5. عتيق ، عمر : دراسات أسلوبية في الشعر الأموي . ص 17 .

، وهذا يعني أن الطاقة الدلالية لا تقتصر على التركيب ، إذ إن اللفظة المفردة تحوي من الدلالات ما يحويه تركيب ، أو قد تزيد المعاني التي تفيدها ما يفيد تركيب ما "[1]. فعلاقة كل كلمة بكلمة أخرى مجاورة لها تشير إلى حركة إبداع مستمرة ترجع إلى موقع الكلمة من السياق وعلاقتها به .

واعتمده علماء علوم القرآن في دراسة النص القرآني ، " فاعتنوا بمعرفة أسباب النزول لآيات النص القرآني ؛ لأنها تعينهم على فهم معانيه "[2].

دور المتلقي في التحليل الأسلوبي :

للعمل الأدبي مبدعان الأول الذي ينشئ العمل الأدبي ، والآخر هو المتلقي الذي يعيد بناء نص المبدع كلما أعاد القراءة المتأنية ، أو القراءة الناقدة التي تهدف إلى تحليل واستيعابه وتقيمه ، ويصبح النص متألقاً ، ويمكن أن يظهر إلى الوجود ؛ لأن " المبدع يحاول تلوين أسلوبه بحسب طبيعة من يوجه إليهم هذا الأسلوب . وهذا المبدع هو الذي يجري اختياره في المادة التي يقدمها له النظام العام للغة ، وهذا لا يرجع إلى إحساسه بهذا النظام فقط ؛ بل يرجع – أيضا – إلى الإحساس المفترض وجوده عند المتلقي " [3] . فطريقة الحديث مع شخص مهم ، أو غريب تختلف عنها مع شخص قريب ، أو يكون على قدم المساواة ، فعملية التلقي عملية مشاركة تقوم على الحوار بين المبدع والمتلقي .

---

1. عتيق ، عمر : ظواهر أسلوبية في القرآن الكريم . ص 154 .
2. حيدر ، فريد عوض : أثر سياق الحال في الدرس الدلالي(تحليل وتطبيق). دط ، مكتبة النهضة المصرية ، 1998 م ، ص 56 .
3. عبد المطلب ، محمد : البلاغة والأسلوبية . ص234 .

ولا يخلو التراث النقدي من الحديث عن أهمية المتلقي ، إذ تناول النقاد العرب القدامى " المتلقي " من خلال بحوثهم حول " مقتضى الحال " و " المقام " ولكن تناولهم كان من جانب إدراكي واحد ، هو جانب الإقناع ، في حين اتجهت الأسلوبية الحديثة إلى دراسة المتلقي من جانبين متمازجين ، هما : الإقناع والإمتاع " [1]. فالمتلقي يمتلك القدرة على التوقع والانتظار " وكلما قدم له المبدع ما يخالف هذا التوقع وذاك الانتظار ، فإنه يمتلك قمة البيان الأسلوبي الذي لا يكون إلا مجموعة طاقات وإمكانات لغوية" [2]. إن محاورة القارئ للنص وطرح الأسئلة المكررة تساعده على تأويل المعنى الذي شَكل في ذهنه.

ولا تتم العملية الإبداعية إلا بوجود الشريك الحقيقي في عملية إعادة الخلق الإبداعي إذ" لا يوجد إبداع أدبي بلا متلق ؛ لأنه لا كلام بلا سامع . وعملية التلقي هي التي تشعل وقود الإبداع ، ووجود صاحبها شيء مفترض منذ البداية إيذاناً بمولد العمل الجديد " [3]. فعملية العمل الإبداعي عملية مستمرة متجددة بتوالي المتلقين واحداً بعد الآخر ، والأسلوب مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمبدع والمتلقي .

ويأتي دور المتلقي مكملاً لدور المبدع ، فالمتلقي يحلل ما يشكله المبدع " وإذا كان المبدع هو الذي يخلق المعمار اللغوي للنص ، ويودع فيه مشاعره وأفكاره ، فإن المتلقي مطالب

---

1. المرجع نفسه ، ص 238 .
2. عبد المطلب ، محمد : البلاغة والأسلوبية ، ص 240 .
3. المرجع نفسه . ص 245 .

بإعادة خلق النص ، وذلك بتفكيك العناصر التي تؤلف النسيج اللغوي ، بهدف الكشف عن البنية العميقة للنص "[1].

وينبغي أن يتأمل القارئ النص ، وأن يغوص في أعماقه ؛ لمعرفة ما ترمي إليه كل كلمة فيه " فالكلمة المنخرطة في قواعد النص ونحوه تتشقق أرضها ، فتبرز معانيها الكامنة فيها وشبكات الدلالة التي توحي بها . وهذه الشبكات تشد القارئ بدورها إلى شبكات أخرى وإلى عوالم أخرى كامنة خلفها وهكذا دواليك " [2].. فلا بد للنص من استثارة المتلقي ، وفتح مداركه وإحداث تفاعل حقيقي بينهما ، حتى وإن كان هذا التفاعل إيجابياً ، أو سلبياً حتى نستطيع الحكم عليه أنه نص إبداعي .

ولا نستطيع معرفة خفايا النص الأدبي من القراءة الأولى ، فالنصوص التي تظهر خفاياها من المرة الأولى تكون نصوص جامدة ميتة لا حياة فيها ؛ لأنها افتقرت إلى عنصر التشويق والغموض ، وبالتالي خلت من الإمتاع ،" فالقراءة انتقال دائم بين ما سلف في النص والنتيجة التي يتخيلها القارئ لذلك ، ثم بين النتيجة التي تتحقق فعلاً وما سلف وقد أعيد النظر إليه !"[3].

---

1. عتيق ، عمر : دراسات أسلوبية في الشعر الأموي . ص 16 .
2. سحلول ، حسن مصطفى : نظريات القراءة والتأويل الأدبي وقضاياها .دط ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، 2001 م ، ص 95 .
3. المرجع نفسه . ص 76 .

إن العمل الإبداعي " يضع المتلقي داخله فيشارك في صنع الصور واقتراح الحلول والمسارات ويفسح له في المجال للتنبؤ والاستشراق ... لذلك فإن النص المفتوح يظل نصاً محرضاً للقدرات العقلية ومنشطاً لها ومحفزا ً" [1].

قد يظن القارئ بعد الانتهاء من قراءة أي نص أنه فهم واستوعب ما قرأ ، لكنه يفاجأ بعد العودة مرة أخرى إلى النص المقروء أن إدراكه لما قرأ لا يتجاوز القليل منه " لأن النص نادراً ما يغلق نفسه ، وبالتالي فهو لا ينغلق عند المتلقي عند الانتهاء منه ، أو عندما يغدو خارج الإثارة الحسية المباشرة "[2] . وهذا ما يحفزنا للعودة مرة بعد مرة للنص لتأمله والكشف عن مكنونه .

إذن لا بد للقارئ من معاينة عناصر النص المبدع من أجل الكشف عن البنية العميقة له ، و" لم يعد المتلقي في الأسلوبية مستهلكاً ، وإنما أضحى مشاركاً ومنتجاً ومعيداً لتشكيل النص ، وبهذا يصبح المتلقي طرفاً أساسياً من أطراف عملية الاتصال الأدبي ، وذلك من خلال تأثير الظاهرة فيه " [3] . فيثار ويستفز المتلقي عند رؤيته مفردة معينة من بين مجموعة من المتشابهات لها .

1. الملحم ، إسماعيل : التجربة الإبداعية دراسة في سيكولوجية الاتصال والإبداع . دط ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2003 م ، ص22 .
2. الملحم ، إسماعيل : التجربة الإبداعية دراسة في سيكولوجية الاتصال والإبداع . ص 56 .
3. ربايعة ، موسى : الأسلوبية : الاتصال والتأثير . علامات في النقد ج 27 ، م7، 1998م ، ص 31 .

المحور الأفقي والمحور الرأسي في التحليل الأسلوبي :

يسعى الباحث إلى طرق متعددة في تحليله الأسلوبي ، ومن أهم هذه الطرق دراسة المحور الأفقي الذي يتمثل في " الانسجام بين الألفاظ المتجاورة التي تشكل التركيب اللغوي ، أو الألفاظ المتقاربة في مواضعها في النص ، إذ إن التجاور أو التقارب بين الألفاظ يستدعي اختيار كلمة دون غيرها بسبب التجاذب الدلالي بين الألفاظ " [1]. وهناك كثير من الأمثلة التي تظهر انسجام الألفاظ مع بعضها وأثر ذلك الانسجام ، ومن أبرز الأمثلة على ذلك قوله تعالى : ﴿ هذه نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [2] ، وقد جاءت الملازمة بين الفعل والفاعل في المواضع الستة في سياق دلالي واحد وهو قصة ناقة صالح والعذاب الذي حل بثمود ، وعند العودة إلى المعجم نجد أن الفعل " أخذ " يتضمن عناصر قصة الناقة وهي العذاب والماء والناقة لهذا جاء الفعل أخذ ومشتقاته دون غيره من البدائل"[3] ، ولم يرد التجاور والتلازم في سياق دلالي آخر . وقد ورد الفعل (أخذ) مع فاعل آخر، نحو قوله تعالى :﴿ فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ﴾ [4]، فورد الفعل مسنداً إلى الصاعقة والعذاب في سياق ناقة صالح عليه السلام ، وقد اشتملت الملازمة بين الفعل والفاعل على مستويين دلاليين : الأول المستوى الدلالي المعجمي وهو الذي يطفو على سطح التركيب النحوي وهو العذاب الذي حل بثمود ، والثاني : المستوى

---

1. عتيق ، عمر : علم البلاغة بين الأصالة والمعاصرة . ص327
2. الأعراف : 73 .
3. ينظر : عتيق ، عمر : ظواهر أسلوبية في القرآن الكريم . ص 90 .
4. البقرة : 55 .

الدلالي الذي يكمن في البنية العميقة للتركيب النحوي " [1] . ويقتضي التجاذب الدلالي بين الألفاظ المتجاورة النظر في البنية المعجمية من أجل معرفة أسباب غياب بدائل أخرى للكلمات المختارة ، ومن أجل الكشف عن علاقات التبادل بين الألفاظ المتجاورة ." فالكلمة في نص ما إنما تكتسب دلالتها الأسلوبية من تجاورها مع الكلمات الأخرى " [2].

و يعني المحور الرأسي أو العمودي " اختيار كلمة دون غيرها من البدائل اللغوية المناظرة لها ، فإذا اخترت الفعل (جاء) بدلاً من البدائل المناظرة له نحو : وصل ، حضر ، قدم ،...الخ ، فإن اختيارك للفعل (جاء) مرتبط باعتبارات سياقية نفسية "[3]. والمبدع عند اختياره لأي كلمة يكون اختياره نابع من قدرته في معرفة الانسجام الحاصل بين الكلمة والسياق الدلالي الواردة فيه .

مفهوم البنيوية :

يعد فرديناند دي سوسير الأب الحقيقي للحركة البنيوية في العصر الحديث على الرغم من أنه " لم يستخدم كلمة بنية ، وإنما استخدم كلمة نسق أو نظام ، إلا أن الفضل الأكبر في ظهور المنهج البنيوي يرجع إليه "[4]. حينما فرق بين اللغة والكلام على اعتبار أن اللغة نظام اجتماعي مستقل عن الفرد والكلام ، فعرفها بأنها " فعل فردي يقوم به شخص ما في حديثه

1. عتيق ، عمر :ظواهر أسلوبية في القرآن الكريم . ص 91 .
2. فضل ، صلاح : علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته . ص 275 .
3. عتيق ، عمر : علم البلاغة بين الأصالة والمعاصرة . ص 334 .
4. فضل ، صلاح : علم الأسلوب ومبادئه وإجراءاته. ص 47 .

مع أشباهه ، والصلة بين اللغة والكلام هي كالصلة بين الجوهري والعرضي " [1] ، وقد شبه سوسير اللغة بلعبة الشطرنج التي لها قواعدها ونظامها وعناصرها " إن وصف عناصر اللغة لا يمكن أن يتم إلا بالنظر إلى علاقة كل عنصر بما عداه من العناصر الأخرى ، نظراً لأن أحداً من هذه العناصر لا يملك أية قيمة ذاتية (باطنية) إلا بتقابله مع باقي العناصر الأخرى "[2]. ويظهر من هذا أن اللغة عند سوسير نظام مغلق له أصوله وقوانينه الخاصة .

وليست البنيوية منهجاً نقدياً وحسب ، بل هي نظرية في المعرفة الإنسانية وهي " محاولة علمية منهجية لدراسة الظواهر عموماً ، والظواهر البشرية خصوصاً ، من وجهة نظر "البنية " سواء أكانت البنية هي " النموذج " أو البناء الصوري ، أم كانت مجموع العلاقات الباطنة المكونة لوحدة أي موضوع من موضوعات العلم " [3] ، فلا بد من إدراك شبكة العلاقات بين الأشياء ودراستها ، وتفسيرها ومعرفة التحولات الجوهرية ، التي نشأت عن هذه العلاقات ومحاولة ربطها بالأصل .

وتنظر البنيوية إلى علاقة البنية مع الكل ، وأن جميع أنواع المعنى يمكن إرجاعها إلى البنية أو اللغة وأن ." للبنيويات جميعاً – منطقية ، سيكولوجية ، لغوية ، اجتماعية ... – مثلاً أعلى واحداً مشتركاً في المعقولية ، ألا وهو النظر في " البنية " باعتبارها نظاماً مكتفياً بذاته "[4]. إن البنية في حالة حركة مستمرة " لا يمكن أن تظل في حالة سكون مطلق ، بل هي تقبل دائماً من التغيرات ما يتفق مع الحاجات المحددة من قبل علاقات النسق وتعارضاته

1. فضل ، صلاح : علم الأسلوب ومبادئه وإجراءاته ، ص 48 .
2. إبراهيم ، زكريا : مشكلة البنية أو أضواء على " البنيوية " . ص 52 .
3. المرجع نفسه ، ص 25 .
4. إبراهيم ، زكريا : مشكلة البنية أو أضواء على " البنيوية " ، ص 29 .

"[1]. فالاتجاه البنيوي المعاصر أكد على حقيقة هامة وهي " أنه لا يمكن أن تكون ثمة بنية إلا حيث يكون ثمة لغة " [2]

و تقوم البنيوية على " تشريح النص والوقوف على عناصره ، ودراسة العلاقات بينها لفهم بنيته ، وتدرس – كذلك – الكيفية التي شيد بها النص ، أو الكيفية التي تنتظم بها عناصر النص ، فتحدد علاقة العنصر بغيره من العناصر داخل النص "[3]. فاكتشاف العلاقات التي تربط عناصر العمل الأدبي هدف تسعى إليه البنيوية ، التي ترى أن العلاقة بين الجزء و الكل علاقة تخضع لقوانيين محكمة .

الثنائيات الكبرى في النظام الكوني

إن الوجود كله قائم على الثنائيات (السماء والأرض ، البر والبحر ، الجبال و السهول ، الليل و النهار ، الشمس و القمر ، ...) ، و ما دام النظام الكوني قائماً على مجرة من الثنائيات ، فإن الإدراك الإنساني يتشكل منها ، ويؤدي هذا التشكل الإدراكي إلى بناء نص لغوي قائم على الثنائيات .

وتظهر الثنائيات الكبرى في مظاهر الكون المختلفة ، والتي أكثر ما تبرز في السماء التي زينها الله بمصابيح مختلفة ألوانها ، وفي الأرض وما تضمنه وما عليها من ألوان مختلفة ، فالكون قائم على مجموعة من الثنائيات المتناقضة ، إلا أنها في حقيقة الأمر مجموعات

---

1. إبراهيم ، زكريا : مشكلة البنية أو أضواء على " البنيوية " ، ص 34 .
2. المرجع نفسه ، ص 44 .
3. عبد الجواد ، إبراهيم عبد الله : الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث (رسالة دكتوراة) . إشراف إبراهيم السعافين ، الجامعة الأردنية ، 1994 م ، ص167 .

متكاملة ، وجاء تكاملها من التناقض والتعارض ، والجمع بين الأطراف المتباعدة عمل يشد المتلقي ويثير انفعالاته إذ إن " وفرة الثنائيات في النص الأدبي دليل انسجام ايقاعاته ، وانفتاحه على أكثر من محور ، فيمكن أن نعثر على مجموعة أنساق متضادة في النص الأدبي الواحد تضفي عليه مزيداً من الحيوية والحركة ، هذه الأنساق المتضادة ذات صلة بالكون الذي تصوره سواء أكان ذلك الأمر بالتضاد أم بالتكامل ؛ لذا تجتمع فيها الخصائص الجمالية "[1].

وفي النقد العربي التفت الجاحظ إلى قانون الثنائية ، إذ يرى أن العالم بما فيه من الأجسام على ثلاثة أنحاء : متفق ومختلف ومتضاد ، ثم يرد هذه التقسيمات الثلاثة إلى الأصل الثنائي الذي يتمثل في الحركة والسكون فيقول : " تلك الأنحاء الثلاثة ، كلها في جملة القول جماد ونام ، وكأن حقيقة القول في الأجسام من هذه القسمة أن يقال : نام وغير نام "[2].

إن دراسة الثنائيات ضرورة علمية وأدبية ونقدية ، لمعرفة أثرها في تحقيق المعنى والفكرة المراد إيصالها للمتلقي ، ومن ثم أثرها في خلق النص ودلالته .

إن ظاهرة الثنائيات المتضادة في النص القرآني جعلت النص يبوح بأسراره النفسية والفنية والفكرية....، من خلال الشرح والتأويل ، فوجود الثنائيات على مستوى النص بكامله ، أو على مستوى الآية الواحدة ، يعد وسيلة لجعل كل ما يبدو مألوفاً في الحياة يخضع للتفكير

---

1. الديوب ، سمر : الثنائيات الضدية. بحث في المصطلح ودلالته . ط1 ، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية ، 2017 م ، ص 161 .
2. ينظر : الجاحظ ، ابن بحر عمرو : الحيوان ، حققه وشرحه عبد السلام هارون . ط3 ، المجمع العلمي العربي الإسلامي ، بيروت ،1969 م ، ج1، ص 26.

والإدراك . اعتماداً " على أن ثمة قدرة على الربط بين الظواهر التي يبدو أنها منفصلة ، فالتضاد رابطة مثل التماثل ، والتناقض رابطة ؛ لأنه يعني نفي النقيض ، فوجود النور ينفي وجود الظلام ؛ لذا يدخل النور والظلام في علاقة تناقض ، أما وجود الأبيض فيتضاد مع الأسود ، فالعلاقة علاقة تضاد فالحالتان المتضادتان معاً تجتمعان في نفس المدرك "[1]، فالنفس البشرية ثنائيات ضدية يمكن عدها كامنة في أغوار النفس الإنسانية ، فالحياة غريزة واضحة الأثر في حركاتنا وسكناتنا ، والموت غريزة ماثلة أمام أعيننا ، والسواد والبياض موجودان جنباً إلى جنب في الحياة ، فمظاهر الحياة كلها هي نتيجة تجاذب بين قطبي هذه الثنائية "[2].

مفهوم الأسلوبية البنيوية :

ارتبطت الأسلوبية بمناهج نقدية عدة ، و لعل أبرزها المنهج البنيوي ، الذي يركز على النص الأدبي من خلال الثنائيات الموجودة فيه ، " فالأسلوبية البنيوية تعني تحليل النصوص الأدبية وفق علاقات التكامل والتناقض بين الوحدات اللغوية المكونة للنص".[3]

والتضاد الناجم عن هذا الاختلاف هو المثير الأسلوبي ، وقيمة التضاد الأسلوبية تكمن في نظام العلاقات الذي يقيمه بين العنصرين المتقابلين " [4]. وإن جاز أن نقول إن هناك إجراء أسلوبياً يتمثل بقراءة متأنية من أجل فك شيفرة النص وتحليلها . " فكل واقعة أسلوبية تشمل

1. الديوب ، سمر: الثنائيات الضدية. بحث في المصطلح ودلالته ، ص 100 .
2. المرجع نفسه ، ص99 .
3. حنيفة ، بداش : الأسلوبية الوظيفية وموقعها من كتاب البيان في روائع القرآن لتمام حسان . ص 43.
4 . فضل ، صلاح : علم الأسلوب مبادئه وإجراءته ، ص 256 .

بالضرورة سياقاً وتضاداً . من هنا لا يمكن أن نركز على العناصر المضادة ببساطة وحدها ، لأنها عناصر بارزة سهلة الالتقاط في التحليل الأسلوبي ، بل لا بد من أن نولي نفس الاهتمام للعناصر غير المرسومة في مقابلها " [1].

و البنيوية اتجاه يدرس العلاقات القائمة في النص لفهمه ، و هي " تركز على تناسق أجزاء النص اللغوية ، و تهتم بتحليل النص الأدبي بعلاقات التكامل بين العناصر اللغوية في النص ، وبالدلالات و الإيحاءات التي تحققها تلك الوحدات اللغوية " [2]. فالنص بنية متكاملة لا يمكن فصل عنصر فيها عن الآخر " فالعناصر اللغوية في النص تتفاعل فيما بينها ؛ وزناً و قافية و أصواتاً و صيغاً و تراكيباً و معجماً ، فدلالات النص تنتج من ذلك التفاعل و الانسجام لا من الانفصال والتنافر " [3].

ومن أعلامها ميشال ريفاتير الذي يؤمن بوجود بنية في النص إذ " تقدم الدراسة البنيوية قراءة متكاملة للنص الأدبي ، بحيث يمكن تحليله تحليلاً شاملاً منتظماً ، فالنص الأدبي بنية تشكل جوهراً قائماً بذاته ، ذا علاقات داخلية متبادلة بين عناصره "[4]. وهناك كثير من القوانين التي تحكم هذه العلاقات الداخلية ، " ويرى رولان بارت ، رائد النقد البنيوي ، أن كل

---

1. عزام ، محمد : الأسلوبية منهجاً نقدياً ، ص 135 .
2. ينظر: السد ، نور الدين : الأسلوبية وتحليل الخطاب . دط ، دار هرمة ، الجزائر، ج1 ، 1997 م ص 82 .
3. ينظر : ابن يحيى ، محمد : محاضرات في الأسلوبية . ط1 ، مطبعة مزوار ، الوادي – الجزائر ، 2012م ، ص34 .
4. عزام ، محمد : الأسلوبية منهجا نقديا ، ص 110 .

قول هو رمز يتكون من دال ومدلول ، وأن الدال يشكل التعبير ، والمدلول يشكل المضمون "[1]. وهنا نرجع لقضية اللفظ و المعنى ، وضرورة ارتضاء العقل لهما .

منطلقات التحليل البنيوي

يرسم البنيويون بعض الخطوط الأساسية والعريضة في منطلقاتهم عند تحليل أي نص مكتوب ، فالنص لديهم عبارة عن شبكة من العلاقات المعقدة والدقيقية ، وينطلق البنيويون من تفتيت العمل الأدبي وتحليله إلى ثنائيات ، فهناك مجموعة من المبادئ في تحليل النص الأدبي إذ إن " من شأن التحليل البنيوي أن يرد موضوعه إلى حزمة من العلاقات (التي يتوقف بعضها على بعض) ؛ ما دام ينظر إلى الوقائع اللغوية على أنها ظواهر متماسكة " [2]. فالكشف عن المعنى الكلي للنص الأدبي من خلال دراسة العلاقات القائمة بين عناصره هي من أهم أهداف التحليل البنيوي . فالتحليل البنائي " لا يقوم بوصف الأعمال الأدبية بالجودة والرداءة ، وإنما يحاول إبراز كيفية تركيبه ، والمعاني التي تكتسبها عناصره تتألف على هذا النحو ، فالشكل عند البنائية تجربة تبدأ بالنص وتنتهي معه ، وكلما مضينا في القراءة التحليلية تكشف لنا أبنية العمل الأدبي" [3] ويظهر هنا أهمية العناصر الداخلية للنص الأدبي وأهمية العلاقات القائمة بينها ، فالعناصر المختلفة للعمل الأدبي تجعله كلاً متكاملاً . فالنقد البنيوي لا ينظر إلى الموضوع أو الشكل ، ولكنه ينظر إلى البنية ، وعلاقات هذه البنية

1.المرجع نفسه ، ص 110 .

2. إبراهيم ، زكريا : مشكلة البنية أو أضواء على " البنيوية " . ص 77 .

3. ينظر : مصطفى ، فائق وعلي ، عبد الرضا : في النقد الأدبي الحديث منطلقات وتطبيقات. ط1 ، وزارة التعليم العالي ، الموصل ،1989 .

مع الكل ، وإن هذه البنية استخلصت نتيجة اجتهاد ، فقد تقترب من الصواب وقد تبتعد عنه ، ولكنها في الحالتين تمثل الطريق الذي اختطه الناقد لدراسة النص الأدبي ؛ وذلك بغية الوصول إلى قصدية الأديب (الكاتب) أو الاقتراب منه "[1].

وليس النص الأدبي نتاجاً بسيطاً من العناصر المكونة له ، بل هو بنية متكاملة تحكم عناصره العلاقات التفاعلية بين هذه العناصر إذ إن" هذه البنية العميقة ، أو هذه الشبكة من العلاقات المعقدة هي التي تجعل من العمل الأدبي عملاً أدبيًا ، وهنا تكمن أدبية الأدب ، وهم يرون بأن هذه البنية العميقة ، يمكن الكشف عنها من خلال التحليل المنهجي المنظم . ويمكن القول إنّ هدف التحليل البنيوي هو التعرف عليها ؛ لأن ذلك يعني التعرف على قوانين التعبير الأدبي ، وهذا ما يجعل التحليل البنيوي مميزًا عن سائر المناهج ؛ لأنه هو الوحيد القادر على البحث عن أدبية الأدب أي عن خصائص الأثر الأدبي "[2].

ونستطيع القول ، إن البنيويين ينطلقون" من ضرورة التركيز على الجوهر الداخلي للنص الأدبي ، وضرورة التعامل مع النص دون أية افتراضات سابقة من أي نوع ؛ من مثل علاقته بالواقع الاجتماعي ، أو بالحقائق الفكرية ، أو بالأديب وأحواله النفسية والاجتماعية "[3] .

فهم ينطلقون في تحليل النص الأدبي من بنيته اللغوية دون النظر إلى أي مؤثرات أخرى ، والتي قد تصاحب إبداع النص كالمؤثرات السياسية والاجتماعية والثقافية ، ونرى أن سبب هذا

---

1. ينظر : حمد ، عبد الله خضر : مناهج النقد الأدبي السياقية والنسقية . ط1 ، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت / لبنان ، 2017 م ، ص 162- 163 .
2. ماضي ، شكري عزيز : في نظرية الأدب . ص 158 .
3. المرجع نفسه ، ص 158 .

المنطلق ؛ لأنهم يرون أن العمل الأدبي له وجوده الخاص وله منطقه ونظامه ، وله بنية المستقلة سواء أكانت عميقة أو تحتية أو خفية ، فهو مجموعة من العلاقات الدقيقة"[1]. فالعلاقات القائمة بين الكلمات هي جوهر عملية التحليل البنيوي ، فدلالة النص ومعناه لا تشكل أي قيمة من وجهة نظر البنيويون ، فبنية النص لديهم تعني " إظهار التشابه والتناظر والتعارض والتضاد والتوازي والتجاور والتقابل بين المستويات النحوية والإيقاعية والأسلوبية والحكائية ، فمثلاً يتم التحليل الصوتي من خلال إظهار الوقف ، والنبر ، والمقطع ، أما تحليل التركيب فتتم دراسة طول الجملة وقصرها وهكذا مع كل مستوى أو تحليل "[2]. وجوهر العمل الأدبي هو التحليل وليس التقويم ، إذ ليس من أهداف هذا النقد أن يصف عملاً بالجودة وآخر بالرداءة ، وإنما هدفه الأساسي هو كيفية تركيب العمل الأدبي "[3].

نادى البنيويون بتأسيس معرفة نقدية حقيقية بالنص ، وتكون تلك المعرفة خالصة وحقيقية ؛ لأنها تنظر في النص من الداخل وليس من الخارج ، "[4]. كما يرون " أن هذه المعرفة لا تأتي دفعة واحدة ؛ بل تتشكل من خلال الوصف والتحليل لذلك النص ، والدخول في جزيئاته وعلاقاته دون النظر إلى ما حوله "[5].

---

1. ماضي ، شكري عزيز : في نظرية الأدب . ص 158.
2. ينظر : المرجع نفسه ، ص161 .
3. حمد ، عبد الله خضر : مناهج النقد الأدبي السياقية والنسقية . ص157 .
4. المرجع نفسه ، ص 158 .
5. المرجع نفسه ، ص 158 .

فالنص من وجهة نظرهم كيان مغلق منته من الزمان والمكان ، فهو كيان " يحاور نفسه ، والقارئ هو الكاتب الفعلي للنص"[1] . فنادوا بموت المؤلف ، وتركيز الاهتمام على البنية بوصفها الأساس الحامل للدلالة "[2] .

ينظر النقد البنيوي إلى العمل الأدبي كلاً واحداً مكوناً من عناصر مختلفة متكاملة فيما بينها على أساس مستويات متعددة ، تمضي في كلا اتجاهين الأفقي والرأسي في نظام متعدد الجوانب "[3] . و تعتمد الأسلوبية البنيوية في دراستها على مدى انسجام وتناسق أجزاء النص " ويرى البنيويون أن لكل نص رؤيته ، فإذا استطاع الناقد رصد تلك الرؤية فعندئذٍ يستطيع تحليل جزيئات البنية " [4] .

يشغل القارئ عند البنيويين مكانة خاصة فهو " ليس ذاتًا ، بل إنه مجموعة من المواصفات التي تشكلت من خلال قراءته السابقة ؛ وبالتالي فإن قراءته للنص ورد فعله إزاء النص تتحدد بتلك القراءات ، وبما أن هناك قرّاءً عديدين ، فإن هناك قراءات متعددة للنص الواحد "[5]. ومن هذا ندرك أن لذوق القارئ وفهمه للنص المقروء يحدد قيمته ، فكل قراءة لها تأويلاتها المتناقضة والمتابينة ، فالقارئ هو الكاتب للنص المقروء .

---

1. حمد ، عبد الله خضر : مناهج النقد الأدبي السياقية والنسقية ، ص 161.
2. ينظر : حمد ، عبد الله خضر : مناهج النقد الأدبي السياقية والنسقية . ص160 .
3. المرجع نفسه ، ص157 .
4. المرجع نفسه . ص 157 .
5. ماضي ، شكري عزيز : في نظرية الأدب . ص 161 .

الفصل الأول

صورة السماء والأرض والجبال في المعتقدات والثقافات الإنسانية .

مدخل

المبحث الأول : السماء والأرض والجبال في الفكر الأسطوري .

- صورة السماء .
- صورة الأرض .
- صورة الجبال .

المبحث الثاني : السماء والأرض والجبال في التوراة .

- صورة السماء .
- صورة الأرض .
- صورة الجبال .

الفصل الأول

مدخل

رسم الإنسان لوجوده في الكون لوحة غنية بالألوان الحية ، فكان يتفاعل مع الكون ، وما به من موجودات تفاعلاً مثيراً للجدل ، فكانت دوماً تخطر بباله أسئلة كثيرة محاولاً الإجابة عنها من أجل فهم الطبيعة ، وما بها من مظاهر ، فالشعور الأول الذي خالجه في مراحل وعيه الأولى، هو شعوره بأنه متصل بالوجود، وقائم فيه. وأن هذا الوجود لغة، ولكنها لغة غامضة ومعقدة يصعب فهمها أو استبصار معماها"[1]، فأخذ يفسر كثيراً من الظواهر الطبيعية الكونية من خلال فهمه للمواقف التي كان يمر بها ، فنتج عن هذا الفهم كثيراً من المعتقدات ، التي أصبحت فيما بعد شعائر وطقوس يقوم بها من أجل إرضاء وإشباع حاجة بداخله في لجوئه دوماً إلى من هو أعظم وأقوى منه .

وإذا استعرضنا أساطير الخلق والتكوين لدى شعوب العالم القديم سنكتشف كثيراً من الأفكار الفلسفية ، ونلاحظ مدى التقارب والتشابه عبر مر العصور والأزمان ، فنجد أن لكل شعب من الشعوب أسطورة أو مجموعة أساطير في الخلق والتكوين ، فكانت الأسطورة لدى الشعوب القديمة " تصور علاقة انسجام بين الإنسان والكون ، فالكون ليس كتلة مبهمة أو مستقلة

1. ينظر : كنعان ، جورجي : مفهوم الألوهة في الذهن العربي القديم . ط2 ، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت ،1996 م ، ص 147 .

مستعصية على الفهم ، بل عالم حي زاخر بالحياة يتحدث عن الإنسان عبر تجليه في الأساطير "[1] ، فاستطاعت الأساطير بقديمها وحديثها أن تشكل مصدراً خصباً في دراسة الشعوب وتحليل رؤيتها للكون والإنسان ، و أن تمد الدراسات الإنسانية على اختلاف فروعها بالكثير من الظواهر ، فكانت تسعى لتفسير الظواهر الكونية ، وتعلل مشكلات الحياة وقضايا الإنسان فالأسطورة " هي عملية تأمل من أجل إجابة عن أسئلة مبعثها الاهتمام الروحي بموضوع ما ، وهي ثمرة جهود الإنسان في فهم طبيعة الكون ، وفي تسمية ظواهره وتحديد أماكنه "[2].

ويراها فراس السواح بأنها : " نظام فكري متكامل ، استوعب قلق الإنسان الوجودي ، ورسم من خلالها لوحة كاملة لوجوده ، فهي الأداة التي تزودنا بمرشد ودليل في الحياة ، وهي مجمع للحياة الفكرية والروحية للإنسان القديم "[3] ،أما الخطيب فيعدها:" مزيجاً من العقل والخيال تتوحد فيه نظرة الإنسان إلى ذاته ، وإلى الطبيعة والعالم "[4].

ويخبرنا أحمد كمال زكي عن منطق الأسطورة فيقول : " الأسطورة لا تخرج على أن تكون قصة خيالية قوامها الخوارق والأعاجيب التي لم تقع في التاريخ ولا يقبلها العقل ، حتى أننا عندما نريد أن ننفي وجود شيء نقول : أنه أسطوري" [5].

---

1 . عجينة ، محمد : أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها .ط1 ، دار الفارابي - بيروت - لبنان ، 1994 م ، ص35 .

2 . زكي ، أحمد كمال : الأساطير دراسة حضارية مقارنة . ط1 ، دار العودة - بيروت - 1979م ، ص16 .

3. السواح ، فراس: مغامرة العقل الأولى ، دراسة في الأسطورة . ط11 ، دار علاء الدين ، دمشق،1978 م ، ص 19 .

4. الخطيب ، محمد : الفكر الإغريقي . ط1 ، دار علاء الدين ، دمشق ، 1999م، ص 12 .

5. زكي ، أحمد كمال : الأساطير دراسة حضارية مقارنة . ص 107 .

واعتقد الإنسان أن للأسطورة فعالية في حياته ؛ لأنها " ليست سوى صيغة مجازية لقوى روحية كامنة في الوجود البشري ، وهي تبعث الحياة فينا كما في العالم"[1].

تضع انفعالات الإنسان تجاه ما يحدث في الكون والطبيعة ومحاولة فهمه لمظاهره ، وشغله الشاغل في تفسير هذه المظاهر أمام حقيقة لا شك فيها ، وهي الحاجة الداخلية الملحة في شعور الإنسان إلى اللجوء إلى من هو أعظم وأقوى منه على مر الزمان .

ويعرف الزمخشري كلمة أسطورة ، فيقول : " سطر ، واستطر كتب ، وهذه أسطورة من أساطير الأولين مما سطروا من أعاجيب أحاديثهم ، وسطر علينا فلان قص"(2) .

وعرفها ابن منظور بقوله : "والأساطير: الأباطيل. والأساطير:أحاديث لا نظام لها، واحدتها إسطار وإسطارة، بالكسر، وأسطير وأسطيرة وأسطور وأسطورة بالضم. وسطرها: ألفها. وسطر علينا: أتانا بالأساطير. يقال سطر فلان علينا يسطر إذا جاء بأحاديث تشبه الباطل. يقال:هو يسطرما لا أصل له أي : يؤلف "[3]، فهي تحمل معنى القول الكاذب المزيف ، والقول المنمق المزخرف، وورد تعريف الأسطورة في تاج العروس للزبيدي ، وجمعها أساطير تعني " الأباطيل ، والأكاذيب ، والأحاديث التي لا نظام لها "[4].

---

1. كامبل، جوزيف : قوة الأسطورة . تر: حسن صقر وميساء صقر، ط1 ، دار الكلمة للنشر والتوزيع، سوريا-دمشق، 1999 م ، ص48.
2. الزمخشري ، جار الله : أساس البلاغة . مادة سطر ، ص 205 .
3. لسان العرب، مادة "سطر".
4. الزبيدي ، محمد مرتضى : تاج العروس . مادة " سطر " .

تتحقق في التعريفات السابقة أواصر قربى ،فتتفق جميعاً على أن الأساطير هي : مجموعة الأباطيل والأكاذيب والأحاديث العجيبة المنمقة ، التي قد لا يكون لها أساس من الصحة ، أو المنطق ، لكن نظرة العلماء والمفكرين تغييرت منذ بدايات القرن العشرين، فأصبحت نتاجاً ثقافياً شديد التعقيد بين مختلف شعوب العالم ، يدرس ويفهمالإنسانرؤاها على مر الأزمان.

ولا شك في أن كلمة أساطير قد وردت في القرآن الكريم في غير موضع ، ومن ذلك قوله عز وجل : ﴿يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾[1].

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾[2].

﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾[3].

﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾[4].

هذه الأيات القرآنية وغيرها من الأيات التي وردت فيها كلمة أساطير تشير إلى وجودها في العقل البشري ، وتعبر عن مدى حاجة الإنسان إلى ما هو غير مألوف .كما أنها وردت في المواضع كلها مضافة إلى كلمة الأولين ، وجاءت على لسان كفار قريش ، في سياق إنكارهم لليوم الآخر، وتحمل دلالة تشير إلى القدم، قال تعالى :

1. الأنعام : 25 .
2. النحل : 24 .
3. القلم : 15 .
4. الفرقان : 5 .

﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ ﴾[1]، فالأساطير لم تكن في آبائهم ، لأنهم على دين آبائهم مهتدون ، فهي تعبر عن مرحلة سابقة انفصل عنها آباؤهم.

ونجد في كتب التفاسير معاني متنوعةً لكلمة أساطير ؛ فيذكر الصابوني في تفسيره" أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ" في سورة القلم على لسان الوليد بن المغيرة أنها : خرافات وأباطيل المتقدمين اختلقها محمد ونسبها إلى الله "[2]، وفي سورة الأنعام على لسان الذين جاءوا مجادلين في آيات القرآن الكريم ويقولون عنه : " بأنه خرافات وأباطيل الأولين " [3].

وذكر "فريزرأن الأسطورة كانت بديلاً عن السحر إذ هي "لا تتعدى أنتكون سوى تفسير تُثيلي للطقوس السحرية التي رافقت الإنسان في حياته البدائية"[4].

ويتضح لنا أن الموضوعات التي تناولتها الأساطير كثرت وتنوعت ، و تعدد مفهومها بتعدد زوايا البحث فيها.

ونجد أن الإنسان كان يحاول دوماً فهم الكون بظواهره المتعددة من خلالها ،فهناك مجموعة من الآساطير " تدور بشكل أو بأخر حول قضايا خلق الكون والآلهة ، وخلق الإنسان والصراع بين قوى الخير والشر وتعرف بأساطير الخليقة "[1].

---

1. الزخرف : 22 .
2. ينظر : الصابوني ، محمد علي : صفوة التفاسير. ط1، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع ، ج3 ، القاهرة ، 1997 م ، ص 426 .
3. المرجع نفسه : ج1 ، ص385 .
4. الكيلاني ، شمس الدين : العود الأبدي إلى الوعي التاريخي . ط1 ، دار الكنوز الأدبية، لبنان/ بيروت، 1998م ،ص71.

المبحث الأول

السماء في المعتقدات والفكر الأسطوري .

إن الله تعالى لما أراد أن يخلق السماوات والأرض خلق جوهرة خضراء أضعاف طبقات السماوات والأرض . ثم نظر إليها نظرة هيبة فصارت ماء ، ثم نظر إلى الماء فعلا وارتفع منه زبد ودخان وبخار ، وأرعد من خشية الله ، وخلق الله من ذلك الدخان السماء "[2] ،فذلك في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [3]، وخلق من ذلك زبد الأرض ، ولما خلق الله الأرض كانت طبقاً واحداً ففتقها وصيرها سبعاً . وذلك قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾[4]، فالسموات والأرض، كانتا منضمتين إلى بعضهما، ملتحمتين، أو ملتصقتين، لا فضاء بينهما ، ففصلتا عن بعضهما ، " ثم قالوا : إن الأرض كانت تتكفأ على الماء كما تتكفأ السفينة على الماء ، فأرساها الله تعالى بالجبال ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ والجبال أرساها ﴾ وقوله تعالى :﴿ والجبال أوتادا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم﴾ وفي هذه الآيات دليلهم [5].

---

1 .علي ، فاضل عبد الواحد : سومر أسطورة وملحمة . دط ، دار الشؤون الثقافية العامة " أفاق عربية " ، بغداد ، 1997 م ، ص 95 .

2 . ينظر : عجينة ، محمد : أساطير العرب من الجاهلية ودلالتها . ص122 .

3 . فصلت : 25 .

4 . عجينة ، محمد : أساطير العرب من الجاهلية ودلالتها . ص122

5 . ينظر : المرجع نفسه ، ص 123 .

وفي أساطير كثيرة عند الشعوب البدائية نجد تكراراً لأسطورة فصل السماء عن الأرض . ففي نيوزيلاندا وجزر كوك يروي السكان الأسطورة التالية :

" بعد أن اتحدت السماء والأرض أنجبتا عدداً من الآلهة الصغار الذين كانوا يعيشون في ضيق وظلمة لشدة التصاق السماء بالأرض ، فقرروا التمرد على هذا الوضع بزعامة الإله الجريء "تاني"الذي رفع السماء بقوة ذراعيه حتى استقرّ مكانها ، ثم قال لتبقَ السماء بعيدة عنا ، أما الأرض فلتبقى قريبة منا أماً رؤوماً"[1].

تظهر العناصر الأساسية في قضية بدء الخلق جلية ، حيث المياه والظلمة والنور والانفصال ، ثم ينظم الكون خلال ستة أيام.فكل الأساطير تشير إلى بداية التكوين من المياه البدئية ليتكون منها الأرض والسماء ، وتبدأ مرحلة التنظيم .

صورة السماء في الفكر الأسطوري

نظر الإنسان إلى السماء أنها سبب وجوده على الأرض ، فهي مصدره للرزق ، فإذا أمسكت لجأ إليها ، وقام بطقوس الاستسقاء لتمن عليه من كرمها وتعطيه من خيرها ، فأثر السماء في الأرض واضح لكل من عاش على سطحها.

تنوعت أساطير التكوين وخلق السماوات والأرض، فهناك أساطير خرافية " تصف خلق الكون بأنه جاء من فراغ – من حيز خال من أي شيء – ، وتصف أساطير أخرى خلق الكون أنه

1 .السواح ، فراس : مغامرة العقل الأولى . ص37 .

بدأ في حيز واسع كبير ، وأسود يزخر بالماء "[1] ، وفي بعض الأحيان كان يعتقد القدماء ومنهم أرسطو أن السماء قبة بلورية صلبة ، فكانت النجوم بالنسبة إليهم نوعاً من رؤوس مسامير لماعة مثبة في السماء الزرقاء وتتحرك معها حول الأرض ، وظهرت كواكب تتحرك بين المسامير اللامعة أطلق عليها الإغريق اسم " السيارات " للدلالة على أنها كواكب جواله "[2] .

وبعد مرور فترة طويلة من الزمن جاء بطليموس ليدحض اعتقاد أرسطو بوجود سماوات بلورية مؤكداً " أن جميع الأجرام السماوية تتحرك حول الأرض في خلاء كوني "[3].

ظهرت أساطير الخلق عند والسومريين ، والبابلين ، والكنعانيين ، والمصريين والكثير من الشعوب والحضارات القديمة ، وكان أبرزها أساطير الميلاد المائي ، فساعة الخلق " هي ساعة صراع كوني شامل ، فالقوى الإلهية الخالقة هي قوى نشطة ، دينامية ، فعالة وليس الكون والحياة والإنسان إلا تعبيراً عن طاقتها الحركية وفعاليتها الخلاقة " [4] .

---

1 . جلال ، ابراهيم : الأساطير الصينية وروائع الحواديت والحكايات الشعبية . ط1. دار طيبة للطباعة – جيزة ، 2009م ، ص 47

2. ينظر : فولكوف ، ألكسندر ميلنتيفيتش : الأرض والسماء. أحاديث ترفيهية في الجغرافيا والفلك ، ترجمة : أدهم السمان ، دمشق ، منشورات دار الثقافة والارشاد القومي ، 1968م ، ص 25 .

3. المرجع نفسه ، ص27 .

4 . السواح ، فراس : مغامرة العقل الأولى دراسة في الأسطورة سوريا وبلاد الرافدين . ط11، دار الكلمة للنشر ، 1981 ، ص23 .

الأسطورة السومرية

نجد في الأساطير السومرية بعض النصوص التي تلقي ضوءاً على أفكار السومريين في موضوع البدء والتكوين ، فلم تكن أفكار السومريين عن الخلق والتكوين أفكاراً بدائية، بل أفكاراً ناضجة بالدرجة التي تتيحها معارف تلك الفترة من بداية حضارة الإنسان "[1] . فوجدت أفكارا تؤمن بحقيقة فصل السماء عن الأرض ، وعند دراسة النصوص الأسطورية حول عملية خلق العالم والكون يظهر لنا أن الألهة "نمو" في النصوص السومرية ، والتي كانت تعني المياه البدئية هي التي أنجبت السماء والأرض اللتين انفصلتا عن بعضهما بعدما كانتا ملتصقتين ، ويشير مطلع إحدى النصوص الأسطورية السومرية إلى ذلك فيقول:

" بعد أن أبعدت السماء عن الأرض

وفصلت الأرض عن السماء

وتم خلق الإنسان

وأخذ " آن " السماء

وانفرد انليل بالأرض

أخذ الآله "كور " الالهة " أريشكيجال " غنيمة " [2] .

وفي نص آخر يؤكد عملية الخلق من خلال الفصل :

---

1 . السواح ، فراس : مغامرة العقل الأولى دراسة في الأسطورة سوريا وبلاد الرافدين . ص26 .
2 .المرجع نفسه. ص34 .

" إن الإله الذي أخرج كل شيء نافع

الإله الذي لا مبدل لكلماته

إنليل الذي أنبت الحب والمرعى

أبعد السماء عن الأرض

وأبعد الأرض عن السماء"[1].

إن إنليل الذي تولد بين السماء والأرض هو " إله الهواء ، وكلمة إنليل مكونة من مقطعين ؛" إن" التي تعني السيد و"ليل " التي تعني الهواء أو الريح ... بعد أن كبر إنليل ، فصل بين أمه وأبيه فرفع أباه السماء "إن " إلى أعلى ، وبسط أمه الأرض "[2].

إن الإلهة الأم في نظر السومرين هي "نمو" ، وهي" إلهة هيولية تحركت فيها إرادة الخلق ، وتصارعت الحركة مع السكون ، ونتج عن ذلك تكون الكون " آن – كي " الذي يعني " السماء – الأرض " ، وهو جبل كوني يقوم وسط مياه " نمو" [3].

وفي أساطير سومر" كانت" نمو " ساكنة ، لكنها تحركت ، وبدافع الحركة والسكون كان ظهور السماء والأرض ، وكانتا في حالة التصاق وعناق . والسماء في الأساطير السومرية ذكر يمثله الإله "آن " وقد تزوج إلهة الأرض " كي" وسكبن الأمطار من السماء على الأرض "[4].

---

1 . السواح ، فراس : مغامرة العقل الأولى دراسة في الأسطورة سوريا وبلاد الرافدين ،ص 35.
2 . معدي ، الحسيني الحسيني : الأساطير السومرية . ط1،كنوز للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2012م، ص96.
3 . المرجع نفسه، ص96 .
4. أبو السعود ، صلاح : أساطير سومر وبابل . ط 1، دار طيبة للطباعة ، الجيزة ، 2009 م، ص7 .

ذكرت الأساطير السومرية أن السماء خلقت عندما قام الإله "إنليل" بفصل أبيه "آن "عن المياه البدئية ورفعه فصار سماء " [1]، وأشارت الأسطورة السومرية إلى أن النجوم خلقت بوساطة إله النجوم الذي نثرها على القبة الزرقاء "[2].

الأسطورةالبابلية

كانت ولادة الكون في الفكر البابلي من المياه الأولى "تعامة " المقابلة ل" نمو" السومرية .والأسطورة البابلية ، أو ما يطلق عليها بالتكوين البابلي ، و جاءت حاملة مضمون فكرة وجود الكون " التي تتحدث عن الفوضى التي تعم الكون ، فلم يكن هناك أرض ولا سماء ، ولم يكن موجوداً من الألهة سوى أبسو وممو وتعامة "[3].

بدأ الكون بالمياه الأزلية الذي سكنته الآلهة الثلاث ،وفي الأسطورة البابلية يقوم الإله مردوخ بشطر جسم الالهة "تعامة" ، المياه الأولى إلى نصفين ،فيرفع الأولى ، ويبسط الثانية أرضاً . وتبدأ عملية خلق الكون من شق جسد تعامة من قبل مردوخ كما يظهر لنا في النص الآتي :

" شقها نصفين فانفتحت كما الصدف

رفع نصفها الأول وشكل منه السماء سقفاً

وضع تحته العوارض وأقام الحرس

---

1. فراس ، السواح : مغامرة العقل الأولى ، ص 33 .
2. مظهر ، سليمان ، قصة الديانات . ط1 ، مكتبة مدبولي ، مصر ، القاهرة ، 2003 م ، ص 34 .
3. الحواري ، رائد محمد جميل : الحضارة الهلالية والتكوين التوراتي . ط1، دار الفاروق ، نابلس ، 2001 م ، ص 46.

أمرهم بحراسة مائها فلا يتسرب

ثم جال أنحاء السماء فاحصا أرجاءها

...ثم أعطى الانو وانليل وأيا مساكنهم "

وفي مقتطفات أخرى من الملحمة نرى كيفية خلق الجبال

" وعند ثديها رفع الجبال السامقة

وفجر منها عيوناً وأحيا آباراً

لوى ذيلها وثبته في الأعالي

فانفتح شقاها ثبت في السماء

فغطاها جميعا وشق رسخ أرضا " [1].

ومن هذه النصوص تتضح " أفكار البابلين في الخلق والتكوين ، بشكلها الأكمل ، في ظهور أول نص بابلي تناول قضية الخلق، في ملحمة التكوينالبابلية المعروفة باسم "الإينوما إيليش"[2*]**، واسم الملحمة مأخوذ ،كما هي عادة السومريين والبابليين، من الكلمات الافتتاحية**

1. السواح ، فراس : مغامرة العقل الأولى . ص 66+67 .

2*. هي أسطورة الخلق البابلية وهي واحدة من أهم أساطير وادي الرافدين، يعود تاريخها إلى مطلع الألف الثاني قبل الميلاد، وقد عثر عليها في مكتبة "آشوربينيبعل" في نينوى في المكتبة الملكية عام 1848م.في أثناء أعمال تنقيب أثرية. وقد كان تُتلها من الطقوس الدينية الأساسية في معبد الإله مردوخ وكانت تتلى فياليوم الرابع من "أكيتو" (احتفالات رأس السنة الآشورية في بابل) انظر : نعامنة ، محمود : من الإينوماإيليش إلى ملحمة جلجامش –أساطير من بلاد الرافدين (السومرية والبابلية) ، تفاصيل جديدة أهملها الميثولوجيون . مجلة المجمع ، كلية القاسمي ، باقة الغربية ،2014 ، ع8 ، ص246

للنص . فاينوما إيليش، تعني: عندما في الأعالي . فعندما في الأعالي لم يكن هناك سماء ، وفي الأسفل لم يكن هناك أرض . لم يكن في الوجود سوى المياه الأولى ممثلة في ثلاثة آلهة : " ابسو" ، و" تعامة " ،و " ممو" . فأبسو هو الماء العذب ، وتعامة زوجته كانت الماء المالح ، أما ممو ، فيعتقد بعضهم أن الأمواج المتلاطمة الناشئة عن المياه الأولى "[1] ، وفيما يلي جزء من اللوح الأول من نص الإينوما إيليش .

"عندما في الأعالي لم يكن هناك سماء قد وجدت ،

ولم يكن هناك أرض ظهرت .

وفي الأسفل لم يكن هناك أرض

ولم يكن (من الالهة) سوى أبسو[*2] أبوهم ،

وتعامة التي حملت بهم جميعاً .

يمزجون أمواههم معاً "[3].

كانت الفوضى تعم الكون فلا يوجد أرض ولا سماء " ففي أول الأمر كان العماء ، فلم يكن هناك سماء ولا أرض ، لم يكن في الوجود إلا العماء المائي ، حيث كان " أبسو " المياه العذبة يختلط بمياه " تعامة " و " تيامات" المالحة ، أخذت الألهة بعد ذلك في الظهور ، إلى

1 .ينظر : السواح ، فراس : مغامرة العقل الأولى . ص 52 .

2*.أبسو : المياه العذبة .

3. السواح ، فراس : مغامرة العقل الأولى .ص 56 .

أن ولد " آنو" الذي أصبح فيما بعد إله السماء "[1] ، وبعد ولادة الإله مردوخ أعظم آلهة بابل وإعطائه قوة تقرير المصير من قبل جميع الألهة طلب مردوخ قتالاً مع تعامة ، فوافقت عليه ، ودخل الاثنان حالاً في صراع مميت ، وتحقق الانتصار لمردوخ ، وبدأ ببناء الكون وتنظيمه "[2] .قام " مردوخ " بإخراج الكون من حالة السكون والركود إلى حالة الحركة بشق جثة تعامة إلى شقين ، وجعل منها السماء والأرض ثم قام بباقي عملية الخلق إلى أن خلق الإنسان "[3].

ويظهر لنا في اللوح السادس ما يلي :

" شقها نصفين فانفتحت كما الصدفة

رفع نصفها الأول وشكل منه السماء سقفاً

وضع تحته العوارض وأقام الحرس

أمرهم بحراسة مائها فلا يتسرب

ثم جال أنحاء السماء فاحصاً أرجاءها " [4]

وفي نص آخر :

قام مردوخ ، ملك الألهة ، بتقسيم

جميع الانوناكي ، فجزء في الأعلى وجزء في الأسفل

---

1. أبو السعود ، صلاح : أساطير سومر وبابل . ص 167 .
2 . ينظر : السواح ، فراس : مغامرة العقل الأولى . ص 54 .
3. أبو السعود ، صلاح : أساطير سومر وبابل . ص168 .
4. الحواري ، رائد محمد جميل : الحضارة الهلالية والتكوين التوراتي . ص47.

وأوكلهم لآنو ليحرصوا على طاعته.

وضع في السماء ثلاثمائة لحراسها

وثلاثمئة أخرى في الأرض .

وبعد أن أنهى كل تنظيم وقسم لكل من آلهة السماء والأرض نصيبه

فتح الآنوناكي فمهم"[1].

بدأ الكون في الأسطورة البابلية نتاج ثلاثة أجيال من الألهة . هذا النتاج يمثل مرحلة التشكل والتكوين ، فمرحلة التنظيم ، ففكرة الصراع بين أجيال الألهة يمثل تمثيلاً رمزياً لمراحل تنظيم العالم ، و " بعد الانتهاء من عملية الخلق ، يجتمع الإله مردوخ بجميع الآلهة ، ويحتفلون بتتويجه سيداً للكون . بنوا مدينة بابل ، ورفعوا له في وسطها معبداً تناطح ذروته السحاب هو معبد الايزاجيلا [2].

وعند تأمل الأسطورة البابلية في عملية النشوء والتكوين يظهر أن " الشكل الحالي للوجود قد انبثق عن شكل سابق له ، ولم ينبثق من العدم ، فعندما كانت تعامة وآبسو وممو يمزجون أمواههم معاً ، لم يكن هناك زمان ؛ لأن الزمان نتاج التغير ، مرتبط بايقاعه ، وتلك العناصر الثلاثة كانت في هدأة وصمت وسكون ، كما لم يكن هناك مكان ، لأن المياه المتمازجة كانت وحدها ولا موجود معها قبل أن تخلق السماوات والأرض " [3].

---

1 . السواح ، فراس : مغامرة العقل الأولى .ص 83 .
2 . المرجع نفسه . ص 55 .
3 . المرجع نفسه ، ص 93 .

فالخلق فيالرواية البابلية قد جرى بصراع شرس بين الإله "مردوخ" وغريمته"تيامات TIAMAT)"

(لأنها رمز للفوضى البدائية،وقد انتهى هذا الصراعبانتصار الإله "مردوخ" الذي دحرها، ليشطرها نصفين أحدهما السماء والأخر الأرض، جاء فياللوح الرابع من "ملحمة الإينوما إيليش" قوله :

داس الرب على ساقي تيامات

بصولجانه الذي لا يرحم، حطم جمجمتها

قطع أوعيتها وأنزف دمها

توقف الرب يتفحص جثتها الهامدة

ليشق الوحش ويقوم بأعمال الإبداع

شقها فلقتين كما يشق الصدفة

رافع نصفها وجعله سقف الجلد .

فالخلق إذن مع الإله مردوخ كان من أجل إحلال النظام محل الفوضى ؛ لأنه "لم يفترض الخلق من العدم، وإنما افترض الوجود، ولكن في حالة من الفوضى وعدم الانتظام. وبهذا فإن الكون لا يبدأ ب"خلق"وإنما يبدأ بتنظيم ما هو في حالة الفوضى"[1]

يظهر لنا من خلال قراءة الملحمة البابلية " أن القوى المتمثلة في الثالوث البدئي تنتج في صميمها القوى الحركية المتمثلة في الألهة الجديدة ، ومن صراعهما يظهر إلى الوجود الكون بكل مظاهره . الماء العذب موجود في بطن الأرض لأن "أياً " قد قهر "أبسو" وبنى مسكنه فوقه

1. كنعان ، جورجي : مفهوم الألوهة في الذهن العربي القديم . ص162.

تاركاً إياه حبيساً في الأعماق ، والسماء والأرض تكونتا من جسد الالهة تعامة التي شطرها مردوخ إلى شطرين " [1].

وبعد هذه المقتطفات يتبين لنا أن البابليين أوجدوا أفكاراً في عملية خلق الكون كان لها أكبر الأثر في ثقافة ومعتقدات من جاء بعدهم .

الأسطورة المصرية :

تحدثت الأساطير المصرية[2*] عن عملية خلق السماء ، " فقد رأوا في السماء بقرة كبيرة تعتمد على قوائمها الأربعة التي تمثل دعائم السماء ، وفيها يبحر قارب يحمل شمس الصباح . ورأو في السماء أيضاً امرأة تحل محل البقرة أحياناً ، تنحني بجسدها المديد فوق الأرض ، وتعتمد على ذراعيها وساقيها التي تحل محل قوائم البقرة "[3] ، وبهذا نرى أن تصوراتهم تعددت تجاه حقيقة السماء فكثرت رموزهم .

الأسطورة العربية :

تفاعلت الأسطورة العربية مع السماء ، واعتقد الإنسان أنها مكان للآلهة والقوى الخفية التي تتحكم في سقوط المطر ، فكان الاستسقاء بالنجوم طقساً من الطقوس التي يتبعها الإنسان العربي ، ولم تكن السماء ذلك المكان العالي المفتوح الذي لا حدود له فحسب ؛ بل تصوّر

---

1 . السواح ، فراس : مغامرة العقل الأولى . ص 94 .

2* . المصريون : أصول مختلفة قدمت من بلاد النوبة جنوبا وليبيا والفئات السامية شرقا والحامية شمالا ، اختلطت هذه الأصول في وادي النيل وألفت الشعب المصري ، ومن الشخصيات التي حكمتهم خوفو ، خفرع ، وأخناتون . انظر عنه : الهاشم ، رانيا : موسوعة قصة وتاريخ الحضارات العربية ، ج17 ، ط1 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، 1999م ، ص 29 .

3. مظهر ، سليمان ، قصة الديانات . ص38 .

الإنسان الجاهلي أنّ أعلى قمّة فيها هي مكان العرش الخاص بالله عزّ وجل، وعدا ذلك هو المكان الدنيا تتوزع فيه الملائكة والجن والكواكب ، وتجري عليه مختلف الحوادث المتعلقة بالكواكب خاصة الشمس والقمر"[1].

ويمكن إرجاع عبادة العرب لآلهة الفلك والسماء إلى ثالوث معبود : القمر وهو الإله الأكبر، والشمس التي هي زوجه ، وكان اسمها اللات ، ثم عشتار أو العزى ، وهي الزهرة ألمع الكواكب بعد الشمس والقمر"[2].

وانتشرت عند العرب عبادة النيران، ولعلّ أصل هذه العبادة يعود إلى عبادة الأفلاك والكواكب ، باعتبارها أقرب الأجسام المرئية إلى االله ، وباعتبار أنّها حيّة ناطقة ، وأنّ ما يحدث في العالم هو على قدر ما تجري به الكواكب عن أمر االله، ولما كانت الكواكب تختفي نهاراً ، وفي بعض أوقات الليل ، فإنّهم جعلوا لها أصناماً وبيوتاً وهياكل . سموها بأسماء الكواكب السبعة بما فيها الشمس والقمر، ولما كانت النار تشبه بضوئها الشمس والكواكب، فإنّهم عظّموها تعظيمهم للشمس والكواكب "[3]، فكانت السماء عندهم تقترن بالخير والهيمنة، و تعني السمو فوق الأشياء.

ويذكر جواد علي أن العَرَب قد اتخذوا من النُجوم مواقيت للاهتداء بها في سفرهم وترحالهم في البر والبحر ، إذ " اتخذ الجاهليون النجوم دليلاً لهم يهتدون بها في ظلمات البرّ والبحر، ولا بد

1. ينظر: عسكر ، قصي الشيخ :أساطير العرب قبل الإسلام وعلاقتها بالديانات القديمة. ط 1 ، د ار معدللطباعة والنشر والتوزيع ، 2007م،ص 129-130 .
2. ينظر:الخطيب، محمد :الدين والأسطورة،ص37 .
3. ينظر: المسعودي، أبو الحسن علي ابن الحسين بن علي :مروج الذهب ومعادن الجوهر.مج 1، ص. 543.

للاهتداء بها من الوقوف عليها ، ووضع أسماء لها وتعيين البارز منها، ووضع مَعالم لها ليكونفي الإمكان مَعرفتها ، ومعرفة اتجاهات السير بها، والاستعانة بها، وبالجهات الأربع في معرفةالإتجاه المؤدي إلى المكان المراد، فكانوا إذا سألهم سائل عن طريق قال (عليك بنجم كذا وكذا)" [1].

نسج العربي أساطيره حول الكواكب، ومن ذلك ما تم ذكره عن" الدَّبران "[2*]، أنه خطب"الثرّيا"[3*]، وأراد القمر أن يزّوجه منها، لكنها أعرضت عن ذلك، وقالت للقمر: ماذا أصنع بهذا"السبروت" الذي لا مال له؟! ، فجمع الدبران "قلاصه" [4*]، ووضعها أمامه، وأخذ يتبعها ويلاحقها لإقناعها بالزواج منه غير أنّ "العيوق"، وهو كوكب آخر مضيء، يطلع قبل الجوزاء، عاقالدبران عن لقاء الثريا، فسمي بذلك " [5]، ولعلّ في هذا كلّه ما يعلل لنا عبادة العرب للثّريّا بوصفها "ربّة " للخصب، ومانحة للغيث، فقد ارتبطت عبادة الكواكب عند العرب كغيرهم من المجتمعات القديمة ، بما كانت تتركه من آثارفي حياتهم ، ومن ثم اختلفت دوافعهم إلى هذه العبادة ، ومواقفهم من تلك الكواكب التي عبدوها، فكانت عبادة حب لما تبعثه في

---

1. علي، جواد : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام . ط2 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، مج 8 ،1976م ،ص426 .

2*. الدّبران: نجم بين الثّريّا والجوزاء، ويُقال له التابع والتّويبع، وهو من منازل القمر، وسمي كذلك لأنه يدبر الثّريّا أي يتبعها، [انظر: لسان العرب، مادة "دبر" .

3*. الثّريّا: من الكواكب، سميت لغزارة نَوْئها، وقيل سميت بذلك لكثرة كواكبها مع صغر مَرْآتها، فكأنها كثيرة العدد بالإضافة الى ضيق المحل، [انظر: لسان العرب ، مادة " ثرا " ، وانظر:البستاني، بطرس: محيط المحيط، مادة "ثرا.. ثريا".

4*. لفُلاص: الفَتيّة من الإبل، أيّ صغارها التي ساقها "الدّبران" صداقا للثريا، [انظر: لسان العرب، مادة " قَلَصَ".

5. ينظر : لسان العرب، مادة "عوَق " .

حياتهم من خصب وثراء، وعبادة خوف ورعب لما تبعثه منشؤم وجدب ، كما حدث في عبادتهم لـ "الدبران" ، حيث كانوا يعدونه كوكباً مشؤوماً "[1].

وكان الاستسقاء بالنجوم من أهم معتقدات العرب الجاهليين، فقد جعلوا المطر فعلاً للكواكب، وحادثاً عنها، فقد نسبوا الأمطار والرياح إلى الساقط والطالع من النجوم، وأضافوا الغيث إلى الكواكب، فقالوا مُطِرْنا بنوء كذا... فقد جاء في المخصص: "وإنما جاء حمدهم بعض الأنواء وذمهم بعضاً من قِبَل مواقع الأمطار التي تكون في أيامها"[2]، ومن هذا يتضح لنا أن الإنسان العربي كان يستسقي بالنجوم.فالمطر هو نتاج الكواكب المنتشرة في السماء .

و نرى أنّ الأساطير التي نسجها الإنسان للظواهر الطبيعية مثل :(السماء والأرض والجبال) ارتبطت بشكل لافت بمعتقداته وقناعاته الدينية ، فكان لها الحضورالأوفر في أساطيره ، وهكذا نستطيع القول : إن كل الأزمان التي مرت بها البشرية كان للأسطورة حضور واضح في حياة الإنسان ، تعبر عن وعيه بما يحيط به ، فكانت الأسطورة له صيغة من صيغ الانفعال والتأثر الذي تعرض له ، وكان لسحر المظاهر الطبيعية حوله أثر بارز في تلك الانفعالات ، فظهرت الأسطورة لتعبر عن رؤاه واحتياجاته النفسية والمجتمعية والثقافية ، فعالم الأرض بكلّ ما فيه من سحر وجمال التقى واندمج مع عالم السماء بكل ما فيه من غموض وصفاء .

---

1. ينظر: عبد الرحمن ،إبراهيم :التفسير الأسطوري للشعر الجاهلي . مجلة فصول، مج1 ،ع 3، ابريل،1981م ، ص131.

2. ابن سيدة ، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي : المخصص .تح ، خليل إبراهم جفال ، ط1، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، مج2، 1996، ص2 .

صورة الأرض في الفكر الأسطوري :

أضفى الإنسان ثوب الحياة على كل ما هو موجود على الأرض ، ونسج أساطير كثيرة تتعلق بها ، فسكن الأرض ، وتأثر بكلّ موجوداتها من جماد ونبات وحيوان ، وانفعل معها. فنراه قد شكّل وجوده أمامها، لأنّها سيطرت عليه بشكل كبير، فراح يتأملها ليعرف كيف يتعامل معها ، ويمكنه من اختيار ما يسهّل عليه سبل الحياة والعيش والاستقرار. فكانت عبادته للآلهة الأرضية : "عبارة عن التماثيل والأصنام وبيوتاً للأصنام والأنصاب والحجارة المؤلهة والأشجار والقبور وسواها مما يُعبد من دون االله " [1].

ونلاحظ تأثر الأساطير التي تحدثت عن خلق الأرض بمفاهيم وثقافات الأمم على مر العصور ، فهناك من عَبد الكواكب ، ومِنهم من عبد القَمَر، وزعموا أنه ملك من المَلائكة يستحق التَعظيم والعِبادة ، وإليه تدبير العالم السُفلي، ومن دينهم أن يسجدوا له ويعبدوه، وأن يَصوموا النِصف من كل شهر، لا يفطروا حتى يَطلع القَمَر، ويَسألون حَوائجهم. وهناك من عَبد الشمس، وزعموا أن الشَمس مَلك من الملائكة، ولها نفس وعقل ومنها نور الكواكب ، وهي مَلِك الفلك ، فتَستَحق التَعْظيم والسُجود والدُعاء"[2].

واعتقد الإنسان قديماً أن الأرض قرص مسطح " فقدماء الهنود كانوا مقتنعين أن قوقعة الأرض محمولة على أربعة أفيال تقف على ظهر سلحفاة عظيمة " [3].

---

1. ينظر:الخطيب، محمد : الدين والأسطورة . ص37 .
2. الشهرستاني :الملل والنحل. تح ، محمد سيد كيلاني، دط ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، د ت ص257، 258.
3. فولكوف : الأرض والسماء : أحاديث ترفيهية في الجغرافيا والفلك . ص 10 .

الأسطورة المصرية

أوردت الأسطورة المصرية أن الأرض عبارة عن تل بدائي ملتهب ، ظهر فوق سطح الماء ، واعتقد بأنه ثعبان أو عجل "[1]، وفي روايات أخرى تخيل المصريون القدامى أن " الأرض رجل يستلقي على بطنه ، أو على ظهره ، وهو جسد مؤله هو " جب " . وبين السماء والأرض يقبع الفضاء " شو " وهو إله يسند مع غيره من الآلهة البقرة ، وهو يقف على الأرض ويسند السماء بذراعيه"[2].

الأسطورةالزرادشتية

تناولت الأسطورة الزرادشتية قضية خلق الأرض ، فصورتها بأنها جسد رجل عظيم ، وكان هو رجلا هائلاً ضخماً ضحى بجسده على مذبح الآلهة .. ، ورضيت الآلهة عنه فحولت جسده إلى ذرات صغيرة عادت لتلئم من جديد وتتحد جزيئاتها .. ، ومن هذا الاتحاد تكونت الأرض وكل ما يحيط بها من يابس وماء .. فكانت الأرض جزءاً واحداً من هذا الكون .. من بين واحد وعشرين قسماً ينقسم إليها هذا الكون ذو الشكل البيضاوي الذي يسمى " بيضة براهما "[3].

وبعد الاطلاع على بعض آراء المؤرخين والمفسرين في قضية خلق السماوات والأرض ، نرى تسلل بعض الأفكار الأسطورية ، والتي قد تكون نتاج الفهم المحكوم للمعرفة القديمة ، فظهر

---

1. كريمر ،صموئيل نوح: أساطير العالم القديم، ترجمة أحمد عبد الحميد يوسف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973م . ص 25 .

2. ينظر : مظهر ، سليمان : قصة الديانات . ص38 .
3.المرجع نفسه ، ص 93 .

تأثير الثقافات المتباينة على مر الزمان في آرائهم وتفسيراتهم جلياً في كثير من المواضع ، كما نرى الحاجة الملحة إلى تطهير و تنزيه آي الذكر الحكيم عن الفهم الأسطوري الذي تسلل إلى بعض كتب التفسير .

صورة الجبال في الفكر الأسطوري

حاول الإنسان على مر التاريخ نقل صورة الآلهة الموجوده في السماء إلى الأرض من خلال رموز الألهة التي ابتدعها وعبدها على مر التاريخ ، فكان الجَبَل هو " أقرب الأشياء الطَبيعية إلى السَماء، وهذه الصِفة تَكفي كي يَمْتَلِك الجَبَل مِسحة مُقَدَّسة، فمن جهة يَشتَرك ُفي الرمز الفضائي للتصاعديَّة الروحيَّة ، ومن جِهة ثانية ، إنه المَسرح الأفضل للمقدَّسات الفَضائِية، وتالياً مركز الآلهة."[1]، فتصور أن أعلى قمة على الأرض هي مكان لعرش الآلهة ، وأن الأماكن المقدسة هي الأماكن الأكثر ارتفاعاً من غيرها ، فكان يقدم الأضاحي والقَرابين، طَمَعاً في برَكتها، وإتقاء شرها .

أسطورة الجبل عند السومرين

لو رجعنا إلى الفِكر السومري لوجدنا أن الجَبَل في الفِكر السومري هو بِداية الخليقة ، حيث تَمَثَّلت البدايات بِظهور جزيرة من اليابسة على هَيئة جَبل قُبته السَماء، وقاعِدته الأرض" [2].

كما اعتقد السومريون أن هنالك علاقة تربط الآلهة ، بالرياح القادمة من الجِبال ، دافعة أمامها السُحب المُمْطرة ، التي ينشأ منها ظواهر الطوفان في بعض الأحيان"[1].

1. صدقة ، جان مخايل : رموز وطقوس . دط ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت – لبنان ، 1994 م ص63 .
2. السواح، فراس : مغامرة العقل الأولى، ص34 .

وقد شاع الاعتقاد بأن الجِبال مَوطن الآلهة عند مُعظَم الشُعوب السامية، إذ إن (بعل) إله الخِصْب والحياة عند الكَنعانيين، تَمَكَّن من القَضَاء على الهة مَوت ، ومَضى إلى جَبل صفون، حيث كان يُديرُ شُؤون العالم من عَليائه"[2].

وأشار بعضهم إلى جُملة من المُعْتقدات في الدِّيانات السِّاميّة التي تؤكد الحلة المقدَّسة التي ارتداها الجَبَل لديهم، منها بعض المحظورات التي حظر الإتيان بها على قِمم الجِبال كملاحقة الصياد لفريسته، وقطع الحطاب للشجر، وممارسة الأعمال الجِنّسية، فالمجرم الذي يلجأ إلى هذا المكان المقدَّس، تحميه قداسة المكان، وكل حيوانَ يدخل المكان لا يعود يملكه صاحبه، بل يدخل ملكية البقعة المقدَّسة "[3]، فهذه المحظورات وغيرها تشير إلى قداسة الجبل وعظمته.

أسطورة الجبل عند المصريين

استَمدت الرابية قُدسِية خاصة في الثقافة الفرعونية القديمة ، كما استمدت مَعنى دينياً، وفقاً لنَظْرة القَداسَة المُتَصِلة بالإله، وبناءً على ذلك، فقد استَمَد المَعْبد المُقام عليها قُدسِيته من قُدسِية المَكان، لأنهم كانوا يَعتَقدون عندما يُؤَسِسون مَعْبداً جَديداً أن إمكانية القُدسية في مَوقِع البِناء، قد تَحَقَّقت وكَشَفَت عن نَفسها "[4].

---

1. توكاريف، سيرغي :الأديان في تاريخ شعوب العالم .ط1 ، الأهالي للطباعة والنشر ، دمشق ، سورية ، 1989 م ،ص340 .
2. السواح، فراس : مغامرة العقل الأولى . ص117 .
3. صدقة: رموز وطقوس . ص. 63 .
4. فرانكفورت، هنري وآخرون : ما قبل الفلسفة (الإنسان في مغامراته الفكرية الأولى) . تحقيق جبرا إبراهيم جبرا، ط 2 ، لمؤسسة العَرَبية للدراسات والنشر ،1980 م ، ص35.

وتَتَضح قُدسية المَوقع عند قُدماء المصريين، من خِلال القُبور المَلكية، التي جاءت مُطابقة للرابية الأولى، مَركز قُوى الخلق، حَيث بدأت الحَياة المُنَظَمة في الكَون، والرابية هي أفضَل مَكان يَعِدُ بالفوز في عُبور أزمة المَوت، لذا فقد كان ضَريحُ المَلِك يُبنَى في شَكلِ هَرَم والهَرَم هو التَشْكيل الفَني للرابِية الأُولى لَدى أهل هليوبوليس "[1].

وقد تَطَورت النَظرة للجِبال، فأصبَحَت الجِبال مَوطِناً للآلِهة، كجَبل الأَرز الذي يُعَدُّ من الأماكِن الأُسطورية في مَلحَمة جلجامش بوَصفِه مَسكَن الآلهة"[2]، وقد نَظَروا إلى الجِبال نظرَة يَشوبُها الخَوفُ والرَهبة ، فجَبل (ماشو)، من الجِبال الأُسطورية، حَيث يُراقَبُ مَشْرق الشَمْس و مَغربها، وطريقه مَحْفوف بالمَخاطِر، لم يتَمَكن أحَد من الوصول إليه قَبل جلجامش الذي وصَلإليه بمُساعَدة الآلهة ، في بحثِه عن الخُلود"[3].كما اتضح ارتباط الجَبَل بالخلود في قصة لقمان بن عاد وأنسره السبعة، حين اختارلقمان عُمْرَ سبعة نسور، وهو بجبل أبي قبيس، وحين ناداه مناد في كل مرة أن يأخذ فرخ كلمنها من قمة جبل "[4].

أسطورة الجبل عند العرب

أدرك الإنسان على مر الزمان أن الجِبال هي المأوى الثابت الوَحيد المُقاوِم الذي يمنع الموت ويحقق الخلود الدائم ، فارتَبَطَ الجَبَل عند العَرب بالعَديد من مَظاهِر حَياتهم ، ومَظاهِر

1. فرانكفورت، هنري وآخرون : ما قبل الفلسفة (الإنسان في مغامراته الفكرية الأولى) ، ص35.
2. السواح ، فراس : كنوز الأعماق (قراءة في ملحمة جلجامش) . ص140.
3. النعيمي، أحمد اسماعيل :الأسطورة في الشِّعْر العَرَبي قبل الإسلام. ط 1 ، القاهرة، سينا للنشر، 1995، م ، ص165.
4. عكاشة، ثروت: الفن العراقي(سومر وبابل وآشور) . ط 1 ، القاهرة، المؤسسة العَرَبية للدراسات والنشر، دت ، ص66.

عِباداتهم، منها عِبادة الأصنام، إذ وضَعَت القَبائل العَرَبية أصنامها في الجِبال، وكانت تَحجُّ إليها، وقد كانت هُذيل تقول في تَلبيتها: لبيك اللهم لبيك، لبيك عن هذيل، قد أدلجت بلَيل، تعدو بها ركائب إبل وخيل، خَلَّفَت أوثانها في عرض الجُبيل "[1]، وكانت قبيلة كندة تَذكر جبل ثبير في تَلبيتها، فتقول:

لبيك ما أرسى ثبير وحده

وما أقام البحر فوق جده

إن التي تدعوك حقا كنده "[2].

تأتي قُدسية الجَبَل عند العَرَب، من كونه صِلة الرَبط بين السَماء والأرض، من خلال نُزول آدم عليه السلام على جبل نود، ودخوله كذلك في بِناء البُيوت المقدَّسة، فقد بنى آدم عليه السلام البيت من خمسة أجبل هي: "طور سيناء"[3*] ،"وطو زيتا" [4*] ولبنان ،والجودي، وبنى قواعده من حراء ." [5]

وارتَبَطَت الجِبال عند العَرَب بِمظاهر التعبد واللجوء إلى الألهة ، فكان يَحجُ المُتَعَبدون إلى المُرتفعات للتَقرب من الألهة والتَبَتُل، ومن تلك المُرتَفعات حِراء، وأبو قبيس، وثبير كما

---

1. قطرب، أبو علي محمد بن المستنير :الأزمنة وتلبية الجاهِلِيَّة . ط 2 ، تح: حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت،1985 م ، ص 43.

2. قطرب، أبو علي محمد بن المستنير :الأزمنة وتلبية الجاهِلِيَّة. ص43.

3*. اسم موضع بالشام يضاف إليه الطور فيقال طور سيناء ، وهو الجَبَل الذي كلم االله تعالى عليه موسى بن عمران عليهالسلام ونودي فيه وهو كثير الشجر، للمزيد أنظر: الحموي :معجم البلدان، . 300/3

4*. جبل بقرب رأس عين عند قنطرة الخابور، على رأسه شجر زيتون، عذي يسقيه المطر؛ ولذلك سمي طور زيتا، وفيفضائل البيت المقدَّس وفيه طور زيتا، وقد مات في جبل طور زيتا سبعون ألف نبي؛ قتلهم الجوع والعري والقمل، وهو مشرف على المسجد، للمزيد أنظر: الحموي :معجم البلدان،4/47-48 .

.5 ابن الأثير : الكامل في التاريخ، 35/1.

كانت "الجِبال في نظر العَرَب مَسكونة بالأرواح ، التي قد تُسَبِبُ الأذى لِمن لا يَعمَل على اتقاء أذاها، وتَرضِيتها بالشَعائر والتَعاويذ ، والدُعاء وتَقْديم القَرابين"[1].

وفي الحكايات الأسطورية قصة لجبل " أبي قبيس" الموجود في الحجاز والذي كان له سر غريب بقصة خروج الحجر الأسود منه ، وتحدثنا الحكاية الأسطورية " بينما إبراهيم يبني البيت إذ ناداه جبل أبي قبيس : يا ابراهيم إن لك عندي وديعة فخذها ، فلما دنا منه انشق الجبل وخرج منه الحجر الأسود " .[2]

نجد للجِبال في حياة العَرَب أهمية كبيرة، فقد تَسَموا بالجَبَل، فمِن أسمائهم مُعاذ بن جبل، وجبل بن لهماذ، كما كان من أسمائهم جَبل وجُبيل وحُجير وصَخر، وكذلك سُمِّيَت الجِبال بأسماءالأشخاص ، كأَجأ، وثبير، وسلمى، وأبي قبيس "[3].

يتضح لنا أن ثَقافات الأمم المختلفة وفلسفتها ونظرتها حول الجِبال لا تكمن في كونها كُتلة من الحِجارةِ والتُراب فقَط ، بل تحمِلُ معاني القداسة والرفعة، كما تتقاطع وتتطابق جميع الثقافات في نظرتها للجبال بفكرة التَقديس والتعظيم والرفعة أحياناً، وفكرة الخَوف والرَهْبة أحياناً أخرى من حَيث دَورها في نَشأة الكَون، وكَونها مَقَراً للعِبادة والتَقرُب إلى الآلهة ، وملاذاً حقيقياً من الموت والهلاك .

---

1. النعيمي :الأسطورة في الشِّعْر العَرَبي قبل الإسلام، ص168.
2. خليل ، أحمد خليل : مضمون الأسطورة في الفكر العربي . ط3 ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، 1986 م ، ص56 .
3. الهمذاني : صفة جزيرة العَرَب، ص124. وعبد الحكيم:موسوعة الفولكلور والأساطير العَرَبية . ط1 -دار العودة، 1982م، ص159 .

المبحث الثاني

صورة السماء والأرض والجبال في التوراة .

مدخل

حضرت الأسطورة في الكتاب المقدس حضوراً لافتاً في مستويات عديدة ، لعل أبرزها قصة الخلق والتكوين والجنة والطوفان، فسلكت التوراة مسلك أساطير التكوين السومرية والبابلية والكنعانية والمصرية في شكلها ومضمونها في قضية الخلق والتكوين ، والمتدبر للعهد القديم يتنبه إلى أنه مزيج من أساطير الأولين، أساطير بابل وسومر وأكاد والإغريق والفراعنة . فتفاعل النص اليهودي معها فباتت جزءاً منه، وكانت "عماداً ودعامة تتقنع فيه وتسكنه وتأوي إلي"[1]

استلهم سفر التكوين التوراتي مادته في موضوع الخلق من ثقافات متنوعة ، ونخص بالذكر الثقافة المصرية والبابلية ، وفي هذا المبحث سنوضح أثر هذه الثقافات في فكرة مبدأ الخلق في العهد القديم ، وسنبدأ بالثقافة البابلية ، فقد نقل عنها اليهود كثيراً ، وذلك أيام السبي البابلي الذي" قدم لليهود فرصة الاطلاع على آداب وادي الرافدين، وديانتهم وأساطيرهم

1 . السواح ، فراس : الأسطورة: المصطلح والوظيفة . ص5 .

،وعندما عادوا إلى أورشليم وقاموا بتدوين نصوص التوراة المتفرقة في كتاب جاء شاملاً، دخلت خبراتهم أيام السبي بشكل تلقائي وطبيعي فيما دونوه من نصوصاً "[1].

واللافت للانتباه وجود قاسم مشترك واحد بين قصة الخلق في التكوين التوراتي ، وفي التكوين البابلي ، وهو الخالق والخلق ، فالخالق:هو الله/ الرب في "سفر التكوين" ، وهو الإله "مردوخ " (MARDUK) في النص البابلي، والخلق : هو الكون الذي كان في حالة عماء وظلمة وقفار، وأن الإله في الروايتين اليهودية والبابلية عمل على تحريك الظلمة ؛ ليبعث في الكون الحياة والحركة والنور. وعملية الخلق بدأت من المياه، وهي مياه أزلية في النص البابلي ، أما في "العهد القديم." فالله هو الأزلي ، وهو الذي خلقها إذ " كانت روح الله يرف على سطح المياه"[2].

وجاء في التوراة أن الرب العبراني واجه الوحش الخرافي "لوياثان" وهو التنين ذو الرؤوس السبع ، وشقه نصفين صنع منهما السماء والأرض، فقد جاء في "سفر المزامير: "أنت شققت البحر بقوتك ، كسرت رؤوس التنانين على المياه، أنت رضضت رؤوس لوياثان"[3].

وجاء في "سفر إشعياء" قائلا: "في ذلك الوقت ستقتل لوياثان الحية الهاربة، لوياثان الحية الملتوية، ويقتل التنين في البحر" [4].

---

1. قاشا ، سهيل : أثر الكتابات البابلية في المدونات التوراتية .ط1 ، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، بيروت - لبنان ، 1996م ، ص148.
2. ينظر: سفر التكوين2:1 .
3. سفر المزامير : 14:74 .
4. سفر إشعياء: 27:1 .

ونلمح التماثل القوي بين قصتي الصراع في النص التوراتي والأساطير المصرية من أجل خلاص البشرية يقول سيد القمني: "وفي قصة أخرى روى المصريون أن وحشاً رمزوا له بالاسم "حامتور" أو "هامتور" وكانت إلهة أنثى قد انطلقت تدمر بلا تمييز، وتدخل "رع" الشمس لإنقاذ البشرية، وتغلب عليها بعد ملحمة بطولية كبرى ، لا ريب أن الشمس هنا كانت تقوم بدورها المعروف ضد ماء البحر الطاغي على اليابس، وهو ما رددته التوراة بوضوح، لكن بعد أن نسبت البطولة للرب العبري الذي قضى على البحر البدائي ونشف البحر."[1].

وفي الأسطورة الثانية من سفر التكوين ما نصه :" وَقَالَ اللهُ: « لِيَكُنْ نُورٌ»، فَكَانَ نُورٌ"[2]

فيأتي أمر الرب بخروج النور كنذير لبدء الخلق ، فتشرع " الريح " في الخلق بالأمر الإلهي [3]"

فالخلق في الرواية العبرية قد تم بكلمة الله القاطعة " ليكن" ففصل بين المياه بجلد" [4].

وجاء في سفر التكوين " في البدء خلق الله السماوات والأرض ، وكانت الأرض خاوية خالية غامرة بالمياه ومغشاة بالظلام . فقال الله ليكن نور ، فكان نور وبان كل شيء جلياً . ثم قال

1. القمني ، سيد محمود ، مدخل إلى فهم الميثيولوجيا التوراتية . دراسة منشورة بموقع منتدى اللادينيين العرب، ص. 14 .
2. سفر التكوين 3:1.
3. ينظر : جرينبرج ، جاري : أسطورة توراتية : وكيف ابتدع الكتبة القدماء التاريخ التوراتي : تر : دينا السيد عبد الرؤوف إمام ، منير موسى ، ط1 ، دار العين للنشر ،2013 م ، ص50.
4. سفر التكوين. 1: 6،7،8.

الله ليكن جلد ، فكان كذلك ، وظهر للوقت لون السماء الجميل ، وقد علا الجلد قسم من الماء . فقال الله لتجتمع المياه إلى موضع واحد وليظهر اليبس "[1].

ونجد تماثلاً جلياً بين المعتقد المصري ، والمعتقد التوراتي في الفوضى والخراب والمياه التي تعم الكون ، (وكانت الأرض خربة وخالية ، وعلى وجه الغمر الظلمة ، وروح الله يرف على وجه المياه) . هذا الوصف جاء كتطوير للنص المصري الذي أشار إلى المعنى نفسه(والتي كانت قد ظلت عاطلة في الهاوية المائية) ، وجاءت التوراة بالوصف نفسه ، من خلال الإشارة إلى (روح الله ترف على وجه المياه)، وكان يقابلها في النصوص المصرية (ما وجدت مكانا أقف عليه) ، ومن هنا يتضح بأن حالة الفوضى التي كانت تعم الأض كانت سبباً لعدم نزول الله على الأرض أو المياه ، ومن هذا نستطيع أن نجد الإتفاق بين النص التوراتي والنص المصري على أن الكون في حالة من الفوضى ، مع التأكيد على أقدمية النص المصري على التوراتي بألف عام تقريبا "[2].

ومن النصوص المصرية يظهر لنا أن العدم كان سائداً ، ثم تحول إلى وجود ملموس بوساطة القدرة الألهية (إذ ما من شيء كان قد جاء بعد) ، وهذه العبارة تؤكد على أن العدم كان سائداً قبل الخلق ، وكانت هناك قوة تخلق من اللاشيء هذا الكون ، لكن ما يخالف ذلك عند التوراتيين حيث خلق الكون من أشياء موجودة وجاهزة ، لكن هناك حالة من التشتت والفوضى

1. سفر التكوين : ص 1-9 .
2. الحواري ، رائد محمد جميل : الحضارة الهلالية والتكوين التوراتي . ، ص37+38 .

وعدم التنظيم "[1]. ، وهنا يتبين لنا أن كل ما وجد في الكون من مخلوقات هو نتيجة لكلمة يصدرها الأله " ، وحين يكون قد تكلم فإن كلمته تتحقق وأنها سوف تدوم إلى الأبد " [2].

وورد في سفر التكوين ما نصه "فأكملت السموات والأرض بكل جندها ، وفرغ الله في اليوم السابع من عمل . فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمله الذي عمل . وبارك الله اليوم السابع وقدسه . لأنه فيه استراح من جميع عمل الله خالقاً "[3]، وعند المقارنة بين ما أقره القرآن الكريم ، وبين ما ورد في " سفر التكوين " من العهد القديم ، والذي نسب إلى الله سبحانه وتعالى من تعب وإعياء وحاجة إلى الراحة ، يظهر الفرق البعيد بين ما تم تحريفه ، وما تم حفظه بقدرة الله ، وما جاء نصه في قوله تعالى :﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾[4].ولفظة " اللغوب " تعني التعب والإعياء [5] وفي هذا جزم وقطع أن القرآن الكريم كلام الله الذي حفظ من كل تحريف وتغيير .

وخلاصة القول إن بدء الخلق لم ينشأ في أي من الثقافات القديمة وأساطيرها من العدم، وعند استعراض العناصر الأساسية للتكوين في التوراة نجدها تتمثل في المياه والظلمة والنور والانفصال ، كما نجد تماثلاً قوياً بين النصوص التوراتية وما ورد في الثقافة البابلية والثقافة المصرية في الحديث عن بداية الخلق والتكوين .

---

1. الحواري ، رائد محمد جميل : الحضارة الهلالية والتكوين التوراتي ، ص 40 .
2. المرجع نفسه ، ص 41.
3. سفرالتكوين ، ص 1-4 .
4. ق : 38 .
5. لسان العرب : مادة " لغب " .

صورة السماء في التوراة .

تقول الأسطورة التوراتية في قضية خلق السماوات ما نصه :

" وَقَالَ اللهُ: « لِيَكُنْ جَلَدٌ[1*]فِي وَسَطِ الْمِيَاهِ.وَلْيَكُنْ فَاصِلاً بَيْنَ مِيَاهٍ وَمِيَاهٍ.« فَعَمِلَ اللهُ الْجَلَدَ، وَفَصَلَ بَيْنَ الْمِيَاهِ الَّتِي تَحْتَ الْجَلَدِ وَالْمِيَاهِ الَّتِي فَوْقَ الْجَلَدِ. وَكَانَ كَذلِكَ "[2] بعد استدعاء الضوء الأول والتفرقة بين النور والظلمة ، يخبرنا سفر التكوين أن الله أخرج الإهاب (قبة السماء) من بين المياه ، وأن هذا الإهاب فصل بين المياه والمياه "[3]، وفي هذا النص نرى التشابه بل التطابق بين النص التوراتي والنص المصري في قضية خلق السماوات ، فالإهاب الذي خرج من بين المياه هو الجبل البدائي في الأساطير المصرية ، ففي النسخة المصرية والنسخة التوراتية يتم الخلق بنفس الترتيب ، فيخرج الإهاب بعد استدعاء النور بقوة الكلمة [4]"

ويظهر الاتفاق بين الأسطورة البابلية والنصوص العبرية في قضية خلق السماء فهي نتاج فصل المياه إلى قسمين، ففي النص البابلي يشطر "الإله مردوخ" تيامات شطرين يرفع أحدهما

1*. وجه السماء المنظور ، القبة الزرقاء ، انظر : معجم الكلمات الصعبة للعهد القديم .

2. سفر التكوين. 7:6 .

3. جرينبرج ، جاري : أسطورة توراتية :وكيف ابتدع الكتبة القدماء التاريخ التوراتي . ص53 .

4. ينظر : المرجع نفسه ، ص53 .

ليكون سماء، أما في "سفر التكوين" فقد خلق الله الجلد ، و"فصل بين المياه التي تحت الجلد والمياه التي فوق الجلد وكان ذلك ، ودعا الرب الجلد سماء "[1].

ووصف سفر التكوين قضية خلق السماوات بما نصه :" وَدَعَا اللهُ الْجَلَدَ سَمَاءً. وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا ثَانِيًا"[2]، وفي هذا النص ما يظهر وقوع حدث واحد في اليوم الثاني من الخلق وهو ظهور الإهاب .

وجاء في سفر التكوين ما نصه :" وَقَالَ اللهُ: « لِتَكُنْ أَنْوَارٌ فِي جَلَدِ السَّمَاءِ لِتَفْصِلَ بَيْنَ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ، وَتَكُونَ لآيَاتٍ وَأَوْقَاتٍ وَأَيَّامٍ وَسِنِينٍ .وَتَكُونَ أَنْوَارًا فِي جَلَدِ السَّمَاءِ لِتُنِيرَ عَلَى الأَرْضِ». وَكَانَ كَذلِكَ .فَعَمِلَ اللهُ النُّورَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ: النُّورَ الأَكْبَرَ لِحُكْمِ النَّهَارِ، وَالنُّورَ الأَصْغَرَ لِحُكْمِ اللَّيْلِ، وَالنُّجُوم وَجَعَلَهَا اللهُ فِي جَلَدِ السَّمَاءِ لِتُنِيرَ عَلَى الأَرْضِ، وَلِتَحْكُمَ عَلَى النَّهَارِ وَاللَّيْلِ، وَلِتَفْصِلَ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ. وَرَأَى اللهُ ذلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ .وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا رَابِعًا"[3].

فالنور يخلق في داخل الإهاب ، بهدف فصل الليل عن النهار ، فالنور الأكبر يأتمر به النهار ، والنور الأصغر يأتمر به الليل ، وتظهر الشمس بعد فصل السماوات والأرض ونمو النباتات "[4].

وعند إمعان النظر في النص السابق نلحظ تعارض في فترة فصل النور والظلمة فبعد " خروج النور في اليوم الأول ، يقول سفر " التكوين " أن الرب فصل بين النور والظلمة فدعا النور

1. فراس السواح، مغامرة العقل الأولى . ص146 .
2. سفر التكوين 8:1.
3. سفر التكوين 14:1 -19 .
4. ينظر : جرينبرج ، جاري : أسطورة توراتية : وكيف ابتدع الكتبة القدماء التاريخ التوراتي . ص58 .

نهاراً والظلمة ليلاً ، مع ذلك في اليوم الرابع فصل الرب مجدداً بين النور والظلمة ، وجعلهما ليلاً ونهاراً . لماذا إذا حدث ذلك مرتين ؟ "[1]، وهذا يجعلنا ندرك أن هذه الخلط والتعارض سببه تتبع كاتبي النص التوراتي لبعض الأفكار التي وردت في الأسطورة المصرية ، وخلطهم في سرد الأحداث ، إلى جانب أن ما ورد في كثير من النصوص التوراتية هو نتاج اقتباسات مبعثرة من أساطير وخرافات قديمة .

صورة الأرض في التوراة .

اعتقد العبرانيون أن الأرض مركز العوالم كلها ، وأن الشمس والقمر والنجوم خلقت لأجلها ، وأن السماء خيمة الكرة الأرضية خلقت لنفعها ، وأنها لم تخلق قبلها ، ولا عندما خلقت بل بعدها في اليوم الثاني[2]. نقرأ في الإصحاح الأول : " في البدء خلق الله السماوات والأرض ، وكانت الأرض خربة خالية ، وعلى وجه الغمر[3*] ظلمة ، وروح الله يرف على وجه المياه"[4] . استعان " سفر التكوين " بعقيدة " هيرموبوليس " في قصة الخلق لوصف شكل الكون قبل بدء الخليقة ،"[5] وجاء في النص كلمتا "خراب " و"خلاء" وتعنيان في النص التوراتي مساحة غير محددة في شكل فقاعة بداخل " الغمر " البدائي "[6] ، ويظهر لنا وجود أربعة عناصر

---

1. ينظر : جرينبرج ، جاري : أسطورة توراتية : وكيف ابتدع الكتبة القدماء التاريخ التوراتي ، ص51.
2. ينظر : البستاني ، بطرس : دائرة المعارف : قاموس عام لكل فن ومطلب . مج 3 ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، د ت ، ص 110 .
3*. المياه الكثيرة ،انظر : معجم الكلمات الصعبة للعهد القديم ، ص 15 .
4 .سفر التكوين 1:1-2.
5. جرينبرج ، جاري : أسطورة توراتية :وكيف ابتدع الكتبة القدماء التاريخ التوراتي . ص47.
6. ينظر : جرينبرج ، جاري : أسطورة توراتية :وكيف ابتدع الكتبة القدماء التاريخ التوراتي ، ص48.

أساسية في بداية نشوء الكون وهي : (الأرض والسماء ، الظلمة ، الغمر المائي ، وروح الله)

تخلق الأرض من تجمع المياه السفلى في التكوين التوراتي، إذ يأمر الله بظهور اليابسة التي يسميها أرضاً ستنبت العشب والبقول والأشجار المثمرة "[1]" ، فبعد أن يرفع الرب نصف المياه الأولى إلى أعلى ، تتجمع المياه السفلى إلى جانب مشكلة البحار ، وتظهر الأرض منبثقة من تحتها :" وقال الرب لتتجمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد ، ولتظهر اليابسة ، ودعا الرب اليابسة أرضاً ، ومجتمع المياه دعا بحراً "[2].

كما اعتقد العبرانيون"أن الأرض خلقت لإظهار بعض صفات الله سبحانه وتعالى ولتكون مسكناً للإنسان ، وأن العوالم ليست بمستقلة عن الخالق ولكنها محفوظة بيمينه ، ومخلوقة بعده "[3]

واعتقد العبراني " أن الأرض ميدان ظهور كمالات الخالق ، وأن الأرض والبحر والجبال والتلال والأشجار المثمرة، وسائر النباتات والوحوش والماشية ، وكل دابة وطير كانت تمجد الله باظهار صفة من صفاته ، حتى إنهم جعلوا الأمور الطبيعية ترمز إليه تعالى ، فقالوا : إن الرعد صوته والبرق سهامه ، والرياح والعواصف رسله والزلازل والكسوفات والخسوفات ، والأنجم ذوات الأذناب علامات وجوده " [4].

---

1. ينظر التكوين : 1 من 9 – 13 .
2. سفر التكوين : 1-3 .
3. البستاني ، بطرس : دائرة المعارف ، مج3 ، ص 111 .
4. المرجع نفسه، مج3 ، ص 111 .

ولا يبتعد العبراني في تفكيره كثيراً عن الهدف الحقيقي من خلق الأرض في كونها خلقت لسكنه ، فالنور للقيام بأسباب الحياة الأساسية ، واليابسة ليقطن فيها ، والأعشاب والنباتات للماشية ولخدمته ، والنهار لشغله ، والليل لراحته ، والأسماك والطيور واللحوم لقوته ، وحيوانات الحمل لتخفيف أتعابه "[1] .

صورة الجبال في التوراة .

بلغت الجبال منزلة القداسة في كل الثقافات الإنسانية ، فنالت قسطاً وافراً من الاهتمام في كل المعتقدات الدينية ، فكانت المعابد تبنى على المرتفعات ، وكان يوحي إرتفاع الجبل واقترابه من السماء بالقداسة، فكان الإنسان المؤمن يسمو بروحه وجسده في الترفع عن كل ما يشوب الأرض من صراعات ومهاترات ، في اللجوء إلى ماهو سمي عن كل ذلك ، فهي المواضع التي يغرف منها بركات الآلهة السماوية ، ويبدو أن ارتباط الإنسان بالجَبَل قديم قِدَم الإنسان نَفسه، فقد كانت بِداية البَشَرية المُتَمثلة بآدم عليه السلام على الجَبَل، وكان ميعاد موسى مع ربه على جبل الطور . جاء في الميثولوجيا اليهودية أن آدم ولد في الفِردوس المَوجود في الوسط الكوني، وبحسب التُراث اليهودي يقع الفردوس على جبل أعلى من كل الجِبال، وفيه كذلك ، يُمَثِّل الجَبل رمز اللقاء بين السَماء والأرض، وقد أحاطَتْه الميثولوجيا اليهودية بالأسرار، حتى أصبح (يهوه) في المُعتقدات اليهودية إله الجِبال، وقد جاء في صلوات العهد القديم ما يؤَكَّد قُدسية الجِبال، إذ يقول داوود في أحد مزاميره " إني رافع عينيّ إلى الجِبال إلى حيث تأتي منها

1. ينظر : البستاني ، بطرس : دائرة المعارف ، مج3 ، ص 113 .

نُصرتي"[1]"وارتبط الجَبَل في الفِكر العِبراني بالإله من خِلال العلاقة بين االله وبين بني إسرائيل، ففي الجَبَل كلَّم االله بَني إسرائيل بعد خُروجهم من مصر"[2]، وكانت أماكن العِبادة لدى العبرانيين فوق المُرتَفعات، وهي أماكن مُقدَّسة تَردد عليها الإسرائيليون أحقاباً طَويلة، لتَقدِمَة الأضاحي والقَرابين، وطَمَعاً في برَكة تِلك الأماكِن المقدَّسة "[3]، وورد في سفر إشعياء ما نصه :" وَيَكُونُ فِي آخِرِ الأَيَّامِ أَنَّ جَبَلَ بَيْتِ الرَّبِّ يَكُونُ ثَابِتًا فِي رَأْسِ الْجِبَالِ، وَيَرْتَفِعُ فَوْقَ التِّلاَلِ، وَتَجْرِي إِلَيْهِ كُلُّ الأُمَمِ"[4].

وبعد الاطلاع على الكتاب المقدس وجدنا أسماء لبعض الجبال التي تردد ذكرها ، وكان من أهمها: جبل أراراط ،جبل سيناء ، جبل عيبال، جبل جرزيم، جبل نبو، جبل الكرمل ، جبل جلبع ، جبل هارون ،جبل الزيتون، جبل لبنان.

ويظهر مما سبق ذكره أن الحديث حول قضية الخلق والتكوين بما يخص الأرض والجبال في الكتاب المقدس ، كانت ترد في سياق الخلق بشكل عام ، وخاصة عند الحديث عن خلق السموات ؛ لذلك كانت المادة العلمية في هذين الجزأين أقل مما وجد في قضية خلق السموات .

وبعد دراسة تفاصيل هذه الأساطير. نلمح إنعكاسات أساطير الأولين في النصوص المقدسة ونجدها سببا أصيلاً في ثرائها، ومن هذا كله ندرك أن العقلية الإنسانية على مر الأزمان

---

1. صدقة: رموز وطقوس، ص. 67 .
2.العهد القديم، الإصحاح :،10/9، 11 /193_294 .
3. فريزر، جيمس : الفولكلور في العهد القديم . ترجمة نبيلة إبراهيم، دط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974م ،109/2 .
.4 سفر إشعياء : 2:2 .

والأمكنة ، وعلى الرغم من كل الاختلافات الثقافية والدينية إلا أنها استطاعت أن تصيغ صوراً مفعمة بالحياة والحركة لبدء الخلق والتكوين ، وكانت هذه الصور انعكاساً حقيقياً لطرائق تفكير أصحابها وشعوبها .

وأغلب الظن أن الحضارات القديمة والمعاصرة تتصف بالقصور في كثير من القضايا التي تتعلق بقضية الخلق والتكوين، والتي لا يمكن إخضاعها لإدراك الإنسان، مثل قضايا خلق الكون وإفنائه ، وإعادة خلقه من جديد ،إلا إن الله سبحانه وتعالى دعانا إلى ضرورة التفكر والتدبر في الظواهر الكونية؛ لأن فيها من الشواهد الحسية ما يمكن أن يعيننا على فهم قضايا الخلق والبعث .

الفصل الثاني

صورة السماء في القرآن الكريم

مدخل

المبحث الأول : البناء والإحكام

المبحث الثاني : الهدم والانشقاق

مدخل

دعت الرسالات السماوية كلها إلى ضرورة التفكر و التأمل في ملكوت السماوات و الأرض ، فلا يستطيع الإنسان إدراك عظيم صنع الله بدون التفكر في إبداعه عز وجل ، و القرآن الكريم المعجز بكل حرف فيه أشار في كثير من آياته إلى مظاهر الكون المختلفة ، و أظهر صور إعجازه فيها ، و بث روح الحياة في كل مظهر من مظاهره ، و اللافت للنظر كثرة الآيات الكونية و تعدد أساليبها ، فلا تكاد تخلو سورة من سور القرآن الكريم من آية أو مجموعة من الآيات إلا تناولت موضوع الكون ؛ لما لذلك من أهمية بالغة تحمل في طياتها حكمة ، وهدفاً سامياً يظهر الغاية الكامنة في حث العقل البشري للتفكر و التأمل في عظيم صنع الله على مر الزمان،وفي البيان الإلهي في قوله تعالى : ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾"(1) . تنبيه حقيقي إلى أن ما في الكون و الأفاق من غموض سيتضح للبشرية يوماً بعد يوم ، و" التعبير بالسين في قوله "سَنُرِيهِمْ " يوحي أن الأمر مستقبلي ، أي أن هذه الرؤية التي ستتحقق للناس ، و ستزداد في المستقبل ، والعامل في زيادتها هو تقدم العلوم و المعارف و المكتشفات عند البشرية "(2). " و الإشارات الكونية في القرآن الكريم جاءت في أكثر من ألف آية صريحة ، بالإضافة إلى آيات أخرى عديدة تقترب دلالتها من الصراحة ، و تشكل هذه الآيات الكونية

---

1. فصلت : 53 .
2. الخالدي ، صلاح عبد الفتاح : البيان في إعجاز القرآن . ط3 ، دار عمار للنشر والتوزيع ، 1992 م ، ص 264 .

حوالي سدس مجموع آيات القرآن الكريم "(1). و لا بد لنا من الوقوف عند بعض هذه الآيات وقفة المتأمل و المتأني ، و أن نمعن النظر في كل حرف ، و في كل كلمة ، إمعان المتفحص لدقائق الأمور ؛ لندرك ما فيها من دلالات إسلوبية عميقة ، و في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ لَآياتٍ لِأُولِي الألباب﴾ (2) ، رسالة واضحة لكل متدبر لكلام الله سبحانه و تعالى ، إن " التقابل في الصورة بين السماء و الأرض ، يظهر الصلة الوثيقة بينهما ، وهي صلة تواصل و تكامل ، حتى يحس الإنسان بقدرة الله عليه، في الأرض التي يقف عليها ، والسماء المحيطة به "(3) ، وفي الآيات الكونية رسائل قوية لضرورة التفكر والتأمل ، و دعوة صريحة في تأمل هذا الكون ، و التفكر في كل مظهر من مظاهره ، فهي موجّهة إلى عقل الإنسان الواعي المدرك لعظمة الله البادية في دقيق صنعه في كل مظهر من مظاهر هذا الكون الشاسع ، الدقيق في بنائه و المحكم في حركاته ، فيتسع فهمنا لمعاني و دلالة الآيات القرآنية الكريمة باتساع فهمنا و معرفتنا يوماً بعد يوم .

و من بلاغة الخطاب القرآني في الآيات التي وردت فيها ألفاظ السموات و الأرض و باقي المخلوقات نلحظ الترتيب الزمني للمخلوقات ، و كأن الآيات الكريمة تشير إلى السبق في الوجود ، فخلق السماوات و الأرض و باقي المخلوقات يوحي بالسبق الوجودي في الحياة و

---

1. النجار ، زغلول راغب محمد : من آيات الإعجاز العلمي : السماء في القرآن الكريم . ط1 ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت : لبنان ، 2004م ، ص 16 .
2. آل عمران : 190 .
3. الراغب ، عبد السلام أحمد : وظيفة الصورة الفنية في القرآن. ط1 ، دار فصلت للدراسات والترجمة والنشر ، حلب ، 2001 م ، ص 206 .

بداية الخلق ، و قد يكون لذلك دلالة أسلوبية في تقديم السموات و الأرض لإثارة الفكر و البحث من وراء قضية الخلق.

جاءت كلمة " السماء " في القرآن الكريم جمعاً و إفراداً في ثلاثمائة وعشرة مواضع ، منها مائة وتسعون مرة بصيغة الجمع (السماوات أو سماوات) ، و مائة و عشرون مرة بصيغة الإفراد (السماء)".[1] ، فكلمة السماوات التي لا نراها جاءت بصيغة الجمع فهي عوالم كثيرة لم يتعرف إليها البشر ، و لا يعرف مكنون أسرارها العلم ، بينما لفظة السماء التي أصبحت معروفة و مكشوفة للإنسان جاءت مفردة .

و السماء هي كل ما علاك فأظلّك و منه قيل لسقف البيت سماء. و السَّمْوُّ و الارتفاع و العلو ، و منه سَمَوْتُ و سَمَيْتُ مثل عَلَوْتُ و عَلَيْتُ"[2].

سميت السماء سماء لعلوها على الأرض و على سكانها من الخلق ، و كل شيء كان فوق شيء آخر فهو لما تحته سماء، لذلك قيل لسقف البيت سماوة ، لأنه فوقه مرتفع عليه "[3] .

أسماء السماء وصفاتها :

ذكر سبحانه و تعالى في كتابه العزيز أسماء مختلفة للسماء منها : " البناء " ، قال تعالى :

﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً بِنَاءً ﴾ [4]

---

1. ينظر : النجار ، زغلول راغب محمد : السماء في القرآن الكريم . ص 78.
2. الرازي ، مختار الصحاح : مادة سما.
3. الطبري ، ابن جرير : جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مج 1 ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، 2001م ، ص 214 .
4. البقرة : 22.

و " السقف " من أسماء السماء ، قال الله تعالى :﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ﴾[1]

.

والطرائق ، قال سبحانه و تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ ﴾[2].

والطباق ، قال سبحانه و تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴾[3].

والشداد ، قال سبحانه و تعالى : ﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴾[4].

والرتق و الفتق ، قال سبحانه و تعالى :﴿ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾[5] .

والدخان ، قال سبحانه و تعالى :﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾[6] .

التفكر و التدبر في خلق السماء :

قال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ [7].

1. الأنبياء:32.
2. المؤمنون: 17.
3. الملك : 3.
4. النبأ : 12 .
5. الأنبياء : 30 .
6. فصلت : 11 .
7. الأعراف : 185 .

الخطاب هنا واضح لمن كذب بآيات الله و في ملكه وسلطانه في السماوات والأرض ، و فيما خلق الله من شيء فيهما ، فيتدبروا ذلك و يعتبروا به تكون آجالهم قد اقتربت ، فيهلكوا على كفرهم ، و يصيروا إلى عذاب الله و أليم عقابه .

و يلفت نظرنا دلالة الاستفهام في بداية الآية الكريمة ، حيث أفاد معانٍ مختلفة في وقت واحد ، فأفاد التعظيم و التوبيخ و التعجب في وقت واحد ، أفاد تعظيم حديث الله ، و توبيخ المكذبين بآيات الله ، كما أفاد التعجب من فعلهم و تكذيبهم .

و في قوله تعالى : ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَ مَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[1] ، و يظهر الإعجاز العلمي و اللغوي في هذه الآية الكريمة ، فالضال عن الحق يكون صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في الجو ؛ لأن المرتفع في الجو يضيق صدره لاختلال الضغط كما هو معلوم "[2] ، و من هذا التفسير نفهم أن لفظة السماء هنا تحمل معنى الجو .

سنعاين في هذا الفصل التحولات الدلالية وفق منظور أسلوبي بنيوي يدرس تحول صورة السماء من سياق البناء و الإحكام (الفتق ، السمك ، الحبك ، الرجع ، ...) إلى سياق الهدم و التشقق و الانفطار و الطي ، و يجسد هذا التحول ثنائية بنيوية كبرى ، تشكل ظاهرة أسلوبية تتضمن بعداً دلالياً و جمالياً و إعجازياً .

---

1. الأنعام : 125 .
2. ينظر : السامرائي ، فاضل صالح : دراسات بيانية في الأسلوب القرآني : التعبير القرآني . ط8 ، دار عمار . عمان ، 2012 م ، ص43 .

المبحث الأول : البناء والإحكام

1 – رتق السماء و فتقها

يسمي القرآن بداية نشوء الكون بالرتق ، و تحمل هذه الكلمة معان النظام و الدقة ، و الرتق هو تركيب جزء على جزء ليصبحا شيئاً واحداً ، فأجزاء الكون كانت ملتحمة ببعضها . فبدأ الله خلقه من جرم إبتدائي واحد (مرحلة الرتق) ، ثم أمر الله تعالى بفتق هذا الجرم فانفتق (مرحلة الفتق) ، و تحول إلى سحابة من الدخان (مرحلة الدخان) ، و خلق الله تعالى من هذا الدخان كلا من الأرض و السماء ، و تعرف هذه المرحلة باسم (مرحلة الإتيان بكل من الأرض و السماء) "[1]. فكانت السموات و الأرض متصلة متلاصقة متراكمة ، ففصل بين السماء الدنيا و الأرض بالهواء ، فأمطرت السماء و أنبتت الأرض.

الرتق والفتق لغة :

الرتق لغة يعني : الضم و الالتحام ، خلقه كان أم صنعه ، قال تعالى : ﴿ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾[2] أي كانتا : منضمتين "[3] ، و الرتق إلحام الفتق و إصلاحه بمعنى التأم "[4] ، و

---

1. النجار ، زغلول راغب محمد: السماء في القرآن الكريم . ص 95 .
2. الأنبياء 30
3. الأصفهاني ، الراغب : مفردات ألفاظ القرآن . تح : صفوان عدنان داوودي ، ط2 ، دار القلم ، دمشق ، الدار الشامية – بيروت 1997م ، ص 341 .
4. لسان العرب : "مادة رتق ".

تحمل كلمة الفتق معانيَ معاكسة لكلمة الرتق في معاجم اللغة العربية ، فالرتق هو الضم و الالتحام و الالتئام ، يقال : رتقت الشيء فارتتق أي : فالتأم والتحم " [1]، و الفتق لغة : هو الفصل و الشق و الانشطار"[2]. و من معاني الفتق : انفلاق الصبح ، و الفتق : انشقاق العصا و وقوع الحرب بين الجماعة ، و تصدع الكلمة . و الفتق : علة أو نتؤ في مراق البطن ، و الفتق : الخصب ، سمى بذلك لانشقاق الأرض بالنبات ، فالسماوات كانت سماء واحدة ليس فيها ماء ، فجعلها الله غير واحدة ، ففتق الله السماء فجعلها سبعاً ، و جعل الأرض سبع أرضين "[3]، و يستأنس الزمخشري بسياق الآية التي تسبق لفظي الرتق و الفتق في قوله تعالى :﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما ﴾[4] ؛ ويطرح سؤالا : متى رأوهما رتقاً حتى جاء تقريرهم بذلك ؟ قلت : فيه وجهان ، أحدهما : أنه وارد في القرآن الذي هو معجزة في نفسه ، فقام مقام المرئيّ المشاهد . و الثاني : أن تلاصق الأرض و السماء و تباينهما كلاهما جائز في العقل ، فلا بدّ للتباين دون التلاصق من مخصص و هو القديم سبحانه .[5]

---

1. ينظر : لسان العرب ، مادة " رتق "
2. ينظر : لسان العرب ، مادة " فتق"
3. ينظر : لسان العرب ، مادة " فتق "
4 . الأنبياء : 30 .
5 . الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. ط3 ، دار الكتاب العربي – بيروت ، 1407 هـ ، ج 3 ، ص113

وأورد ابن عرفة رأي الفخر الرازي في الرؤية فقال في قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ إما أن تكون بصرية ، أو علمية ؛ لأن الكفار لم يروا ذلك و لا علموه ، و لكنهم علموه من التوراة و الإنجيل .[1].

يقرر القرآن الكريم حقيقة كونية تتمثل في فتق السماوات عن الأرض ، و هذا يدعونا لقبول النظريات العلمية التي توافق هذه الحقيقة ، رغم أنه ليس كتاب نظريات علمية ؛ لأنه منهج حياة كاملة .

يتوزع الثراء الدلالي للفظتين على ما يحمله اللفظان من معان الانفصال و الانشقاق ؛ فلفظتا " الرتق و الفتق"تُستخدمان في سياق النسيج ، فعندما يتمزق النسيج ، و تتباعد خيوطه نقول (فتق الثوب) ، و الرتق هو العكس ، أي جمع و ضم هذا النسيج . كما ورد في قوله تعالى :﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَ جَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾.[2] ، و في الآية الكريمة خلاصة مختصرة لكيفية بدء الكون و تشكله .

خلق السماء في العلم الحديث :

ثبُت علمياً أن الأرض كانت في بداية خلقها ملتهبة لا تنبت ، و الغلاف الجوي لم يكن قد تشكل أي لا توجد أمطار ، ثم تشكل الغلاف الجوي للأرض و تشكلت الغيوم ، و بدأت السماء

---

1 . ابن عرفة : محمد : تفسير ابن عرفة . تحقيق : جلال الأسيوطي . ط1 ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، 2008 ، ج3 ، ص163 .

2. الأنبياء : 30 .

تمطر ، و بدأت الأرض تنبت بعد أن تبردت ، و تشكلت الجبال و الأنهار و البحار" [1] ، و بعض العلماء يرجح هذا المعنى : " كانتا رتقا " أي أن السماء لا ينزل منها مطر ، و الأرض لا تنبت ، ففتق سبحانه السماء بالمطر ، و الأرض بالنبات لدلالة قوله في سياق الآية الكريمة :﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلّ َشَيْءٍ حَيّ ﴾ ، و ذكر القرطبي في تفسيره : أن السماوات و الأرض كانتا ملتصقتين ففصل الله بينهما بالهواء [2] ، فالانفجار الكوني الكبير– كما يطلق عليه العلماء – أدى إلى إبداع نظام كوني محكم العلاقات دقيق التداخلات لا يقدر عليه إلا رب العالمين.

وتشير الآيات الكريمة إلى كيفية خلق السموات و الأرض من خلال عملية الفتق و ظهور الدخان و اتساع الكون ، و من يسمّي لحظة انفصال هذه الأجزاء بالانفجار. يقع في الخطأ ؛ لأنه لا يمكن لأي انفجار أن يكون منظماً بهذه الطريقة التي وجد عليها الكون أبداً ، فأي انفجار يحدث ينتج عنه تطاير أجزاء الجسم المنفجر دون ترتيب ، أو تنظيم فلا يكون إلا عشوائياً ؛ لكن ما حدث من عملية الفتق و الرتق و تباعد أجزاء الكون عن بعضها بنظام شديد الدقة لا يمكن أن يكون انفجاراً " [3].

إن ما حدث من " فتق ورتق " يرجع إلى اتصال و التحام أجزاء الكون بعضها ببعض ، و ذلك بفضل وجود لفظة (كانتا) ، و التي توحي للمتأمل أن السماوات و الأرض كانتا شيئاً

1.كحيل ، عبد الدائم : موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم :.http://kaheel7.com/pdetails
2. القرطبي ،أبو عبد الله محمد بن أحمد : الجامع لأحكام القرآن . ط2 ، دار الكتب المصرية ،القاهرة ، 1964م ، 2م، ج11،ص283.
3. كحيل ، عبد الدائم : موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم . http://kaheel7.com/pdetails

واحداً ففصل بينهما ، إلى جانب أن لفظتي" كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا " لم ترد في القرآن الكريم إلا مرة واحدة ، و قد تعد القيمة العددية في هذه الآية الكريمة منبهاً أسلوبياً يشير إلى أن عملية الفصل حدثت لمرة واحدة فقط . فالحركة المضمرة هي الخفية عن أبصارنا لحظة وقوع الحدث عندما تمت عملية الفتق ، و الحركة الظاهرة التي تبدو جلية في كل يوم ، و في كل لحظة لما نلمسه و نحسه من حركات لبعض مخلوقات الكون و يقع تحت أبصارنا.

و تعزز ثنائية " الرتق و الفتق " معنى التأكيد ، و إظهار المعنى بصورة أقوى ، و الثراء الدلالي لتجاور اللفظتين قيمة أخرى ، فالثنائية الدلالية بين معنى الالتصاق و الانفصال تؤدي إلى مقارنة بين ما كان عليه الكون ، و ما أصبح عليه بعد أن تمت عملية الفصل ، بالاضافة إلى تأكيد معنى السيطرة التامة و الإحاطة و الشمول في قدرته تعالى ، مما يشعر المتلقي بالتسليم المطلق لله جل في علاه . و التضاد الناجم عن هذا الاختلاف هو المثير الأسلوبي ، و قيمة التضاد الأسلوبية تكمن في نظام العلاقات الذي يقيمه بين العنصرين المتقابلين.

2 – السماء دخان :

يحيلنا قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَ هِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾.[1] إلى ما قيل أن عرش الرحمن كان قبل خلق السماوات و الأرض على الماء ، فأخرج من الماء دخانا ، فارتفع فوق الماء و علا عليه ،

1. فصلت : 11 .

فأيبس الماء فجعله أرضاً واحدة ، ثم فتقها فجعلها أرضين ، ثم خلق السماء من الدخان المرتفع[1].

و ينفي الآلوسي ما قيل أن العرش الرباني كان على الماء ، و يعرض تفسيراً علمياً لصورة السماء الدخان يشكل سبقاً علمياً لما يرجحه العلماء المعاصرون في صورة الدخان ، و ذلك في قوله : و أما ما ورد في الأثر و أشارت إليه الآية من جعل الدخان المرتفع من الماء مادة للسماوات فمصروف عن ظاهره ؛ إذ الدخان أجزاء نارية خالطتها أجزاء صغار أرضية تلطفت بالحرارة ، و لا تمايز بينهما في الحس لغاية الصغر ، فقبل خلق السماوات و الأرض بما فيهما لم تكونا ناراً و أرضاً ، فمن أين يتولد الدخان ؟ و إن أريد بالدخان البخار ؛ لأنه أجزاء هوائية مازجتها أجزاء صغار مائية تلطفت بالحرارة بحيث لا تمايز بينهما في الحس أيضا فحيث لا هواء لا بخار ، و من هنا ظهر أن ما في الأثر لا يؤيد كون العرش موضوعاً على متن الماء ملتصقاً به بل يؤيد أن لا يكون بينهما حائل إذ ارتفاع الدخان و البخار يستدعي وجود فضاء تتحرك فيه تلك الأجزاء ، و في صورة الالتصاق لا يمكن ذلك كما لا يخفى على من له تخيل سليم.[2]

و في هذه الآية " إيماءة عجيبة إلى انقياد هذا الكون للناموس ، و إلى اتصال حقيقة هذا الكون بخالقه اتصال الطاعة و الاستسلام لكلمته و مشيئته "[3].

---

1. الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل.ج4، ص189.
2. الآلوسي ، شهاب الدين : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. تح : علي عبد الباري عطية ، ط 1 ، دار الكتب العلمية – بيروت ، 1415 هـ ، ج6 ، ص209 .
3. قطب ، سيد : في ظلال القرآن . ط9 ، بيروت : دار الشروق ، مج 5 ، ص 3114 .

فانقياد السماء و الأرض لرب العالمين كأنهما عاقلتان تسرعان بالجواب الدال على خضوعهما التام لخالقهما ، " فالسماء و الأرض تخاطب كأنهما عاقلتان ، يوجه إليهما الخطاب ، فتسرعان بالجواب ، والخيال شاخص إلى الأرض والسماء ، تدعيان وتجيبان الدعاء "[1] ، و في حركة السماوات و الأرض حركة مضمرة و ظاهرة . ومعنى أمر السماء و الأرض بالإتيان و امتثالهما : أنه أراد تكوينهما فلم يمتنعا عليه ، و وجدتا كما أرادهما ، و كانتا في ذلك كالمأمور المطيع إذا ورد عليه فعل الآمر المطاع ، و هو من المجاز الذي يسمى التمثيل . و يجوز أن يكون تخييلا ، و يبنى الأمر فيه على أن الله تعالى كلم السماء و الأرض و قال لهما : ائتيا شئتما ذلك أو أبيتماه ، فقالتا . أتينا على الطوع لا على الكره . و الغرض تصوير أثر قدرته في المقدورات لا غير ، من غير أن يحقق شيء من الخطاب والجواب.[2]

و لفظا التضاد في الآية الكريمة " طَوْعًا أَوْ كَرْهًا" يظهر المعنى ويقويه ، و تكمن قيمة التضاد بين اللفظتين في نظام العلاقات بين العنصرين المتقابلين ، فما يميز الآية سياق إعلان الاستسلام و المطاوعة التامة لأوامر الله من خلال التزام الكون بالقوانين الفيزيائية التي وضعها سبحانه و تعالى ." و هذه هي طريقة القرآن الكريم في تصوير الجوامد ، حية شاخصة ، بإضفاء الصفات الإنسانية عليها ، كي تكون أكثر إيحاء ، و أشد تأثيراً في النفس الإنسانية [3].

1. ينظر : قطب ، سيد : التصوير الفني في القرآن . ط4 ، دار الشروق ، مصر ،1978 م ، ص 61 .
2. الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل . ج 4، ص189
3. الراغب ، عبد السلام أحمد : وظيفة الصورة الفنية في القرآن. ص204.

3- بناء السماء

كان الإنسان قديماً لا يعرف شيئاً عن الكون و بدايته ، فجاء القرآن الكريم موضحاً و كاشفاً في بعض آياته عن أصل نشوء الكون منذ ملايين السنين ، و كيفية بناء السماوات و رفعها و اتساعها ، و في قوله تعالى : ﴿ وَ السَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾[1] ، بمعنى " شيدنا السماء و أحكمنا خلقها بقوة و قدرة "[2] ، فالكون في امتداد مستمر ، و المراد بالسماء هو الكون خارج ا لأرض . ولفظة "موسعون " " اسم فاعل للفعل أوسع "[3] ، وهي تؤكد توسع أرجاء السماء يوماً بعد يوم حتى يبدأ النقيض في طيها وإزالتها .

جاءت مادة (بنى) في القرآن الكريم في اثنين و عشرين موضعاً ، منها سبع مرات متعلقة ببناء السماء ، و خمس عشرة مرة متعلقة بالبنيان على الأرض ، و في كل الحالات خصت السماء بوصف (بناء) في قوله :﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾[4] ، وخص تشييد الإنسان على الأرض بوصف (بنيان) قال تعالى :﴿ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُون ﴾[5]، و هذا أمر له دلالته العميقة في الإشارة إلى الفرق بين صنع الله و صنع الإنسان في القضية الواحدة "[6] ، وينبغي أن نشير هنا إلى أهمية الدقة اللغوية ، و اختيار

---

1. الذاريات : 47 .
2. الصابوني ، محمد علي : صفوة التفاسير : تفسير القرأن الكريم . ط1 ، ج 3 ، ص 239.
3. الخالدي ، صلاح عبد الفتاح : البيان في إعجاز القرآن . ص 289 .
4. الذاريات 47
5. النحل : 26 .
6. ينظر : النجار ، زغلول راغب محمد : السماء في القرآن الكريم . ط1 ، ص357 .

الألفاظ دون غيرها ، و انسجامها للتفريق بين عظمة بناء الله للسماوات و تماسك بنيانها ، و تشييد البشر للمباني على الأرض و سهولة هدمها " فبنيان السماء بلا فواصل و لا لبنات ، و هذا عمل إلهي لا يتسنى للبشر مثله ، و عمل الناس في المباني وضع حجر يلتصق به آخر ، و لا يسمى هذا بناء بل يسمى بنيان ، إنه بنيان قد يخر ساقطاً "[1] ، وفي ذكر بناء السماء دعوتان صريحتان أولهما : دعوة للعقل وحثه للتأمل بتماسك السماء وثباتها ، والثانية للنفس بإعلان الخضوع والاستسلام التامان لعظمة الله وقدرته .

جاء بناء السماوات ليتناسب مع ما ورد في الآية الكريمة :﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [2] ، فكلمة بناء تتناسب مع صفة العلو للسموات ، و تشير إلى أنها أعلى من الأرض في ترتيبها . فخلق السموات و ترتيبها دليل قاطع على عظيم قدرة الله تعالى ، و أن الكون يتسع باستمرار.

فالسماء " بناء محكم التشييد ، دقيق التماسك و الترابط ، و ليست فراغاً ، فالمسافات الموجودة بين أجرام السماء مليئة بغلالة رقيقة جداً من الغازات ، و التي ينتشر بها جسيمات من المواد الصلبة على هيئة غبار دقيق الحبيبات ، بالإضافة إلى وجود مادة تملأ المسافات بين أجرام النجوم لتربط بينها في بناء محكم التشييد ، متماسك الأطراف "[3].

1. ناصر ، عبد الهادي : نظرات في الكون والفرآن .مدارسة عقلية إيمانية. ط1 ، المكتبة الأكاديمية، 1995 م، ص 102 .
2. الذاريات : 47 .
3. ينظر : النجار ، زغلول راغب محمد : السماء في القرآن الكريم ، ص86- 87 .

و جاء في محكم تنزيله في وصف السموات بالشدة و المتانة و القوة و الاحكام قوله تعالى : ﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴾[1] أي : السموات السبع في اتساعها و ارتفاعها و إحكامها و إتقانها و قوتها "[2] ، و في وصفها بالشدة أي أنها قوية و متينة يتناسب مع كونها مرتفعة عن الأرض ، و جاء في التفسير " أي بنينا فوقكم أيها الناس سبع سموات محكمة الخلق بديعة الصنع ، متينة في إحكامها و إتقانها ، لا تتأثر بمرور العصور و الأزمان "[3].

السقف المحفوظ :

قال تعالى :﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاء سَقْفًا مَّحْفُوظًا ﴾ [4]

تقاربت أقوال المفسرين لهذه الآية ، و كلها تشير إلى حفظ السماء من السقوط على الأرض و من الشياطين من أن تخترق السمع ، و لهم أدلتهم من القرآن على ذلك ، يقول مجاهد في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاء سَقْفًا مَّحْفُوظًا ﴾ أي : محفوظاً من أن يقع و يسقط على الأرض ، و الحفظ يعني التعاهد و الحراسة و المراقبة و الرعاية ، و الحِفْظ : نقيض النِّسيان و هو التَّعاهدُ و قلّة الغَفْلة [5] . فمن أين جاء هذا التعبير الدقيق ؟!!.، و جاء في التفاسير أي " جعلنا السماء كالسقف للأرض محفوظة من الوقوع و السقوط "[6] ، و السقف : " غماء

---

1. النبأ : 12 .
2. ينظر : ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل: تفسير ابن كثير .ج4 ، ص549 .
3. الصابوني ، محمد علي : صفوة التفاسير . ط1 ، ج3. ص482 .
4. الأنبياء:32.
5. القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن.ج12، ص251 .
6. الصابوني ، محمد علي : صفوة التفاسير . ط1 ، ج2 ، ص239 .

البيت ، و الجمع سُقف ، و السماء سقف على الأرض"[1] . ذهب بعض المفسرين في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾[2]. إلى أن حفظ سقف السماء من البلى و التغير على طول الدهر ، و المراد أنها جعلت محفوظة عن ذلك الدهر الطويل ، و لا ينافيه أنها تطوى يوم القيامة طي السجل للكتب . و قيل : الحفظ من الوقوع ، و من استراق السمع بالرجوم ، و المراد أن حفظها ليس كحفظ دور الأرض فإن السر ّأقرب ما تسلقت من سقوفها بخلاف هذه ، وقيل : إنه للدلالة على حفظها عمن تحتها و يدل على حفظها عنهم.[3]

و في قوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾[4] ، فالسماء هنا بمعنى السقف ، أي : " من كان يظن أن لن ينصر الله محمداً فليمدد حبلاً إلى سقف بيته ثم ليخنق نفسه به لأن محمداً منتصرٌ لا محالة ، و هذا إعجاز آخر لأنه إخبار عن المستقبل ، و قد تحقق ذلك . و لفظة السماء بهذا المعنى أعم و أشمل من السماوات لأنها تشمل السماوات و غيرها مما علا و ارتفع "[5] .

السماء سقف مرفوع

---

1. لسان العرب : مادة "سقف ".
2 . الأنبياء : آية 32.
3. ينظر : الآلوسي ، شهاب الدين : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني.ج 9 ، ص37
4. الحج : 15 .
5. السامرائي ، فاضل صالح : دراسات بيانية في الأسلوب القرآني : التعبير القرآني . ص43 .

قال تعالى : ﴿ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴾[1] ، و السقف ، أي : السماء ، و السقيفة كل خشبة عريضة كاللوح ، أو حجر عريض يستطاع أن يسقف به ، و السقائف : عيدان المجبر ، كل جبارة منها سقيفة [2] ، فالله حفظ السماوات من أن تقع على الأرض ، و في دلالة لفظي " السَّقْفِ " و "الْمَرْفُوعِ " من خلال المعاني المطروحة لمعاني كلمة سقف إيماءة توحي بالترابط الدلالي بين اللفظتين ، و في ذلك دعوة للعقل للتفكر بثبات السماء و تماسكها ، و حفظها من أن تقع عاى الأرض رغم علوها و ارتفاعها .

رفع السماء :

رفع الله السماوات بلا عمد في قوله تعالى :﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾[3]. اعتاد الإنسان وجود السماء سقفاً تظلله لكن لم يخطر بباله أن يسأل كيف يمكن للسماء أن تبقى ثابتة دون عمد يسندها ، أو أنها يوماً ستقع فوق رؤوس كل من على الأرض ؟؟

يمثل رفع السموات السبع بغير عمد صورة من صور عديدة قد قصد فيها المعنى الظاهر ، أو قد يكون هناك دلالات ثانية مازال الإنسان يبحث عنها ، فالأعمدة التي تمسك السماء قد تكون موجودة لكن بصر الإنسان لا يقوى على رؤيتها فلا تظهر لنا رغم وجودها ، و في هذا

---

1. الطور : 5 .
2. لسان العرب : مادة " سقف " .
3. الرعد: 2 .

دليل على عظمة السيطرة الكاملة لله سبحانه و تعالى. و في محكم تنزيله جاءت لفظة "عمد " في مواضعين على النحو الآتي :

قال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾[1] .

وقوله : ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ...﴾[2] .

طرائق السماء

قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾[3]. و الطرائق : جمع طريقة و هي اسم للطريق تذكر و تؤنث ، و المراد بها هنا طرائق سير الكواكب السبعة و هي أفلاكها "[4] ، أي الخطوط الفرضية التي ضَبط الناس بها سَيْر الكواكب . و جاء في صفوة التفاسير" أي خلقنا فوقكم سبع سموات ، سميت طرائق لأن بعضها فوق بعض "[5] .

وفي عرائس المجالس" خلق الله السموات مثل القباب ، فسماء الدنيا قد شدت أقطارها بالثانية ، و الثانية بالثالثة ، و كذلك إلى السابعة و السابعة بالعرش ، فذلك قوله تعالى :﴿

---

1. الرعد : 2.
2. لقمان : 10 .
3. المؤمنون : 17 .
4. ابن عاشور ، محمد : تفسير التحرير والتنوير . ج19 ، ص 27 .
5. الصابوني ، محمد علي : صفوة التفاسير . ط1 ،ج 2 ، ص278 .

اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾[1]. و المراد بالاستواء ههنا : الاستيلاء بالقدرة و السلطان ، لا بحلول القرار و المكان " [2]. فكان الاستواء لتدبير أمر السموات و الأرض بعد أن اكتمل خلقهن.

يجمع الزمخشري بين التفسير اللغوي للطرائق ، و الرؤى الدلالية التي يحتملها السياق العام للآية في قوله : الطرائق السموات ، لأنه طورق بعضها فوق بعض كمطارقة النعل ، و كل شيء فوقه مثله فهو طريقة : أو لأنها طرق الملائكة و متقلباتهم : و قيل : الأفلاك ، لأنها طرائق الكواكب فيها مسيرها : أراد بالخلق السموات ، كأنه قال : خلقناها فوقهم وَ ما كُنَّا عنها غافِلِينَ و عن حفظها و إمساكها أن تقع فوقهم بقدرتنا : أو أراد به الناس و أنه إنما خلقها فوقهم ليفتح عليهم الأرزاق و البركات منها ، و ينفعهم بأنواع منافعها ، و ما كان غافلاً عنهم و ما يصلحهم .[3]

و يجوز أن يكون الطرائق بمعنى المبسوطات من طرقت الحديد مثلا إذا بسطته و هذا لا ينافي القول بكرويتها ، وقيل : سميت طرائق لأن كل سماء طريقة و هيئة غير هيئة الأخرى . [4]

السماوات الطباق :

---

1. الرعد : 2 .
2. الرضي ، الشريف : تلخيص البيان في مجازات القرآن . تح : محمد عبد الغني حسن ،ط1 ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، 1955 م ، ص153 -154 .
3. الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. ج3 ،ص179.
4. يتظر : الآلوسي ، شهاب الدين : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني.ج9 ، ص220.

الطَّبَقُ غطاء كل شيء ، و الجمع أَطْباق ، و قد أَطْبَقَه و طَبَّقَه انْطَبَقَ و تَطَبَّقَ غَطَّاه و جعله مُطَبَّقاً . و منه قولهم : لو تَطَبَّقَت السماء على الأَرض ما فعلت كذا.[1] و تنبه ابن عرفة إلى فعل الرؤية (ما ترى في خلق الرحمن) . في قوله تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ۖ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ * ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَ هُوَ حَسِيرٌ ﴾[2]. إذ إن المخاطبين لم يروا سبع سموات ، و إنما سماء واحدة ، و استعان ابن عرفة بأسباب النزول التي تعد جزءاً من السياق غير اللغوي مؤكداً أن المعلوم للخلق بالضرورة إنما هو مجرد السماوات لَا كونها سبعاً ، وأتى نوح عليه السلام بهذا الدليل تقريراً على قوله ، فكأنه يقول لهم : ألم تعلموا أن الله خلق سبع سماوات طباقا فكيف تكفرون به ؟ ، وهذا غير معلوم إلا من جهة السمع ، أو من جهة النظر والرصد ، و ليس بأمر ضروري ، و الجواب أن علماء أهل الهيئة نصوا على أن ذلك يدرك بالرصد و أن القمر في السماء الدنيا ، و عطارد في السماء الثانية ، و الزهرة في الثالثة ، و الشمس في الرابعة ، و المريخ في الخامسة ، و المشتري في السادسة ، و زحل في السابعة ، و أنها كلها تكسف فتحجب بعضها ، و لا يدرك ذلك إلا بطول الأعمار ، فالمتقدمون لطول أعمارهم رصدوا ذلك فعلموا منه عدد السماوات ، و هذه الآية من كلام نوح عليه السلام لقومه ، و قد كانت أعمارهم طويلة فهم ممن حصل لهم العلم الضروري بكون

1. لسان العرب : "مادة طبق" .
2. الملك : 3 -4 .

السماوات سبعاً من الرصد و الكسوفات. [1] ، و يربط الآلوسي بين صفة السماء (الطباق) و دلالة التماسك و الإحكام الذي يشكل عصب هذا المحور من الفصل بقوله : تفسير التطابق بالتوافق في الحسن و الاشتمال على الحكم وجودة الصنع. [2]

و ذهب بعض المفسرين إلى ربط السموات السبع بمواد و معادن : فالأولى من موج ملفوف ، و الثانية من درة بيضاء ، و الثالثة من حديد ، و الرابعة من نحاس ، و الخامسة من فضة ، و السادسة من ذهب ، و السابعة من زمردة بيضاء"[3]. و على الرغم من غياب الدليل على هذا الربط إلا أنها معان تعزز دلالة الإحكام والتماسك الذي يحرص عليه المبحث الأول .

السماء الحبك :

حمل المعنى المعجمي لكلمة الحبك معنى : الشد ، و حبك السماء طرائقها ، أي طرائق النجوم ، واحدتها " حبيكة " و الجمع " حبائك " و هي بمعنى الخلق الحسن (ذَاتِ الْحُبُك) : ذات الطرائق التي حبكت بالنجوم . و قد وردت لفظة الحُبُك في القرآن الكريم مرة واحدة فقط ، و لفظة الحُبُكُ في اللغة العربية مُستمَدة من الفعل حَبَكَ ، بمعنى شدَّ و أحكم يقال : حَبَكَ الأمر يُحْبِكُه حَبْكَاً ، كما يقال : أَحْبَكَ الأمر يُحْبِكُه حَبْكَاً وإِحْبَاكَاً أي شده و أحكمه . و يقال : حَبَكَ النسَّاج الثوب ، أي أجاد نسجه ، وحَبَكَ الحائك الثوب أي أجاد صنعه ، و ضبط أبعاده ،

1. ابن عرفة : محمد : تفسير ابن عرفة . تحقيق : جلال الأسيوطي. ط1 ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، 2008 ، ج4 ، س296
2. الآلوسي ، شهاب الدين : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ج ، 15 ، ص83 .
3. أبو حيان ، محمد بن يوسف : تفسير البحر المحيط . ط2، دار الفكر ، 1978 م ، ج8 ، ص 298.

فالأمر المَحْبُوك المُحكَم الصنعة "[1] ، و في قوله تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴾[2]. و السماء ذات الخَلْق الحسن ، أي : حبكها نجومها . و الدرع محبوكة : لأنّ حلقها مطرق طرائق . و يقال : إنّ خلقة السماء كذلك.[3]

و معنى الآية " القسم بالسماء ذات الطرائق المحكمة و البنيان المتقن "[4]. و المعنى : تزينها كما تزين الموشى طرائق الوشي . و قيل : حبكها صفاقتها و إحكامها ، من قولهم : فرس محبوك المعاقم ، أي محكمها . و إذا أجاد الحائك الحياكة قالوا : ما أحسن حبكه ، و هو جمع حباك.[5]

و يرجح الآلوسي أن إطلاق الحبك على النجوم مجاز ، لأنها تزين السماء كما يزين الثوب الموشى حبكه و طرائق وشيه فكأنه قيل : ذات النجوم التي هي كالحبك أي : الطرائق في التزيين ، و استظهر في السماء أنه جنس أريد به جميع السماوات ، و كون كل واحدة منها ذات حبك بمعنى مستوية الخلق جيدته ، أو متقنة البنيان أو صفيقة ، أو ذات طرق معقولة ظاهر ، و أما كون كل منها كذلك بمعنى ذات طرق محسوسة باعتبار أن الكواكب في أي سماء كانت تسير مسامتة لسائر السماوات ، فممراتها باعتبار المسامتة طرق ، و بمعنى ذات النجوم فباعتبار أن النجوم في أي سماء كانت تشاهد في سائر السماوات بناء على أن السماوات شفافة لا يحجب كل منها إدراك ما وراءه. [6] ، و عند التأمل بالمعاني اللغوية لهذه

---

1. لسان العرب : "مادة حبك" .
2. الذاريات : 7 .
3. الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. ج4 ، ص396
4. الصابوني ، محمد علي : صفوة التفاسير . ط1 ، ج3 . ص234.
5. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. ج4 ، ص396 .
6. الآلوسي ، شهاب الدين : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. ج15 ، ص5،6 .

الكلمة ﴿ الحُبُك ﴾ نستشف أنها تدور حول البنية النسيجية لهذا الكون ، فالنسيج و الخيوط المحبوكة بإحكام و المشدود بعضها إلى بعض ، تكشف لنا عن روابط دلالية بين المعنى اللغوي لكلمة (الْحُبُكِ) ، و المعنى الدلالي الذي يظهر روعة البناء و دقة الصنع ، فالأجرام السماوية ، و تعدد مساراتها ، و تباين مستوياتها ، تظهر في صفحة السماء كأننا أمام نسيج رائع من النجوم و المجرات و الغبار الكوني ، صنعت بنظام و دقة .. بيد نساج ماهر الصناعة ، مع فارق التشبيه بأن هذه النجوم في لحظات انفجارها ، و تناثر أجزائها لا يمكن أن يحدث أي تضارب ، أو تصادم إلا بالقدر المحسوب و المسموح به بأمر من الله تعالى ، و تظهر صور السماء في السياق ، مترابطة ، متعاونة على رسم صورة لها متكاملة على شكل بناء ضخم متقن الصنع ، جميل متناسق ، و هو بناء لا يخضع لقوانين البناء المعروفة لدى الإنسان ، و إنما هو يخضع لقوانين أخرى وضعها الله سبحانه لها "[1]. فلفظة " الحبك " تحمل في طيات حروفها معاني القوة و المتانة و إحكام الترابط ، مع وجود الدقة و النظام في ترتيبها . و تمثل النقاط المضيئة في السماء ليلاً تجمعات المجرات الضخمة . و جميعها رتبها الله تعالى في هذا الكون الواسع ببنية نسيجية رائعة. فالسماء" محبوكة ، و محكمة ، و متناسقة التركيب ، كتنسيق الزرد المحبوك المتداخل الحلقات ، دون خلل أو عيب فيها "[2]. يقسم الله تعالى بالسماء المنمقة و المنسقة المحكمة في كل ما تضمه من نجوم و كواكب ، فهي كالدرع المتشابك المتداخل في حلقاته و قد تكون هذه إحدى هيئات السحب في السماء

1. ينظر : الراغب ، عبد السلام أحمد : وظيفة الصورة الفنية في القرآن . ص 205 .
2.المرجع نفسه ، ص 205.

حين تكون موشاة كالزرد ، مجعدة الماء و الرمل إذا ضربته الريح ، و قد يكون تركيب الأفلاك و مداراتها المتناسقة و المتشابكة "[1].

تزيين السماء :

يرى الإنسان جمال الله تعالى من خلال التمعن و النظر إلى جمال مخلوقاته ، و التأمل في تفاصيلها ؛ فإذا أنعمنا النظر في السماء نرى صوراً تفصح عن عظمة الخالق ، و تنطق ببديع الصنع و الإحكام ، و قد زين الله السماء بعشرة أشياء هي :" الشمس ، القمر ، و الكواكب ، و هي على ضربين : منها معلق كتعليق القناديل في المساجد ، و منها مركب كتركيب الفص في الخاتم و هي مع كثرتها مختلفة الصور ، و العرش ، و الكرسي ، و اللوح والقلم ، و سدرة المنتهى و الجنة [2].

جاء الفعل (زين) بمختلف مشتقاته في القرآن الكريم ستاً و أربعين مرة ، منها ست مرات متعلقة بالسماء ، و أربعون مرة متعلقة بزينة الناس ، أو بزينة الأرض حينما تكسوها الخضرة ، أو بتزيين الله تعالى العمل للأمم ، أو بمعنى تزيين الشيطان للمعاصي ، و أعمال السوء في أنظار بعض الناس "[3] ، و في كل الحالات كان يظهر و يتطلب حدوث عمل التزيين حصول العمل أولاً ، و من ثم فعل التزيين .

زين الله السماء الدنيا بالنجوم و الكواكب ، و قد جاء ذكر ذلك في العديد من الآيات الكريمة أما بالنسبة للسماوات الست الباقية ، فلولا أن الله تعالى قد أخبرنا عنها في محكم كتابه ، و

1. قطب ، سيد : في ظلال القرآن . مج6 ، ص 3375 .
2. ينظر : الثعالبي ، أبو إسحاق : عرائس المجالس . ص،24،25،26،27 ،28
3. النجار ، زغلول راغب محمد : السماء في القرآن الكريم . ص357 .

أن خاتم أنبيائه ورسله قد ارتادها في ليلة الإسراء و المعراج ، و أخبرنا عنها في العديد من أحاديثه ، ما كان في وسع الإنسان أن يصل إلى خبرها ، و كل ما نعلمه عنها من خلال وصف القرآن الكريم لها بأنها متطابقة مع السماء الدنيا ، و محيطة بشكل كامل بها [1].

﴿ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ أي : وزينا السماء الأولى القريبة منكم ، بالكواكب المنيرة المشرقة على أهل الأرض ، و حرساً من الشياطين أن تستمع إلى الملأ الأعلى "[2].

و قدرة الله و عظمته في بناء السموات و رفعها بغير عمد و تزيينها خال من أي عيب أو نقص ، فقوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾[3] ، فبناء السماء بلا عمد ، مستوية الأرجاء ، و ما لها من شقوق و فتوق. و في الآية الكريمة تقدم فعل " البناء" على فعل " التزيين " ؛ لأن البناء هو الأصل و" التزيين " هو الفرع ، وهذا دليل على دقة صنع الخالق و قدرته.

و كلمة" فُرُوجٍ " تعني الشقوق ، والفتوق ، و الصدوع ، و المعاني متقاربة . و في بداية الآية الكريمة يلفت نظرنا دلالة صيغة الاستفهام و التي تفيد الإنكار ، ولوم المخاطب على عدم النظر و تأمل عملية التنظيم و الترتيب في بناء السماء ، و من ثم تزينها و بعد الانتهاء من العمل ظهور دقيق الصنع و الإحكام ، فهي خالية من الشقوق و الصدوع ، و

1.ينظر : النجار ، زغلول راغب محمد : السماء في القرآن الكريم ، ص146.
2. المرجع نفسه ، ص109 .
3. ق : 6 .

هذا النوع من الاستفهام حمل معانٍ عميقة الأثر في لوم النفس و معاتبتها ، و ظهر التتابع في معاني الألفاظ و دلالتها بشكل يخدم السياق .

خص الله تعالى السماء الدنيا بنعمة التزيين و ذلك في قوله :

﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴾[1].

﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾[2] .

﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴾[3].

﴿ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَتَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾[4].

و المتأمل لألفاظ الأيات السابقة يدرك شبكة العلاقات الدلالية بين مادة (زينا ، وزيناها) و السياق العام للآيات الكريمة ، فقد جاء الفعل زينا في سياق البناء و الإحكام و الحفظ ، و اقتران اختصاص الزينة للسماء الدنيا دون ذكر باقي السموات يشعرنا بتجاذب ألفاظ النص القرآني ، كما أن تفاعل الفعل " زيّنا " مع اللفظة المجاورة " السماء " يشير إلى انسجام فعل التزيين مع علو السماء .

---

1. الصافات : 6 .
2. ق : 6 .
3. الملك : 6 .
4. فصلت : 12 .

التزيين بالكواكب :

يقسم سبحانه و تعالى بالسماء بديعة الصنع ، رفيعة المنازل في محكم تنزيله ، فيقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَالسَّمَاء ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴾[1] ، فالبروج المنازل ، و شبهت بالقصور لعلوها و ارتفاعها لأنها منازل للكواكب السيارة "[2] . و معنى البرج في اللغة : " الركن و الحصن و القصر "[3] ، و في وصف السماء بالبروج إيماءة لبيان جميل صنع الله . و جاءت لفظة (البروج) في محكم تنزيله مُرتبِطة بالسماء كما في الآيات التالية :

قال تعالى :﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴾[4].

قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُّنِيراً ﴾[5].

و في هذه الآيات تآزر و تطابق واضح بينها و بين آيات المجموعة الأولى في أن السماء الدنيا من خصها الله بصفة التزيين . و عند الحديث عن ظاهرة الملازمة في السياق الدلالي نلمح دقة التعبير في اختيار لفظة (جعلنا) دون غيرها من البدائل اللغوية ، فهي تدل على الهيئة التي صارت عليها السماء بعد عملية الخلق و الإنشاء ؛ لأن من معاني " جعل " إيجاد

---

1. البروج : 1 .
2. الصابوني ، محمد علي : صفوة التفاسير . ط1 ، ج3 ، ص 515 .
3. البستاني ، بطرس : محيط المحيط ، مادة " برج "
4. الحجر : 16.
5. الفرقان :61.

شيء من شيء و تكوينه منه " [1] ، و تفيد لفظة " الجعل " كل ما جعله له على عمله "[2] . وفي كل هذه المعاني ما يفيد معنى الصنع و الصيرورة .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴾[3] ، فالمتأمل في عجائب آيات خلق الله ، يحار نظره فيها ، و البروج : القصور والمنازل ، و التي جعلها الله مرتبة بأشكال تسرّ الناظرين ، و ذكر صاحب الظلال :" أن البروج قد تكون هي النجوم و الكواكب بضخامتها . و قد تكون هي منازل النجوم و الكواكب التي تنتقل فيها في مدارها . و هي في كلتا الحالتين شاهدة بالقدرة ، و شاهدة بالدقة ، و شاهدة بالابداع الجميل "[4] ، فيدرك الإنسان المبصر حقيقة الجمال الكوني ، و عمق هذا الجمال في تكوينه ، فجمال السماء و زينتها غاية مقصودة في خلق هذا الكون "[5].

و في قوله تعالى :﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴾[6] ، أي : زينا السماء القريبة منكم بالكواكب المنيرة المضيئة ، التي تبدو و كأنها جواهر تتلألأ "[7] .

فروج السماء ، قال تعالى :﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾ [8] و كلمة " فُرُوجٍ " تعني الشقوق ، و الفتوق ، و الصدوع ، و المعاني

---

1. الأصفهاني ، الراغب : مفردات ألفاظ القرآن . ص 197 .
2. لسان العرب : مادة " جعل " .
3. الحجر : 16 .
4. قطب ، سيد : في ظلال القرآن . ط10، مج4 ، ص 2132 .
5. ينظر : قطب ، سيد : في ظلال القرآن . ، ط10، مج4 ، ص 2133 .
6. الصافات : 6 .
7. الصابوني ، محمد علي : صفوة التفاسير . ط1، ج3 ، ص 26 .
8. ق : 6 .

متقاربة "[1]. و في بداية الآية الكريمة يلفت نظرنا دلالة صيغة الإستفهام و التي تفيد الإنكار ، ولوم المخاطب على عدم النظر ، و تأمل عملية التنظيم و الترتيب في بناء السماء ، و من ثم تزينها و بعد الانتهاء من العمل ظهور دقيق الصنع و الإحكام ، فهي خالية من الشقوق و الصدوع ، و هذا النوع من الإستفهام حمل معانٍ عميقة الأثر في لوم النفس و معاتبتها ، و ظهر التتابع في معاني الألفاظ و دلالتها بشكل يخدم السياق ، فتفاعلت المفردات و تتابعت لتبني جسداً دلالياً منظماً ، و جاء في صفوة التفاسير ما يشير إلى ضرورة النظر " نظرة تفكر و اعتبار إلى السماء في ارتفاعها و إحكامها و رفعها "[2] .

لاحظ العلماء في السنوات القليلة الماضية أن كل مانراه في هذا الكون لا يشكل إلا نسبة بسيطة قياساً بما لا نراه من مادة غير مرئية ، و جاء البيان الإلهي ليتحدث عن هذه المادة المظلمة بدقة تامة بقوله تعالى : ﴿ فَلاَ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الجَوَارِ الكُنَّسْ ﴾[3]. فتسمية هذه الأجسام بالخُنَّس (من فعل الخَنَسَ أي الاختفاء) ، مطابقة للاكتشافات العلمية الحديثة التي تؤكد على وجود أجسام في الكون مختفية لا يمكن رؤيتها فهي شديدة الاختفاء ، و ذكر في التفاسير معنى " الخنس " أي : النجوم المضيئة التي تختفي بالنهار ، و تظهر بالليل "[4] ، و عندما يصفها القرآن بأنها (جَوَارٍ)" أي : تجري و تسير مع الشمس ، ثم تستتر وقت غروبها ، كما تستتر الظباء في كناسها – مغاراتها – "[5] ، و تدل لفظة " الخنس " على

---

1. ابن كثير ، الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل : مختصر ابن كثير . مج 3 ، ، ص 372 .
2. الصابوني ، محمد علي : صفوة التفاسير . ط1 ، ج 3 . ص225 .
3. التكوير : 15-16 .
4. الصابوني ، محمد علي : صفوة التفاسير . ط1 ، ج2 . ص499 .
5. المرجع نفسه . ط1 ، ج2 . ص500 .

الخفاء و التستر لأن ما في السموات من نجوم و كواكب مجرات مخفي عن أعين البشر ، و أن ما يظهر لنا ما هو إلا الشيء اليسير و تنسجم دلالة اللفظة ، و ما تحمله من معاني السكون و الخفاء مع دلالة صوت السين ، و في هذا كله دلائل واضحة على وجوه البيان و البديع في كل حرف من حروف ألفاظ القرآن الكريم .

التزيين بالمصابيح :

تقتضي ظاهرة الملازمة في التركيب النحوي التأمل في القرآن الكريم نحو : الملازمة بين الفعل و المفعول به "[1]. كما في الآية التالية : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ ﴾[2]

و جاءت لفظة " السماء " هنا أعم من السماوات و ذلك أن (السماء) في القرآن تستعمل على معنيين فهي إما أن تكون واحدة السماوات كقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ ﴾ ، و إما أن تكون لكل ما علاك فتشمل السماوات وغيرها كالسحاب و المطر و الجو كقوله تعالى :﴿ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً...﴾(3) ، و السماء هنا بمعنى السحاب ، و المصابيح : هي الكواكب التي وضعت فيها من السيارات و الثوابت و خلقها الله زينة للسماء

1.ينظر : عتيق ، عمر : ظواهر أسلوبية في القرآن الكريم (التركيب والرسم والايقاع) . ص87 .
2. الملك : 5.
3. الرعد : 17 .

"[1] ، و المصابيح التي تزين السماء تضيء الطريق الذي يصل بيننا وبينها ، وتسمى مصابيح كاشفة.

و في قوله : ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[2] . ففي لفظ " فقضاهن " معنى الإيجاد " والقضاء " الإيجاد الإبداعي ؛ لأن فيه معنى الإتمام والحكم ، فهو يقتضي الابتكار و الإسراع"[3] ، و لفظة المصابيح : أي الكواكب المنيرة المشرقة على أهل الأرض "[4].

والبروج : هي أبواب السماء ، و سميت بذلك لأن النوازل تخرج من الملائكة عليهم السلام منها فجعلت مشبهة بقصور العظماء النازلة ، أو أمرهم منها ، أو لأنها لكونها مبدأ للظهور وصفت به مجازاً .[5]

و أسماء هذه البروج : الحمل ، والثور ، والجوزاء ، والسرطان ، والأسد ، والسنبلة ، والميزان ، والعقرب ، والقوس ، والجدي ، والدلو ، والحوت . والعرب تعد المعرفة لمواقع النجوم و أبوابها من أجل العلوم ، و يستدلون بها على الطرقات و الأوقات و الخصب و الجدب ، فالبروج تزين السماء و تجملها ، و البروج هي النجوم التي بقدرته و عظمته جعلها تُكون

1. ابن كثير : مختصر تفسير ابن كثير . ص527 .
2. فصلت : 12 .
3. ابن عاشور ، محمد الطاهر : التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد. الدار التونسية للنشر – تونس،ج25، 1984 م ، ص 248 .
4. ابن كثير : مختصر تفسير ابن كثير ، ص258 .
5. الآلوسي ، شهاب الدين : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. ج15 ،ص295.

أشكالاً تسر الناظرين ، و تنير السماء ببريق لمعانها ، إلى جانب أن هذه البروج بنجومها و باقي أجرامها " جند مسخرة من قبل الله سبحانه و تعالى ؛ للإمساك بأطراف السماء الدنيا على الرغم من المسافات الشاسعة التي تفصلها ، فهي مرتبطة مع بعضها بالاتزان الدقيق بين كل من قوى الجاذبية و القوى الطاردة المركزية ، على الرغم من تحركها بسرعات مذهلة في صفحة السماء "[1].

لم يكن تزيين السماء بالنجوم عبثاً ، و لم يكن الهدف منه فقط التزيين ، و إنما يكمن في تحفيز الناس لادراك اليقينيات الكونية ، والتنبيه إلى إتقان صنع الخالق ، و وسيلة حقيقية للاهتداء بها في ظلمات البر والبحر ، و إذا أنعمنا النظر في آيات القرآن الكريم التي وردت فيها كلمة (زينة) لأدركنا أن الفعل (زين) يكون لفترة محددة من الزمان ، أو المكان ، و أنه لا محال زائل ولو بعد حين .

1. النجار ، زغلول راغب محمد : السماء في القرآن الكريم . ص339،338 .

المبحث الثاني : الهدم والانشقاق

تقرر الآيات الكونية وجود تباين بين مشهد السماء في الدنيا و صورتها في الآخرة ، فنرى في الدنيا جمالها و إتقان صنعها و إحكامها ، فإذا قامت الساعةُ ، تبدأ سلسلة طويلة من التغيّرات الكونيّة الحاصلة يوم القيامة التي ستحدث خللاً مهولاً في نظام الكون ، فإذا بالسماء يُصيبها الوهن و الضعف و الصدع ، فتصبح مشقوقة و منفطِرة .

و سنعرض في هذا المبحث آيات عظمة الله و قدرته لحظات الهدم و الدمار الذي سيلحق بكل موجودات الكون ، فالسماء بكل ما تحويه ستتغير أحوالها ، ستتفكك و تنشق وتتغير معالمها ، وسيحدث بها فروج ، فتتشقُق و تنفطر ، بعد أن كانت في الدُنيا بناءً متماسكاً محكماً خالياً من الانفطار.

انشقاق السماء

تتشقق السماء وتتصدع ويختل تركيبها في أحداث يوم القيامة ، وفي ذلك يقول سبحانه تعالى :﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾[1]. يصور سبحانه وتعالى حدث انشاق السماء بكلمات قليلة توقع الفزع والخوف لكل متأمل لمعانيها ودلالاتها . ويُضمر حذف جواب الشرط (إذا) دلالة نفسية مكثفة ، و معنى المحذوف " ليذهب المقدّر كل مذهب . أو اكتفاء بما علم في مثلها من سورتي التكوير والانفطار. وقيل : جوابها ما دلّ عليه فَمُلاقِيهِ أي إذا السماء انشقت لاقى الإنسان كدحه ، والانشقاق يجعلها ضعيفة واهية كما في قوله تعالى : ﴿ وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴾[2] ، وفي هذه الآية الكريمة ترابط وتناغم حقيقي بين كلمتي "انشقت" و" واهية " فلا يأتي الضعف للسماء إلا بعد تشققها وتمزقها . وَانْشِقَاقُ السَّمَاءِ : مُطَاوَعَتُهَا لِفِعْلِ الشَّقِّ ، وَالشَّقُّ : فَتْحُ مَنَافِذَ فِي مُحِيطِهَا.[3] ، ولا تعارض بين انشقاق السماء في الآية السابقة ، وفتح السماء في قوله تعالى :﴿ وَفُتِحَتِ السَّماءُ فَكانَتْ أَبْواباً ﴾[4] ، " وكذا لا منافاة بين كون الانشقاق لنزول الملائكة و كونه لهول يوم القيامة ؛ لأن الأمر قد يكون له علل شتى مثل هذه العلل ، والمراد بالسماء جنسها ، وقيل السماوات السبع . وأيما كان فلا يشترط لصحة الانشقاق كونها أجساما صلبة ، إذ يتصف بنحو ذلك ما ليس بصلب

---

1. الانشقاق : 1 .
2. الحاقة : 16.
3. ابن عاشور، محمد الطاهر : التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد. ج29 ، ص126 .
4. النبأ: 19 .

أيضا فقد وصف البحر بالانفلاق فَهِيَ أي السماء يَوْمَئِذٍ واهِيَةٌ ضعيفة من وهى الشيء ضعف وتداعى للسقوط "[1].

وأما في قوله تعالى :﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا ﴾[2] ، وعند التأمل في الخطاب الرباني تتجلى لنا شبكة من العلاقات الدلالية بين تشقق السماء ونزول الملائكة ، فانشقاق السماء ونزول الملائكة منها حدثان متتابعان يوحيان بالتجدد ، واختيار صيغة المضارع في هذه الآية قد يكون لاستمرار تجدد الحدث ، فالملائكة لا تنزل من السماء الدنيا و إنما هناك سموات سبع ستتشقق ، وتفتح أبوابها لنزول الملائكة ، فعنصر الحركة والتجدد والاستمرارية يظهر عظمة الموقف وهوله . وتتجاوز دلالة الفعل (تشقق) وصف أهوال يوم القيامة ، وتحول السماء من التماسك إلى التشقق ، فالفعل يرتبط بخروج الملائكة بإرادة رب العالمين ، إذ إن تشقق السَّمَاءِ تعني زَوَالُ الْحَوَاجِزِ وَالْحُدُودِ الَّتِي كَانَتْ تَمْنَعُ الْمَلَائِكَةَ مِنْ مُبَارَحَةِ سَمَاوَاتِهِمْ ، إِلَّا مَنْ يُؤْذَنُ لَهُ بِذَلِكَ ، فَاللَّامُ فِي الْمَلَائِكَةِ لِلِاسْتِغْرَاقِ ، أَيْ بَيْنَ جَمْعِ الْمَلَائِكَةِ وَحَاصِلُ الْمَعْنَى : أَنَّ هُنَالِكَ انْبِثَاقًا وَانْتِفَاقًا يُقَارِنُهُ نُزُولُ الْمَلَائِكَةِ لِأَنَّ ذَلِكَ الِانْشِقَاقَ إِذْنٌ لِلْمَلَائِكَةِ بِالْحُضُورِ إِلَى مَوْقِعِ الْحَشْرِ وَالْحِسَابِ . وَالتَّعْبِيرُ بِالتَّنْزِيلِ يَقْتَضِي أَن السَّمَوَات الَّتِي تَنْشَقُّ عَنِ الْمَلَائِكَةِ أَعْلَى مِنْ مَكَانِ حُضُورِ الْمَلَائِكَةِ.

ويقف ابن عاشور على دلالة حرف الباء في (بالغمام) موظفاً احتمال تضمن الباء معنى حرف آخر كي يعزز دلالة انشقاق السماء ، كما يتجلى في قوله : وَالْبَاءُ فِي قَوْلِهِ :

1. الآلوسي ، شهاب الدين : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. ج15، ص51
2. الفرقان : 25.

بِالْغَمامِ قِيلَ بِمَعْنَى (عَنْ) أَيْ : تَشَقَّقَ عَنْ غَمَامٍ يَحُفُّ بِالْمَلَائِكَةِ . وَقِيلَ لِلسَّبَبِيَّةِ ، أَيْ يَكُونُ غَمَامٌ يَخْلُقُهُ اللَّهُ فِيهِ قُوَّةٌ تَنْشَقُّ بِهَا السَّمَاءُ لِيَنْزِلَ الْمَلَائِكَةُ مِثْلُ قُوَّةِ الْبَرْقِ الَّتِي تَشُقُّ السَّحَابَ. وَقِيلَ الْبَاءُ لِلْمُلَابَسَةِ ، أَيْ تَشَقَّقُ مُلَابِسَةً لِغَمَامٍ يَظْهَرُ حِينَئِذٍ .[1]

وذكرت الأيات الكريمة في ذكر مآل السماوات وآخر حالها أنها ستكون وردة كالدهان . وَالْوَرْدَةُ تَنْشَقُّ مِنْ أَعْلَاهَا حِينَ يَنْفَتِحُ بِرْعُومُهَا فَيُوشِكُ إِنْ هُنَّ تَفَطَّرْنَ أَنْ يَخْرِرْنَ عَلَى الْأَرْضِ .[2] وَجْهُ الشَّبَهِ بين السماء والوردة هُوَ شِدَّةُ الْحُمْرَةِ ، أَيْ يَتَغَيَّرُ لَوْنُ السَّمَاءِ الْمَعْرُوفُ أَنَّهُ أَزْرَقُ إِلَى الْبَيَاضِ ، فَيَصِيرُ لَوْنُهَا أَحْمَرَ.[3]

وذلك في قوله تعالى :﴿ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾.[4] ، ويَفسر النابلسي في تَفسيره العِلمي لهذه الآية ، الذي أيّدَته المُكتشفات العِلمية الحَديثة ، والذي ذَكرَه كذلك بَعض المُفَسرين ، من أن انشِقاق السَماء يُشبِه الوردة الجورية ، ويقول : " إنه وفي 1990م عرَضت إحدى وكالات الفَضاء في العالم ، من خلال مرصَد عملاق عبْر موقعها المَعلوماتي ، صورة لا يشك الناظر إليها لَحظَة ، أنها وردة جورية ذات أوراق حَمراء قانِية ، مُحاطة بِوريقات خَضراء زاهية ، وفي الوَسَط كَأس أزرَق اللّوْن ، أما حَقيقة هذه الصورة فَهي صورة لانفِجار نَجم عِملاق اسمه (عَين القط) ، يَبعد عنا ثلاثة آلاف سنة ضَوئية " [5]. ولو ربطنا بين لفظة (الإنشقاق) ، وبين لفظة (وردة) لأدركنا معنى التتابع والتتالي بتفاصيل حدث

---

1. ينظر : ابن عاشور، محمد الطاهر : التحرير والتنوير . ج19،ص9
2. ابن عاشور، محمد الطاهر : التحرير والتنوير. ج25 ، ص30
3. المرجع نفسه .ج27 ، ص 261
4. الرحمن : 37 .
5. النابلسي ، محمد راتب : موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (آيات االله في الآفاق). ص. 71-72 .

الإنشقاق والتتابع والتتالي بمكونات الوردة ، وقد تحمل هذه الألفاظ قاسماً مشتركاً يعبر عن الغموض الذي يبدأ بالتدرج في الإنكشاف ، وفي هذا كله توجيه للقلب إلى مشاهد انهيار الكون بكل الأساليب.

فروج السماء :

الفَرْجُ الخَلَلُ بين الشيئين والجمع فُرُوجٌ . والفَرْجُ الثَّغْرُ المَخُوف وهو موضع المخافة .[1] وَمَعْنَى فُرِجَتْ في قوله تعالى : وفي قوله تعالى :﴿ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴾[2]. تَفَرَّقَ مَا كَانَ مُلْتَحِمًا مِنْ هَيْكَلِهَا ، يُقَالُ : فُرِجَ الْبَابُ إِذَا فَتَحَهُ . وَالْفُرْجَةُ : الْفَتْحَةُ فِي الْجِدَارِ وَنَحْوِهِ . ويقف ابن عاشور على الدلالة المحتملة للسماء من حيث الجمع والإفراد ، ليفتح آفاقا تأويلية تتوزع بين دلالة حدوث أخاديد عظيمة في السماء ، أو حدوث تشقق ؛ فَإِذَا أُرِيدَ بِالسَّمَاءِ الْجِنْسُ الصَّادِقُ بِجَمِيعِ السَّمَاوَاتِ عَلَى طَرِيقَةِ الْعُمُومِ الْحَقِيقِيِّ ، أَوِ الصَّادِقُ بِسَمَاوَاتٍ مَشْهُورَةٍ عَلَى طَرِيقَةِ الْعُمُومِ الْعُرْفِيِّ ، وَهِيَ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ الَّتِي يُعَبِّرُ أَهْلُ الْهَيْئَةِ عَنْهَا بِالْكَوَاكِبِ السَّيَّارَةِ جَازَ أَنْ يَكُونَ فَرَجُ السَّمَاوَاتِ حُدُوثَ أَخَادِيدَ عَظِيمَةٍ فِي الْكَوَاكِبِ زِيَادَةً عَلَى طَمْسِ نُورِهَا.

وَإِذَا أُرِيدَ بِالسَّمَاءِ فَرْدٌ مُعَيَّنٌ مَعْهُودٌ وَهِيَ مَا نُشَاهِدُهُ كَالْقُبَّةِ الزَّرْقَاءِ فِي النَّهَارِ وَهِيَ كُرَةُ الْهَوَاءِ، فَمَعْنَى فُرِجَتْ : فَسَادُ عَنَاصِرِ الْجَوِّ بِحَيْثُ تَصِيرُ فِيهِ طَرَائِقَ مُخْتَلِفَةَ الْأَلْوَانِ ، تَبْدُو كَأَنَّهَا شُقُوقٌ

1. لسان العرب : مادة "فرج " .
2. المرسلات : 9.

فِي كُرَةِ الْهَوَاءِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِذَا السَّماءُ انْشَقَّتْ ﴾[1] ، وَكُلُّ ذَلِكَ مُفْضٍ إِلَى انْقِرَاضِ الْعَالَمِ الدُّنْيَوِيِّ بِجَمِيعِ نِظَامِهِ وَمَجْمُوعِ أَجْسَامِهِ.(2)

انفطار السماء :

أفاد المعنى المعجمي لكلمة " انفطار " انشقاقاً في قوله : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ * وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴾[3] . أي : انشقت ، والفطر ، الشق ومنه فطر ناب البعير ومعنى " انتَثَرَتْ " أي : تساقطت وتهاوت "[4] ، فالانفطار يكون أكثر من الانشاق ، فتنفطر إلى أجزاء كثيرة ، كما أن في الآية السابقة وردت الأفعال بصيغة الماضي (انْفَطَرَتْ ، انتَثَرَتْ) وهذا يشير إلى تأكيد وقوع الحدث.

يأتي انفطار السماء مترابطاً مع ظواهر كونية تجسد انهيار النسق الكوني كله ، ويصور التحول الكلي من سياق الاستقرار والثبات والتماسك إلى سياق الانهيار والتشقق والانفجار والبعثرة ، ففي قوله تعالى :﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ * وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ *وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾[5]، تترابط الصور في السياق ، وتتفاعل فيما بينها في رسم الحركة والهيئة المنقلبة و المرعبة . فالسماء مشقوقة ، و القبور كذلك ، تتشقق عن الأجساد ، والكواكب ، مبعثرة متناثرة ، و القبور كذلك مبعثرة ، تنثر الأجساد من جوفها ، و البحار

1. الانشقاق: 1 .
2 ينظر : ابن عاشور، محمد الطاهر : التحرير والتنوير . ج29 ، ص423
3. الانفطار : 1- 2 .
4. الصابوني ، محمد علي : صفوة التفاسير . ط1 ، ج3 ، ص 503 .
5. الانفطار : 1-4 .

متفجرة ، و حركة الانفجار ، مترابطة مع حركة انفجار القبور، وبعثرة ما فيها ، فبين هذه الصور الكونية المرعبة ، ترابط وتواصل ضمن السياق للإيحاء بالأهوال و الأحوال المخيفة ، وهي بمنزلة الطوارق على الحس ، لإيقاظه ، و تهيئته لاستقبال الفكرة الدينية المطلوبة في قوله:﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾.[1]

مور السماء

من أهوال يوم القيامة اضطراب السماء في قوله تعالى : " ﴿ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴾[2] والمور يعني : الجريان السريع ، والمور : التراب المتردد به الريح "[3] ، فالمور : إذا جعل الشيء يذهب ويجيء ويتردد ، ومنها مار الشيء موراً إذا اضطرب وتحرك " [4] ، و يبدو أن لفظة " مورا " تحمل في دلالتها ما يفيد معنى الاضطراب والتحرك ، فاضطراب السماء وتحركها في استدارة يكون سبباً لاضطراب نظام الكون ، ومور السماء عند أهل التأويل بمعنى : استدارتها وتحريكها لأمر الله ، وموج بعضها في بعض وذكر في عرائس المجالس " مورا " يعني " تدور كدوران الرحى من هول يوم القيامة "[5].

وفي باب الحديث عن بعض الظواهر الأسلوبية في التشكيلات الإيقاعية نجد نوعاً من أنواع الإيقاع الاشتقاقي " وهو مجيء كلمة في الآية تشترك مع كلمة الفاصلة في جذرها اللغوي "

---

1. الراغب ، عبد السلام أحمد : وظيفة الصورة الفنية في القرآن . ص344
2. الطور : 9 .
3. الأصفهاني ، الراغب : مفردات ألفاظ القرآن . ص 783 .
4. لسان العرب : مادة " مور " .
5. الثعالبي ، أبو إسحاق : عرائس المجالس . ص 28.

[1] فقد تماثلت كلمة الفاصلة " مورا " مع الفعل " تمور " في الآية نفسها ، فتحقق التماثل بين الفعل والمفعول المطلق " تمور " فتردد الوحدات الصوتية المتماثلة بين الكلمتين يُحدث إيقاعاً قوياً ويترك أثراً إيقاعياً صاخباً على المتلقي .

فتح السماء

وفي قوله تعالى : ﴿ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴾[2] ، المقصود بفتح السماء: انشقاقها، على هيئة لا عهد لنا بها "[3]. وجاء الفعل فتحت ليتناسب مع لفظ " أبوابا " ، وفي هذا التعبير ما يظهر كثرة الأبواب التي ستتفتح في السماء يوم القيامة لتنزل منها الملائكة ، والمبالغة في فعل الفَتح بكثرة الفتح ، أو شدته إشارة إلى أنه فتح عظيم لأن شق السماء لا يقدر عليه إلا الله . وفي قوله : " فَكَانَتْ أَبْوَابًا " أي : " كثرت أبوابها المفتحة لنزول الملائكة نزولاً غير معتاد حتى صارت كأنها ليست إلا أبواباً مفتحة "[4].

وَفَتْحُ السَّمَاءِ: انْشِقَاقُهَا بِنُزُولِ الْمَلَائِكَةِ مِنْ بَعْضِ السَّمَاوَاتِ الَّتِي هِيَ مَقَرُّهُمْ نُزُولًا يَحْضُرُونَ بِهِ لِتَنْفِيذِ أَمْرِ الْجَزَاءِ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّماءُ بِالْغَمامِ وَنُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنْزِيلًا الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمنِ ﴾[5]. وَ فِي الْفَتْحِ عِبْرَةٌ لِأَنَّ السَّمَاوَاتِ كَانَتْ مُلْتَئِمَةً فَإِذَا فَسَدَ

1. عتيق ، عمر : ظواهر أسلوبية في القرآن الكريم .ص 357 .
2. النبأ : 19 .
3. المراغي ، أحمد مصطفى : تفسير المراغي.مج9،ج23، ص120.
4. أبو السعود ، محمد بن محمد العمادي : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم . ج9 ، ص95 .
5. الْفرْقَان : 25- 26.

الْتِئَامُهَا وَتَخَلَّلَتْهَا مَفَاتِحُ كَانَ مَعَهُ انْخِرَامُ نِظَامِ الْعَالَمِ الْفَانِي ، فَقَوْلُهُ أَبْواباً تَشْبِيهٌ بَلِيغٌ ، أَيْ كَالْأَبْوَابِ ، وَحِينَئِذٍ لَا يَبْقَى حَاجِزٌ بَيْنَ سُكَّانِ السَّمَاوَاتِ وَبَيْنَ النَّاسِ".[1]

كشط السماء

كشط من كشط الناقة ، أي : تنحية الجلد عنها ، وتأتي بمعنى زال " [2] ، وأما في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴾[3] ، أي : " إذا أزيلت ونزعت من مكانها كما ينزع الجلد عن الشاة "[4] ، وإذا كشفت وطويت لم يبق هناك شيء يسمى سماء أو غطاء وهذا إنما يكون بخلو ذلك العالم الجديد . من الكواكب ؛ بل بخلوها مما يطلق عليه في الدنيا اسم الأعلى و الأسفل"[5] .

و الكشط بمعنى النزع و الازالة و لهذان المعنيان وقع كبير على نفس المتلقي و خياله ، و احساسه بالألم عند سماع هذه اللفظة ، فاستحضار موقف النزع يثير الرهبة والخوف في النفس الإنسانية ، و استعمال صيغة الماضي في كلمة " كشطت " يؤكد تحقيق وقوع الحدث في المستقبل ، و يقول صاحب الظلال في تفسيره : " وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ " كشطها أي : إزالتها ، فأما كيف يقع هذا وكيف يكون فلا سبيل إلى الجزم بشيء، ولكن نتصور أن ينظر

---

1. ابن عاشو ، محمد الطاهر : التحرير والتنوير ج30، ص32
2. الأصفهاني ، الراغب : مفردات ألفاظ القرآن . ص 712 .
3. التكوير : 11 .
4. الصابوني ، محمد علي : صفوة التفاسير . ط1 ، م 3 ،ص 524.
5. عبده ، محمد : تفسير القرآن الكريم (جزء عمّ). ط3 ، مطبعة مصر ،1341هـ ، ص28.

الإنسان فلا يرى هذه القبة فوقه نتيجة لأي سبب يغير هذه الأوضاع الكونية ، التي توجد بها هذه الظاهرة "[1].

طي السماء

يفيد المعنى اللغوي " للطي " ما ينقض النشر ، ففي عودة السماوات إلى صورتها الأولى كما في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِۚ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۚ وَعْدًا عَلَيْنَاۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾[2] . والطّيُّ : رَدُّ بعض أجزاء الجسم اللّيّن المطلوق على بعضه الآخر ، وضدّه النشر. و معنى طي السماء: تغييرُ أجرامها من موقع إلى موقع أو اقترابُ بعضها من بعض كما تتغير أطراف الورقة المنشورة حين تطوى ليَكتب الكاتب في إحدى صفحتيها "[3].

فتظهر السماوات من أهوال يوم القيامة كصفحات الكتاب التي من السهل طيها و ثنيها ، و في ذلك طواعية لأوامر و إرادة رب العالمين ، و تبدأ ملامح الكون بالتغير ، فالسماء مطوية كما " الكاتب الذي يكتب الصحيفة ثم يطويها عند انتهاء كتابتها "[4] ، فالمشهد يصور الهول الآخذ بزمام القلوب ، وبزمام الكائنات كلها في ذلك اليوم العصيب ، السماء مطوية كما يطوي

---

1. قطب ، سيد : في ظلال القرآن . مج8، ص433.
2. الأنبياء : 104 .
3. ابن عاشور ، محمد الطاهر: تفسير التحرير والتنوير. ج17، ص158.
4. ابن عاشور ، محمد الطاهر: تفسير التحرير والتنوير. ج 18 ، ص 159 .

خازن الصحائف صحائفه ؛ و قد قُضي الأمر ، وانتهى العرض ، و طوي الكون الذي كان يألفه الإنسان.. وإذا عالم جديد وكون جديد "(1).

وفي نهاية المطاف سيبدأ هذا الكون الآخذ في الاتساع ، يتباطأ في اتساعه تدريجياً ، و تبدأ رحلة العودة كما بدأت ، حيث ستطوى السماء كطي السجل للكتب . و يبدأ البناء المحكم في الانهدام ، و التشقق والاضطراب . ويصاحب هدمها انطفاء الشمس وذهاب نورها ، والكواكب والنجوم ستتناثر وتتهافت . فالله سبحانه وتعالي سيأمر بطي الكون جامعاً كل ما فيه من مختلف صور المادة والطاقة والمكان والزمان ، على هيئة جرم ابتدائي ثان (الرتق الثاني) وأن هذا الجرم سينفجر وسيتحول إلى سحابة من الدخان كما تحول الجرم الأول ، وأنه سبحانه و تعالى سيخلق من هذا الدخان أرضاً وسماوات غير التي نعرفها "(2).

و يذهب الزمخشري إلى أن معنى الطي يُضمر دلالة العدم ، وفي رأيه دعوة للتأمل في البنية الدلالية العميقة للطي ، كما يبدو في قوله : نعيد أوّل الخلق كما بدأناه ، تشبيها للإعادة بالإبداء في تناول القدرة لهما على السواء ، فإن قلت : وما أوّل الخلق حتى يعيده كما بدأه ؟ قلت : أوّله إيجاده عن العدم ، فكما أوجده أولا عن عدم ، يعيده ثانيا عن عدم .(3)

والمتأمل للآيات القرانية المتعلقة بالكون وظواهره وبعض مكوناته يدرك الدقة والشمول والكمال ، والصياغة المعجزة التي يفهم منها أهل كل عصر معنى من المعاني يتناسب مع المستوى

---

1. قطب ، سيد : في ظلال القرآن. مج5 ، ص566
2. ينظر : النجار ، زغلول راغب محمد : السماء في القرآن الكريم . ص192 .
3. الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. ج3، ص 137

العلمي للعصر ، وتظل هذه المعاني تتسع باستمرار مع اتساع دائرة المعرفة الإنسانية في تكامل لا يعرف التضاد " [1].

1. ينظر : النجار ، زغلول راغب محمد : السماء في القرآن الكريم . ص109 .

الفصل الثالث

صورة الأرض في القرآن الكريم

مدخل

المبحث الأول : استقرارالأرض وثباتها

المبحث الثاني : تغير معالم الأرض

مدخل

خلق الله الأرض وخصها بسمات طبيعية ؛ لتكون آية واضحة على قدرته وعظمته ، فهي كوكب سابح في فضاء الله ضمن مسارات محددة ، لا ينبغي لها تجاوزها كما بقية الكواكب والنجوم والمجرات فكل سابح في فلكه ، وكل يسير وفق نظام دقيق معجز بحركاته ونظامه يقول سيد قطب : " وهذه الأرض الواسعة العريضة بالقياس إلى البشر ، وهي ذرة أو هباءة ، بالقياس إلى النجوم الكبيرة ، ثم بالقياس إلى هذا الفضاء الذي تتوه فيه ، تتوه لولا القدرة التي تمسك بها وتنظمها في العقد الكوني الذي لا يتوه فيه شيء "[1]

وفي هذا الفصل سنعاين التحولات الدلالية في صورة الأرض التي تتحول من منظور أسلوبي بنيوي من سياق الاستقرار والثبات في الدنيا ، إلى سياق مغاير ناجم عن مشاهد عظمة وهول يوم القيامة .

تتحول الدلالة المألوفة للأرض إلى دلالة جديدة ، في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾[2] ، فالأرض التي أمرنا الله بالسير فيها ، ليست هي الأرض بمفهومها المادي فقط ، ولكن الأرض هي بغلافها الجوي .. ، فالغلاف الجوي جزء من الأرض ويدور معها ، فالانسان الذي يطير في الجو يسير في الأرض ؛ لذلك قال سبحانه وتعالى : " قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ" ولم يقل : " قُلْ سِيرُوا على الْأَرْضِ" فحرف الجر

1. قطب ، سيد : في ظلال القرآن . ط9 ، بيروت : دار الشروق ، 1980م ، ج 25 ، ص 127 .
2. الأنعام : 11 .

" في " يدل على الظرفية ، فالإنسان يسير في الأرض بين غلافها الجوي وبين سطحها ، و نجد في هذا دقة التعبير في كل حرف من حروف القرآن الكريم "[1]

و (الأرض) في اللغة العربية اسم جنس للكوكب الذي نحيا عليه ، ولفظ الأرض مؤنثة ، والأصل أن يقال لها : (أرضة) والجمع (أرضات) و(أرضون)، ويعبر (بالأرض) عن أسفل الشيء ، كما يعبر بالسماء عن أعلاه ، فكل ما سفل فهو (أرض) ، وكل ما علا فهو سماء "[2].

يدرك القارئ المتمعن في الآيات الكونية عظمة الله ، و باب رحمته في مد الأرض وبسطها ، وجعلها مذللة سهلة ؛ ليمشي الإنسان في مناكبها ، ويجوب أقطارها يقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴾[3] ، ولفظة وضعها تعني : أسرعها ، حفظها ، وأذلها "[4] وهذه المعاني في دلالتها تفيد التسوية والتمهيد والفرش . وأشار بعض علماء اللغة لسبب تسميتها فقالوا :" إنما سميت الأرض أرضاً لأن الأقدام تطئها وترضها "[5].

أشار القرآن الكريم في معرض بيانه لآيات نشوء الكون وخلقه إلى ذكر لفظة " الأرض " ، فوردت في أربعمائة وستين موضعاً ، منها ما يشير إلى الأرض في مقابل السماء ، و منها ما يشير إلى اليابسة التي نحيا عليها ، ومنها ما يشير إلى التربة التي تغطي صخور الغلاف

---

1. ينظر : الخالدي ، صلاح عبد الفتاح : البيان في اعجاز القرآن . ص 310 .
2. ينظر : الأصفهاني ، الراغب : مفردات ألفاظ القرآن . ص73 .
3. الرحمن : 10 .
4. لسان العرب : مادة "وضع " .
5. الدواداری ، أبي بكر بن عبد الله بن أبيك : كنز الدرر وجامع الغرر : الدرة العليا في أخبار بدء الدنيا ، ج1 ، قسم الدراسات الإسلامية بالمعهد الألماني للآثار بالقاهرة ، تح ، بيرند راتكه ، القاهرة ، 1982م. ص 81.

الصخري للأرض "[1] ، ولفظة " الأرض " تأتي في القران الكريم بصيغة الإفراد ، وفي ذلك إيذان بالاختلاف حالها عن السماء "[2] ، فبداية خلقها لغز تحار فيه العقول ، فكانت هي و السموات رتقا ففتقهما الله ، وبعد خلقها دحاها ، وأخرج منها الماء والمرعى ، وثبتها بالرواسي الشامخات ، ومع أنها خاشعة هامدة ، إلا أنها تهتز وتربو ، وتقطع ، وترج ، وتدك ، وترجف ، وتخسف ، وتزلزل ، وتمد ، وتنقص ، وتخرج الأثقال ، وهي ذات أقطار ، وذات صدع ، كل شيء فيها موزون بمقدار . تدور في فلكها بانتظام ، وهي ذات سمك وجاذبية وأغلفة تجعلها فريدة عن سائر الكواكب السيارة " [3].

و ظهر اختلاف العلماء " في هيئة الأرض وشكلها فذكر بعضهم أنها مبسوطة مستوية السطح في أربع جهات : المشرق والمغرب والجنوب والشمال ، ومن هؤلاء من زعم أنها كهيئة الترس ، ومنهم من زعم أنها كهيئة المائدة ، ومنهم من زعم أنها كهيئة الطبل "[4] ، فكان فيما زعموه تشابه في بعض الأحيان ، وتناقض في أحياناً أخر ومن ذلك قولهم : " هي مستطيلة كالأسطوانة الحجرية كالعمود ، وقال قوم : إن الأرض إلى ما لا نهاية ، وإن السماء ترتفع إلى ما لا نهاية ، وقال قوم : إن الذي يرى من دوران الكواكب إنما هو دور الفلك ؛ والذي يعتمده

---

1. ينظر : النجار ، زغلول راغب محمد : من آيات الإعجاز العلمي . ص81 .
2. ينظر : ابن عاشور ، محمد الطاهر : تفسير التحرير والتنوير . ج 29 ، ص 340 .
3. حمامة ، حسني حمدان الدسوقي : الإعجاز . دط ، الصفا للطباعة والنشر بالمنصورة ، 1999 م ، ص14 .
4. البلخي ، أبي زيد أحمد بن سهل : البدء والتاريخ . ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ج1 ، 1997م ، ص 130 .

جماهيرهم أن الأرض مستديرة كالكرة ، وأن السماء محيطة بها من كل جانب إحاطة البيضة بالمحة " [1].

1. البلخي ، أبي زيد أحمد بن سهل : البدء والتاريخ. ط1 ، ج1 ، ص 130 .

المبحث الأول

استقرار الأرض وثباتها

خلق الأرض

وردت مادة " خلق " بمشتقاتها في القرآن الكريم مائتين وإحدى وستين مرة ؛ للتأكيد على أن عملية الخلق هي عملية خاصة بالله عز وجل ، فهي عملية لم يشاركه فيها أحد ولا يقدر عليها غيره " [1] ، والخلق أصله : التقدير المستقيم ، ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتداء ، قال تعالى :﴿ خَلَقَ السموات و الْأَرْضِ ﴾[2] ، أي : أبدعهما ، بدلالة قوله :﴿ بديع السموات والأرض ﴾[3] ، وليس الخلق الذي هو الإبداع إلا لله تعالى " [4].

والخلق في اللغة : ابتداع الشيء على مثال لم يسبق إليه ؛ وكل شيء خلقه الله فهو مبتدئه على غير مثال سبق إليه . وأصل الخلق التقدير ، فهو باعتبار تقدير ما منه وجودها ، وبالاعتبار للإيجاد على وفق التقدير خالق" [5] ، فهذه اللفظة تحمل دلالات تفيد الإيجاد والإبداع في سياق خلق الأرض التي تحمل معنى الوجود ، وفي اختيار لفظة " خَلَقَ" دون غيرها من البدائل يفيد " معنى التقدير"[6] . والفعل " خَلَقَ " أليق بإيجاد الذوات " [7] .

---

1. ينظر : النجار ، زغلول راغب محمد : السماء في القرآن الكريم . ص 78 .
2. الأنعام : 1 .
3. البقرة : 117 .
4. ينظر : الأصفهاني ، الراغب : مفردات ألفاظ القرآن . ص 296 .
5. لسان العرب : مادة " خلق " .
6. ابن عاشور ، محمد الطاهر : تفسير التحرير والتنوير . ج 7 ، ص 126 .
7. المرجع نفسه : ج7 ، ص 127 .

تدل لفظة " خلق " في سياق الآيات الكريمة على وجود روابط دلالية بين المعنى المعجمي لمادة " خلق " ومعاني الألفاظ الأخرى في الآية الكريمة ، ومن صفات الله تعالى الخالق والخلاق ، وهو الذي أوجد الأشياء جميعها بعد أن لم تكن موجودة ، وأصل الخلق التقدير ، فهو باعتبار تقدير ما منه وجودها ، وبالاعتبار للإيجاد على وفق التقدير – خالق .

وبعد معرفة دلالة هذه اللفظة نلحظ التفاعل والتجاذب بين مادة " خلق " ، مفردات الآية الأخرى ، إذ يتناسب فعل الخلق مع الاستواء إلى السماء ، ونلحظ في أسلوب هذه الآية الكريمة درجة السرعة في عرض ورسم مشاهد خلق الأرض والسماوات السبع ففي " ومضة "﴿ خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ ، وفي ومضة أخرى ﴿ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ﴾ ، وخلق ما في الأرض ، أو شيء مما خلق في الأرض يستغرق في مواضع أخرى آيات طوال ، حينما يريد التفصيل والتطويل "[1] وهذا يعد من أساليب الإعجاز البياني في القرآن الكريم .

عرض القرآن الكريم ملخصاً كاملاً لمظاهر خلق الكون وتشكله بقدرة الله سبحانه وتعالى ، فأعدت الأرض ليعيش فيها الإنسان ، ووضعت له فيها مقومات حياته بقدر ، فكل شيء في الكون خلق بحساب دقيق "[2] ، وفي قوله تعالى :﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ * ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى

1. قطب ، سيد : التصوير الفني في القرآن . ص 108 .
2. ينظر : الشعراوي ، محمد متولي : معجزة القرآن . ط8 ،مكتبة دار التراث الإسلامي ، القاهرة ج 8 ، 1988 م ، ص 35 .

السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾[1] ، وتنبه ابن عاشور إلى تقديم الأرض على المخلوقات الأخرى في الآية بقوله : وَإِنَّمَا ابْتُدِئَ بِذِكْرِ خَلْقِ الْأَرْضِ لِأَنَّ آثَارَهُ أَظْهَرُ لِلْعِيَانِ وَ هِيَ فِي مُتَنَاوَلِ الْإِنْسَانِ ، فَلَا جَرَمَ أَنْ كَانَتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ بِخَلْقِ الْأَرْضِ أَسْبَقَ نُهُوضًا. وَلِأَنَّ النِّعْمَةَ بِمَا تَحْتَوِي عَلَيْهِ الْأَرْضُ أَقْوَى وَأَعَمُّ فَيَظْهَرُ قُبْحُ الْكُفْرَانِ بِخَالِقِهَا أَوْضَحَ وَأَشْنَعَ.[2]

ينكر الله تعالى على المشركين الذين عبدوا معه غيره ، فذكر سبحانه أنه خلق الأرض أولاً لأنها أساس ، والأصل أن يبدأ بالأساس ، ثم بعده بالسقف ، وبعد أن انتهى من خلق السماوات دحى الأرض ، فالدحو مفسر بقوله : ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴾ وكان هذا بعد خلق السماء .[3]

وبعد نشوء الكون وفتق السموات والأرض ، وإذا بها تتبدل وتتغير حتى يومنا هذا ، وإلى أن تقوم الساعة . فتتبدل الأرض غير الأرض ، وفي خلال تاريخ الأرض منذ نشأتها دحى الله الأرض ، وأخرج منها الماء ، وأرسى فيها الجبال ، وسطحت الأرض وزحفت القارات ، وارتفعت أجزاؤها فنشأت سلاسل الجبال ، وتعاقب تكون وزوال الجبال جيلاً بعد جيل "[4]

---

1. فصلت : 9-12 .
2. ابن عاشور ، محمد الطاهر : التحرير والتنوير.ج24، ص242 .
3. ينظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير . مج 1 ، ص257 .
4. ابن كثير : تفسير ابن كثير . مج1 ، ص257 ، ص199 .

وفي قوله تعالى :﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[1]. أي : أن الله تعالى ابتدأ بخلق الأرض أولاً ، ثم خلق السموات سبعاً ، وهذا شأن البناء أن يبدأ بعمارة أسافله ثم أعاليه "[2] . والاستواء رمز للسيطرة التامه ، والقصد بإرادة الخلق والتكوين ، ويعني تسوية الكون أرضه وسمائه في معرض استنكار كفر الناس بالخالق المسيطر على الكون " [3] ، وجاء في كتاب البداية والنهاية " أن الأرض خلقت قبل السماء ؛ لأنها كالأساس للبناء "[4] ، وقد خالف بعض المفسرين ما أورده ابن كثير بدليل قوله تعالى : ﴿ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ ۚ بَنَاهَا *رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا *وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا *أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا * وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴾[5]. فقالوا إن الله قدم خلق السماء على خلق الأرض . فلم يفهموا أن دحي الأرض ، واخراج الماء والمرعى منها بالفعل كان بعد خلق السماء " [6]، و ذكر الدمشقي في كتابه أن الله خلق الأرض قبل السماء ، فلما خلقها ثار منها دخان ، ثم قصد إلى السماء فخلق السماء سبعاً بعضهن فوق بعض وسبع أرضين يعني بعضهن تحت بعض "[7].

---

1. البقرة : 29 .
2. ابن كثير : مختصر تفسير ابن كثير. مج 1 ، ص48 .
3. ينظر : قطب ، سيد : في ظلال القرآن .مج 1 ، ص 54 .
4. الدمشقي ، أبوالفداء الحافظ : البداية والنهاية . ط4 ، مكتبة المعارف ، بيروت ، 1981م ، ج1 ، ص 15.
5. النازعات : 27-31 .
6. ابن كثير الدمشقي ، أبو الفداء الحافظ : البداية والنهاية . ص16 .
7. الدمشقي : أبو الفداء إسماعيل بن كثير : تفسير القرآن العظيم . ج1 ، ص 84،85.

ونرى أن الخطاب الإلهي كان للسماوات والأرض في الوقت نفسه ، فكانت الأرض موجودة وكانت السماء موجودة ، ولا يعني ذلك أن الأرض خُلقت قبل السماء حيث قال تعالى :﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾[1].

وجاء تقديم الأرض على السماء ليتناسب مع سياق الانتفاع مما هو على لأرض جميعاً " لأنّ الأرض أقرب وأظهر للمخاطبين من السماء، ففي السياق تشويق للمخاطبين للانتفاع بموجودات الأرض التي خلقها سبحانه لأجلهم. وفي لفظ "جَمِيعًا" ، تأكيد على عموم ما في الأرض من مخلوقات خلقها سبحانه وتعالى ضمن نظام متناسق يخدم مصالح الناس أمّا عندما ذكر "السَّمَاءِ " فقد أردف التعبير بـ "سَبْعَ سَمَوَاتٍ" على اعتبار أنّ التعبيرين متشابهين "[2]. وفي قوله تعالى :﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[3] . نلمح بخواتيم الآية السابقة لفظة " عليم " وهذه اللفظة تتناسب في دلالتها مع معاني الآيات ، التي تتحدث عن مظاهر كونية تحمل حقائق علمية ، فجاءت الخاتمة لرفع درجة التأكيد في نفس المتلقي وَقَوْله : " عَلِيم "بِمَعْنَى عَالِم . وَرُوِيَ عَنْ ابْن عَبَّاس أَنَّهُ كَانَ يَقُول : هُوَ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي

---

1. فصلت : 11 .
2. علي عبد الله خضر ، نوال : صورة السماء والأرض في القرآن الكريم (دراسة بلاغية) . رسالة ماجستير: إشراف خليل عودة ، 2011 م ، ص 69-70 .
3. البقرة : 29 .

عِلْمه "[1]، فجاءت اللفظة للدلالة على كمال علم الله وتمامه ، وفي ذلك قال السيوطي : " أنها تضمنت الإخبار عن خلق الأرض ، وما فيها على حسب حاجات أهلها ومنافعهم ومصالحهم ، وخلق السموات خلقاً مستوياً محكماً من غير تفاوت ، والخالق على الوصف المذكور يجب أن يكون عالماً بما فعله كلياً وجزئياً ، مجملاً ومفصلاً"[2].

تسخير الأرض

يقول رب العالمين : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[3] ، والتسخيير : مصدر من سخر بمعنى ذلل ، وتسخير الأرض يعني انتفاع البشر بها في بلوغ منابتها والاقتداء بها في مسالكهم " وتسخير ما في السموات تسخير الشمس والقمر والنجوم للآدميين ، وهو الانتفاعُ بها في بلوغِ مَنابِتِهم والاقتداءُ بها في مسالكهم . وتسخيرُ ما في الأَرض تسخيرُ بِحارِها وأَنهارها ودوابِّها وجميعِ منافِعِها [4]، وتربط الآيات الكريمة بين ما سخره الله للإنسان في السماوات ، وما سخره للإنسان في الأرض من بدائع صنع الله ، وتدعونا للتفكر بكل ما فيهما ، فالقرآن الكريم بأسلوبه المخاطب لعقل المتلقي يصور لنا عظمة الله في تشكيل هذا الكون وظواهره ، التي تتعلق بحركة الكواكب ونزول المطر وتكور الأرض وتثبيت الجبال ورفع السماء .

1. الشعراوي ، محمد متولي : تفسير خواطر الشعراوي . http://www.alro7.net/ayaq.php .
2. السيوطي ، جلال الدين : الإتقان في علوم القرآن . المكتبة الثقافية ، بيروت ، 1973م ، 308/3.
3. الجاثية : 13 .
4. لسان العرب : مادة " سخر".

وتقدير معنى (ما) من الموجودات بأن جعل فيها منافع لكم ، منها ظاهرة ومنها خفية ، وعقب بالتفكر﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَات ٍلِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ؛ لينبه على أن التفكر هو الذي يؤدي إلى ما ذكر من الأولوية ، ويدل به على أن التفكر ملاك الأمر .[1]

بسط الأرض

قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴾[2] ، وبسط الشيء : نشره وتوسيعه ، و البساط : الأرض المتسعة ، واستعار قوم البسط لكل شيء لا يتصور فيه تركيب و تأليف ونظم . والبسيط من الأرض : كالبساط من الثياب ، والبساط : ما بسط . وأرض بساط و بسيطة : منبسطة مستوية"[3]، قال تعالى : ﴿ والله يقبض ويبسط ﴾[4] . وقال تعالى :﴿ ولو بسط الله الرزق لعباده ﴾[5] ، أي : لو وسعه ، وبسط اليد : مدها ، وتارة للبذل والإعطاء" [6]. ونلحظ أن من معاني البسط التوسعة والانتفاع .

يخاطب المنهج القرآني الناس بعرضه للمشاهد الكونية الناطقة بعظمته وقدرته ، فيعرض لنا صور ناطقة لمظاهرها ، فمن صفات الأرض المهاد والفراش والبساط ليستطيع الإنسان

1. الآلوسي ، شهاب الدين : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. ج13 ، ص143.
2. نوح : 19 .
3. لسان العرب : مادة " بسط " .
4. البقرة : 245 .
5. الشورى : 27 .
6. ينظر : الأصفهاني ، الراغب : مفردات ألفاظ القرآن . ص 123 .

التصرف فيها والتمكن منها ، فيذكر سبحانه وتعالى في قوله :﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾.[1]

مدّ الأرض

وردت لفظة " مَدَّ " ومشتقاتها في القرآن إحدى وثلاثين مرة ، بمعانيها اللغوية المختلفة ، نحو قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا ۖ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

وقوله :﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا ﴾[3].

وفي قوله تعالى:﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾[4] والمد يعني : البسط . ومن معاني " المد : المُدَةُ للوقت الممتد "[5] ، و يقال : مددت الأرض مداً إذا زدت فيها تراباً ،أو سماداً من غيرها ليكون أعمر لها وأكثر ريعاً لزرعها ، وكذلك الرمال ، و السماد مداد لها "[6].

---

1. نوح : 19 .
2. الرعد : 3 .
3. طه : 53 .
4. ق : 7 .
5. الأصفهاني ، الراغب : مفردات ألفاظ القرآن . ص 763 .
6. لسان العرب : مادة " مدّ " .

تظهر قدرته وحكمته وإحكامه للعالم السفلي ، في قوله : " مَدّ َ" هذه الكلمة الصغيرة في حجمها وعدد حروفها إلا أنها تحمل في طياتها كثيراً من المعاني ، فجعلها متسعة ممتدة في الطول والعرض والفسحة ، والمد : من الجذب ، وهو من مدَ يمده مداً ، ويقال شيء مديد أي : ممدود وكل شيء تبقى به سعة المد فهو ممدود ، . والمد مكيال وهو : ربع صاع ، وأصل المد مقدر بأن يمد الرجل يديه فيملأ كفيه طعاماً . وأصل المد جرُّ شيء في طول ، واتصال شيءٍ بشيءٍ في استطاله "[1]. يظهر من معاجم اللغة أن المد يكون طولاً ، وكتب التفسير أوردت أن مد الأرض يكون طولاً و عرضاً ، و نلحظ أن مد الأرض اقترن في الآيات الكريمة بوضع الجبال و مهمتها في تثبيت الأرض ، فأوحت بمعنى البسط .

وفي قوله :﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ * وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾[2]. في مد الأرض لوحة عريضة ممدودة ومبسوطة ، فظل الضخامة واضح في السياق ، والإشارة في الأرض إلى الرواسي يجسم ثقلها في التعبيير بقوله : ﴿ وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ ﴾ . وإلى النبات موصوف بأنه " مَّوْزُونٍ " وهي كلمة ذات ثقل ، ويشترك في ظل التضخيم جمع " مَعَايِشَ " وتنكيرها ، وكذلك ﴿ ومَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴾ . فكلها تخلع ظل الضخامة الذي يجلل المشهد المرسوم "[3]

وعدّ الشعراوي المد والبسط للأرض دليلاً على كروية شكلها ، ووجه دلالة مد الأرض وبسطها على كرويتها أننا أينما نقف على الأرض نراها أمامنا ممدودة مبسوطة ." الأرض مبسوطة

---

1. لسان العرب : مادة " مدد " .
2. الحجر : 20 .
3. ينظر : قطب ، سيد : في ظلال القرآن .مج 4 ، ص2133-2134 .

أمام البشر جميعاً في كل موقع هم موجودون فيه .. ، وهذا لا يمكن أن يحدث إلا إذا كانت الأرض كروية .. فلو أن الأرض مسطحة أو مربعة أو مثلثة أو مسدسة أو في أي شكل من الأشكال ، لوصلنا فيها إلى الحافة ..."[1]. و الامتداد يعني الاتساع في الطول والعرض[2].

وما تقدم لا يتحقق هندسياً إلا إذا كانت الأرض كروية ، إذ إنها لو كانت مسطحة لاختفى هذا المد عند الوصول لحدودها ، فالله " هيّأ الأرض ، كي تكون صالحة للحياة عليها ، فهي على الرغم من أنها كروية ومتحركة ، فإن الإنسان لا يشعر بحركتها ، ولا يتأثر بشكلها الكروي ، بل إن حركتها و شكلها الكروي ، هما من الأسباب التي جعلتها مهيأة للحياة على ظهرها ، وهذا من دلائل القدرة الإلهية الملحوظة في هذه المشاهد الكونية المحسوسة"[3]. و بهذا نلحظ دقة التعبير القرآني ، الذي اختار اللفظ الوحيد المناسب هندسياً ، فكلمة مددناها تعطي المعنى المزدوج للانبساط و التكوير ، وجاء في ما يؤكد ذلك في قوله تعالى : ﴿ خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهارِ وَيُكَوِّرُ النَّهارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴾[4] ، ويتضافر التعبير مع التصوير في رسم شكل الأرض ، وحركتها ، وطبيعتها ، فلفظ (يكور) له دلالته القوية على حقيقة الأرض ، وحركتها ، فهو يثبت كرويتها ، ويرسم آثار كرويتها في مظاهر كونية أخرى في تعاقب الليل والنهار"[5]. فالعلم الحديث يرى في مد الأرض دليلاً على كرويتها واستدارتها ، فالإنسان مهما ظل ماشياً ،

---

1 . ينظر : الشعراوي ، محمد متولي : معجزة القرآن . ص 23 – 26 .
2. ابن كثير ، اسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم . دار طيبة ، الرياض ، 1999م ، ص 108.
3. الراغب ، عبد السلام أحمد : وظيفة الصورة الفنية في القرآن. ص2112 .
4. الزمر : 5 .
5. الراغب ، عبد السلام أحمد : وظيفة الصورة الفنية في القرآن. ص112 .

ستظل الأرض ممدودة أمامه ، ولو كان العمر كله . وصورة الأرض ، كروية ، ومتحركة ، ونحن ثابتون عليها ، تثير الخيال حين يتملّاها ، ويسبح في آفاقها ، وتوقظ الإنسان على حقيقة الألوهية القادرة على كل شيء ، فقد اجتمعت في صورتها الحركة والثبات معاً فهي كالناقة الذلول "[1] ، يقول الله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾[2]. وفي حركة الأرض وثباتها ثنائيات متضادة تثير التفكير .

فرش الأرض

تناولت الآيات الكونية فرش الأرض ففي قوله تعالى : ﴿ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴾[3] ، وقوله : ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾[4]. وقوله : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴾[5]. فكل ما على ظهرها مسخر بقدرة الله تعالى لمنفعة الإنسان وخدمته . وجاء الاستفهام في الآية الأولى " للتقرير ، وبيان قدرته تعالى على ايجاد البعث ، فالذي أوجد الأرض قادر على إزالتها وتبديلها وتخريبها ، وايجاد عالم الآخرة " [6] .

جعل الله الأرض كالفراش بمعنى " فرش الشيء يفرشه فرشاً ، أي : بسطه ، وفي الآية الكريمة بمعنى وطاء لم يجعلها حزنة غليظة لا يمكن الاستقرار عليها " [7]. فالأرض مرة فراش

---

1 الراغب ، عبد السلام أحمد : وظيفة الصورة الفنية في القرآن. ص 213

2. الملك: 15.

3. الذاريات : 48 .

4. البقرة : 22 .

5. النبأ : 6 .

6. ينظر : هاشم صبري ، نائلة : المبصر لنور القرآن . ط1 ، مطبعة الرسالة المقدسية ، القدس ، بيت حنينا ،ج 30 ، 2003 م ، ص 8 .

7. لسان العرب : مادة " فرش " .

، ومرة بساط ، و أخرى مهاد ، فهذه الألفاظ تحمل ثراء دلالي يظهر دقة صنع الخالق في بسطه و مده للأرض ، و جعلها مهاداً وفراشاً صالحاً للاستقرار عليها .

وقوله تعالى :﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ﴾(1) استعارة ، لأنه سبحانه وتعالى شبه الأرض بالفراش ، والسماء في الارتفاع بالبناء " [2] ، ومن معاني الفرش : البسط ، ويقال للمفروش : فرش وفراش . وفي معنى " الْأَرْضَ فِرَاشًا " أي : ذللها ولم يجعلها ناتئة لا يمكن الاستقرار عليها ، والفَرشُ : ما يفرش من الأنعام كما في قوله تعالى :"حمولة وفرشاً "[3] ، أي : يركب "[4]، وذكر في تفسير ابن كثير معنى ﴿ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا ﴾ : أي مهداً كالفراش ، مقررة موطأ مثبة كالرواسي الشامخات "[5] و جعلها الله مهاداً وقراراً تستقرون عليها وتفترشونها كالبساط المفروش مع كرويتها ، وإلا ما أمكنكم العيش والاستقرار عليها "[6]. وفي لفظة " فِرَاشًا "" تعبير يشي باليسر في حياة البشر على هذه الأرض ، وفي إعدادها لهم لتكون سكناً مريحاً وملجأ واقياً كالفراش.. ، والناس ينسون هذا الفراش الذي مهده لهم لطول ما ألفوه" [7] ، وفي الآية الكريمة مقابلة لطيفة ﴿ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ﴾ ، فقد قابل بين الأرض والسماء ، والفراش والبناء"[8].

---

1. البقرة : 22 .
2. الرضي ، الشريف : تلخيص البيان في مجازات القرآن . ص 115 .
3. الأنعام : 142 .
4. الأصفهاني ، الراغب : مفردات ألفاظ القرآن . ص629 .
5. ابن كثير : ر تفسير ابن كثير مجلد 1، ص 38 .
6. الصابوني ، صفوة التفاسير . ط1 ، ج1 ،ص35 .
7. قطب ، سيد ، في ظلال القرآن . مج1 ، ص 47 .
8. المرجع نفسه ، ج ، ص37.

الأرض المهاد

من الدلالات اللغوية لكلمة (المهاد) الفراش ، وقد مهدت الفراش مهداً : بسطته ووطأته ، والجمع " أمهدة ومهد " ، و المهاد أجمع من المهد كالأرض جعلها الله مهاداً للعباد ، و أصل المهد التوثير ؛ يقال : مهدت لنفسي ومهدت أي : جعلت لها مكاناً وطيئاً سهلاً (1). فالله سبحانه و تعالى أكرم الإنسان بتمهيد الأرض و تسويتها لتكون مناسبة للسكن و العمران وتبدأ الآيه بالاستفهام التوبيخي الذي يقول فيه : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴾ أي : " ألم نجعل لكم الأرض فراشاً موطأً كالمهد لتمكينكم من الاستقرار عليها ، والتقلب في أنحائها ، والانتفاع بما أودعناه لكم فيها ؛ لأن الأرض لو بقيت جبالاً شاهقة الارتفاع ، متشابكة التضاريس ، معدومة الممرات والمسالك ، لما أمكن العيش على سطحها "[2].

تحدثت الآيات الكونية عن إبداع الخالق لخلقه ، مؤكدة مظاهر الإعجاز العلمي في كتابه العزيز حيث قال :﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴾[3] . وقوله تعالى :﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾[4].

وجاء التعبير بلفظ " جَعَل " دون غيره من البدائل مثل : " فَعَلَ" أو "صَنَع" أو " خَلَق " ؛ لأن كونها مهاداً حالة من أحوالها عند خلقها ، أو بعده بخلاف فعل " الخلق" ، فإنه يتعدى إلى

1. لسان العرب : مادة " مهد " .
2. النجار ، زغلول راغب محمد : من آيات الإعجاز العلمي . ص209-210 .
3. النبأ : 6 .
4. طه : 53 .

الذات غالباً "[1]. ومن معاني " الجعل " الإيجاد والتصيير ، نحو : ﴿ الذي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا ﴾[2] ، تصيير الشيء على حالة دون حالة "[3] ، وفي لفظتي " المهاد ، والجعل " أواصر قربى بين مادة " جعل " ومعاني " المهاد " فظهر الانسجام بين اللفظتين ، و حملت كلا اللفظتين معنى التصيير من حال لحال . و لازم الفعل " جعل " سياق التحول من حالة إلى حالة في جميع الآيات التي تناولت جعل الأرض فراشاً و مهاداً .

وفي الآية تَشْبِيهٌ لِلْأَرْضِ بالمهاد ، إِذْ جَعَلَ سَطْحَهَا مُيَسَّرًا لِلْجُلُوسِ عَلَيْهَا وَالِاضْطِجَاعِ وَبِالْأَحْرَى الْمَشْيِ ، وَذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى إِبْدَاعِ الْخَلْقِ وَالتَّيْسِيرِ عَلَى النَّاسِ ، فَهُوَ اسْتِدْلَالٌ يَتَضَمَّنُ امْتِنَانًا وَفِي ذَلِكَ الِامْتِنَانِ إِشْعَارٌ بِحِكْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى إِذْ جَعَلَ الْأَرْضَ مُلَائِمَةً لِلْمَخْلُوقَاتِ الَّتِي عَلَيْهَا فَإِنَّ الَّذِي صَنَعَ هَذَا الصُّنْعَ لَا يُعْجِزُهُ أَنْ يَخْلُقَ الْأَجْسَامَ مَرَّةً ثَانِيَةً بَعْدَ بِلَاهَا. [4]

سطح الأرض

ذكر القرآن الكريم في موضع واحد سطح الأرض في قوله: ﴿ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾[5] ، يفيد المعنى المعجمي لمادة " السطح " أعلى البيت ، يقال سطحتُ البيت جعلت له سطحاً ، وأصل السطح يدل على البسط ، وسطحت المكان جعلته في التسوية كسطح ، والمسطح : عمود الخيمة الذي يُجعل به لها سطحاً "[6]. والسُّطَّاحُ من النبت: ما افْتَرَشَ فانبسط ولم يَسْمُ

1. ابن عاشور ، محمد الطاهر : تفسير التحرير والتنوير . جزء 30 ، ص 14 .
2. البقرة : 22 .
3. ينظر : الأصفهاني ، الراغب : مفردات ألفاظ القرآن . ص 197 .
4. ابن عاشور، محمد الطاهر : التحرير والتنوير.ج30 ، ص14.
5. الغاشية : 20 .
6. الأصفهاني ، الراغب : مفردات ألفاظ القرآن . ص 409 .

؛ وسَطَحَ اللهُ الأَرض سَطْحاً : بسطها. وتَسطِيحُ القبر: خلاف تَسْنِيمِه. وأَنفٌ مُسَطَّحٌ : منبسِط جدًّا .والسُّطَّاحُ ، بالضم والتشديد : نَبتَةٌ سُهْلِيَّة تَنسَطِح على الأَرض ، واحدته سُطَّاحة ، والمَسْطَحُ : مكان مستوٍ يبسط عليه التمر ويجفف"[1]، فالمراد من تسطيح الأرض هو بسطها ، وتسويتها وتهيئتها بحيث تكون صالحة لأن يسكنها الإنسان وينتفع بها ويتنقل فيها.

وفي هذا كله دعوة إلى التأمل وإدامة النظر في صنع هذه الأرض ، و جعلها صالحة للإستقرار عليها ، والانتفاع بها ، فالفراش والمهاد والمدّ والتسطيح والبسط توصيفات لسطح الأرض .

دحو الأرض

من صفات الأرض قوله تعالى :﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴾[2] . أي : أزالها عن مقرها ، ومن قولهم : دحا المطر الحصى عن وجه الأرض ، أي : جرفها، ومر الفرس يدحو دحواً : إذا جر يده على وجه الأرض ، فيدحو ترابها ."[3] ، والدحو : " البسط ، دحا الأرض يدحوها دحواً : بسطها ، ودحا الأرض : أوسعها "[4] . والمدحاة : خشبة يدحى بها الصبي فتمر على وجه الأرض لا تأتي على شيء إلا اجتحفته " [5] ، و في هذه المعاني ما يسوغ ورود فعل " الدحو " دون غيره من الأفعال ، وبسط الأرض ومدها لا يتعارض مع كرويتها فالأرض خلقت

---

1. لسان العرب : مادة " سطح " .
2. النازعات : 30 .
3. الأصفهاني ، الراغب : مفردات ألفاظ القرآن . ص 308 .
4. لسان العرب : مادة " دحو " .
5. لسان العرب : مادة " دحو".

قبل السماء ، ولكن دحيت بعد خلق السماء ، بمعنى أنه أخرج ما كان فيها بالقوة إلى الفعل ،" فالأرض مدحوة وممهدة لتكون معدة لإخراج المياه من جوفها ، وإخراج النبات أيضا "[1].

وعن ابن عباس : " دحاها " ودحيها أن أخرج منها الماء والمرعى ، وشقق فيها الأنهار ، وجعل فيها الجبال والرمال ، والسبل والآكام "[2].

وجاء دحو الأرض : أي بسطها ومهدها لتكون صالحة للحياة ، وكانت مخلوقة قبل السماء من غير دحو "[3]. وذكر في الظلال " ودحو الأرض : تمهيدها وبسط قشرتها ، بحيث تصبح صالحة للسير عليها ، وتكون تربة تصلح للانبات "[4]. وهذا يدل على أن المفسرين السابقين يجمعون على أن من معاني دحو الأرض : إخراج الماء والمرعى من داخلها ، على هية العيون وإنبات النبات "[5] .

ونقل ابن عاشور أن بعض المفسرين يرى أن الْأَرْضَ خُلِقَتْ أَوَّلًا ثُمَّ خُلِقَتِ السَّمَاءُ ، ثُمَّ دُحِيَتِ الْأَرْضُ ، فَالْمُتَأَخِّرُ عَنْ خَلْقِ السَّمَاءِ هُوَ دَحْوُ الْأَرْضِ ، عَلَى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ عُلَمَاءُ طَبَقَاتِ الْأَرْضِ مِنْ أَنَّ الْأَرْضَ كَانَتْ فِي غَايَةِ الْحَرَارَةِ ، ثُمَّ أَخَذَتْ تَبْرُدُ حَتَّى جَمَدَتْ وَتَكَوَّنَتْ مِنْهَا قِشْرَةٌ جَامِدَةٌ ثُمَّ تَشَقَّقَتْ وَتَفَجَّرَتْ وَهَبَطَتْ مِنْهَا أَقْسَامٌ وَعَلَتْ أَقْسَامٌ بِالضَّغْطِ ، إِلَّا أَنَّ عُلَمَاءَ طَبَقَاتِ

1. الراغب ، عبد السلام أحمد: وظيفة الصورة الفنية في القرآن . ص223 .
2. ينظر : الدمشقي ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير : تفسير القرآن العظيم . ج 4 ، ص 557 .
3. ينظر : السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر والمحلي ، جلال الدين محمد بن أحمد : تفسير الجلالين . وتقديم ومراجعة : مروان سوار ، دار المعرفة : بيروت – لبنان ، ص 790 .
4. قطب ، سيد : في ظلال القرآن . مج 6 ، ص 3816 .
5. ينظر : النجار ، زغلول راغب محمد : من آيات الإعجاز العلمي .ص 135 .

الْأَرْضِ يُقَدِّرُونَ لِحُصُولِ ذَلِكَ أَزْمِنَةً مُتَنَاهِيَةَ الطُّولِ . وَقُدْرَةُ اللَّهِ صَالِحَةٌ لِإِحْدَاثِ مَا يَحْصُلُ بِهِ ذَلِكَ التَّقَلُّبُ فِي أَمَدٍ قَلِيلٍ بِمُقَارَنَةِ حَوَادِثِ تَعَجُّلِ انْقِلَابِ الْمَخْلُوقَاتِ عَمَّا هِيَ عَلَيْهِ.[1]

ويشير بعض علماء الأرض " أن النشاط البركاني الذي صاحب تكوين الغلاف الصخري للأرض في بدء خلقها هو المسؤول عن تكون كل من غلافيها المائي والغازي ، ولا تزال ثورات البراكيين تلعب دوراً مهماً في إثراء سطح الأرض بالمياه ، وفي تغير التركيب الكيميائي لغلافها الغازي وهو المقصود بدحو الأرض "[2].

وتناول بعض المفسرين معنى : " دحو الأرض " بمعنى إخراج ثاني أكسيد الكربون من أعماقها فالله سبحانه وتعالى " يمن على الأرض وعلى جميع من يحيا على سطحها بأن هيأها للعمران من خلال إخراج كل من أغلفتها الصخرية والمائية والغازية من داخلها ، مما يشهد لله الخالق بطلاقة القدرة ، وبديع الصنعة وكمال العلم ، وتمام الحكمة "[3]. فكل شيء يسير وفق نظام دقيق ومحكم قدّره الله سبحانه دون خلل أو اضطراب.

وأجريت كثير من الدراسات لحساب دحو حجم الأرض ؛ فأظهرت أن حجم الأرض البدائية كان على الأقل يصل إلى مائة ضعف حجم الأرض الحالية ، وأن هذا الكوكب قد أخذ منذ اللحظة الأولى لخلقه في الانكماش على ذاته من كافة أطرافه للمحافظة على العلاقة النسبية بين كتلتي الأرض والشمس "[4]. فسبحان الله الخالق الذي قدر كل شيء فأحسن تقديره.

---

1. ابن عاشور، محمد الطاهر : التحرير والتنوير. ج1، ص 384
2. ينظر : المرجع نفسه ، ص139 .
3. ينظر : النجار ، زغلول راغب محمد : من آيات الإعجاز العلمي . ص146 .
4. ينظر : المرجع نفسه ، ص157.

وعند تأمل السياق الدلالي للآيات الكريمة التي تناولت موضوع دحو الأرض ، نجد أن الفعل " دحاها " جاء منسجماً مع عناصر عدة تصوغ وروده دون غيره من الأفعال المناظرة ، الدالة على البسط والمد والتسطيح ، فقوله تعالى : " وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾[1] جاء مسبوقاً ومتلواً بالدلالات الآتية :

دلالة الآية المجاورة	الآية	المسوغات المعجمية
العتمة والضوء .	" وأغطش ليلها وأخرج ضحاها "	و الأدحي : من منازل القمر
خروج الماء من الأرض	" أخرج منها ماءها ومرعاها "	الأرض دحوا: نزعه. والأدحية هي الحفرة في الأرض
		دحا المطر الحصى عن وجه

و(دحا) بمعنى (رمى من المقر) ، وهذا ما حدث للأرض عند انفصالها من الشمس وخاصة

وأن الفعل (دحا) أتى بعد تمام إخراج الضحى في السماء في قوله تعالى :" وأخرج ضحاها ".

1. النازعات : 30-31 .

(دحا) بمعنى (أزاح) ، إذ أن دحا المطر الحصى عن الأرض ، والإزاحة معناها حركة بسرعة معينة مما يشير إلى حركة الأرض .

والمدحاة والمداحي : هي لعبة يلعب بها أهل مكة ، وهي أحجار أمثال القرصة ، وقد حفروا حفرة بقدر ذلك الحجر ، يدحون بتلك الأحجار إلى تلك الحفرة "[1]، وقد تنسجم وتتعلق هذه المعاني مع حجم الأرض وعلاقتها بالشمس ، إلى جانب دلالة الحركة في المعنى المعجمي للفظة " الدحو " والحركة في الكرة الأرضية .

هامود الأرض وخشوعها :

من الأدلة الكونية المثبتة للقدرة الإلهية في الخلق قوله تعالى :﴿...وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ و ۪أَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[2].

وفي قوله :﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْۚ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰۚإِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِير ﴾[3] ، كل هذه المشاهد المعروضة في كلمات قليلة تستثير الأحاسيس وتخاطب العقول ، فنرى الأرض مرة خاشعة ، ومرة هامدة بالرغم من تشابه التعبيرين في دلالة السكون إلا أنهما وردتا في سياقين مختلفين ؛ ليحدث التفاعل بين البدائل اللغوية والسياق . " وصورتها هامدة قبل نزول المطر ،

1. ينظر : لسان العرب : مادة " دحا " .
2. الحج : 5، 6 .
3. فصلت : 39 .

تتناسق مع السياق الواردة فيه ، و الذي يتحدث عن الإحياء بعد الموت ، فهمود الأرض ، كهمود الموتى في القبور ، و إخراج الموتى ، و إحياؤهم ، يتلاءم مع تصوير الأرض هامدة "[1] ، فالآية الأولى وردت في سياق البعث و الإحياء ، و هذا يتناسب مع تصوير الأرض بأنها هامدة ، فلا حياة و لا نمو فالأرض اهتزت لتنبت ، و في الآية الثانية وردت لفظة " خاشعة " لأن السياق هو سياق عبادة و خشوع ، فالأرض اهتزت لتشارك العابدين في حركتهم و عبادتهم ،"[2] " و الهمود و الخشوع يتحدان في المعنى العام ، و يستدل بهما على قدرة الخالق على البعث ، فما هما إلا سكون أو خمود ، تعقبه الحركة و الحياة ؛ فلو كان المقصود هو مجرد أداء المعنى الذهني ، لما كانت هناك ضرورة لهذا التنوع "[3] ، فتكتسب اللفظة معناها من خلال علاقتها بالألفاظ الأخرى . كقطع الشطرنج التي لا تعني شيئاً خارج رقعة الشطرنج ؛ و إنما تتخذ قيمتها من خلال القطع الأخرى "[4] ، كما تتقاطع دلالة اللفظتين " هَامِدَة ، خَاشِعَةً" ، في عدم وجود أي نبات فيها بسبب اليبس و التهشم ، فالتقاطع بين اللفظتين نتج من معنى الموت في الآية الأولى ، ومعنى الهمود الذي يعني الموت في الثانية"[5] .

وفي خاتمة الآيتين اسم من أسماء الله الحسنى ، و لهذا الاسم دلالة تخدم السياق الذي ورد فيه فاسم " قَدِيرٌ " يحمل دلالته في ذاته لأن الآيات الكونية تضمنت معاني قدرة الله جل في

---

1. الراغب ، عبد السلام أحمد : وظيفة الصورة الفنية في القرآن . ص 224 .
2. ينظر : قطب ، سيد : التصوير الفني في القرآن . ص97 .
3. قطب ، سيد : التصوير الفني في القرآن . ص 97 .
4. ينظر: نهر ، هادي : علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي . ط 1. تقديم : علي الحمد . الأردن : دار الأمل . 2007 . ص 564 .
5. ينظر : عتيق ، عمر : ظواهر أسلوبية في القرآن الكريم . ص 38 ، 39 .

علاه فهو القادر على إحياء الموتى كما يحيي الأرض الميتة الهامدة التي لا نبات فيها ، و كأن في ذكر هذا الاسم بالذات في الفاصلة القرآنية دلالة إيقاظ و دعوة صريحة للصحوة من الغفلة ، فعادة أكثر ما يعلق في أذهاننا و يترك أثراً في نفوسنا آخر الكلام .

تصدع الأرض

الصدع في اللغة بمعنى الشق في شيء صلب ، و الصدع : النبت يشق الأرض و ينبثق"[1]. فالتراب ينشق و يتصدع لخروج النباتات ، و جعل الأرض صالحة للحياة . ذكر في القرآن الكريم أنها ذات الصدع كقوله : ﴿ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴾[2] .

أثبتت الاكتشافات العلمية الحديثة أن في قاع البحار و المحيطات سلاسل جبلية عملاقة تفوق في ارتفاعها القمم الموجودة فوق اليابسة ، و بعد دراستها اتضح أنها طفوح بركانية متراكمة عبر فترات زمنية طويلة ، و أن هذه الطفوح لا زالت تندفع عبر شبكة هائلة من الصدوع التي تمزق الغلاف الصخري للأرض في جميع الاتجاهات (كأنها صدع واحد) لتحيط بالأرض إحاطة كاملة ، و تمزق غلافها الصخري إلى عدد من الألواح الأرضية المتباينة في مساحتها و كتلتها ، و هي بمنزلة صمامات أمان للأرض ، ولولا قدر الله تعالى للأرض تلك الشبكة من الصدوع لأنفجرت منذ اللحظة الأولى لتجمد قشرة الأرض "[3] .

---

1. ينظر : قطب ، سيد : في ظلال القرآن . مج 6 ، ص 3880 .
2. الطارق : 12 .
3. ينظر : النجار ، زغلول راغب : المفهوم العلمي للجبال في القرآن الكريم . ج 3 ، ص 16 .

نقصان الأرض من أطرافها

تقرر بعض الآيات الكريمة حقيقة كونية تشير إلى عظمة الله وحكمته حيث يقول سبحانه و تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾[1] ، و يتردد معنى هذه الآية الكريمة في سورة الأنبياء فيقول عز وجل : ﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾[2].

تشير الآيات الكريمة إلى حقيقة كونية ناطقة ، وهي نقصان الأرض من أطرافها ، وهذا النقصان قد يعني انكماشها على ذاتها وتناقص حجمها باستمرار ، وتفيد الدراسات بأن الأرض مرت بمراحل متعددة من التشكيل منذ انفصال مادتها عن سحابة الدخان الكوني التي نتجت عن عملية الإنفجار العظيم ، فكانت الأرض كومة ضخمة من الرماد ذات حجم هائل يقدر بمائة ضعف حجمها الحالي ، ثم رجمت هذه الكومة بوابل من النيازك الحديدية التي قامت بدورها بصهر كومة الرماد ، و إلى تمايزها لسبع أرضين "[3].

وكل هذا يشير إلى قدرة الله في إنقاص الأرض بعد مدها . و هناك من يفسر إنقاص الأرض من أطرافها بمعنى : تفلطحها بشكل بسيط عند القطبين ، و انبعاجها قليلاً عند خط الاستواء ،

---

1. الرعد : 41
2. الأنبياء : 44 .
3. ينظر : النجار ، زغلول راغب محمد : الأرض في القرآن الكريم . ص153- 154 .

إن مادة الأرض تتأثر بالجاذبية نحو مركزها ، كما تتأثر بالقوة الطاردة المركزية الناشئة عن دوران الأرض حول محورها ، ونتيجة ذلك نتج انبعاج بطيء في الأرض لكنه مستمر عند خط الاستواء ، و يقابل الانبعاج الاستوائي تفلطح غير متكافىء عند قطبي الأرض ، فالمنطقة القطبية الشمالية أكثر تفلطحاً من المنطقة القطبية الجنوبية ، و عملية التفلطح هذه عملية بطيئة جداً تقدر بنحو (1 سم) تقريباً كل ألف سنة ، لكنها عملية مستمرة منذ بدء خلق الأرض ، وهي إحدى عمليات إنقاص الأرض من أطرافها "[1] . و نرى أن دلالة هذه الآية قد يحتمل أكثر من حقيقة علمية ، وهنا ما يميز الأسلوب القرآني بالمرونة التي تحتمل وجوهاً كثيرة في التأويل .

يشير بعض العلماء إلى إنقاص الأرض من أطرافها بمعنى طغيان مياه البحار و المحيطات فوق اليابسة ، فقد بدأت الأرض منذ القدم بمحيط غامر، وبسبب تحرك ألواح الغلاف الصخري للأرض و الثورات البركانية بدأت جزر بركانية عديدة في التكون في قلب هذا المحيط الغامر ، وبعد تصادم هذه الجزر تكونت القارة الأم التي تفتت بعد ذلك إلى قارات السبع الحالية ، وبفضل تبادل الأدوار بين اليابسة والماء والتي تعرف باسم : " دورة التبادل بين المحيطات والقارات " تحولت أجزاء من اليابسة إلى بحار أو العكس ، ومن الأمثلة على ذلك البحر الأحمر وخليج كاليفورنيا ، وهذه صور من صور إنقاص الأرض من أطرافها "[2].

1. ينظر : النجار ، زغلول راغب محمد : الأرض في القرآن الكريم ص158-159 .
2. ينظر : المرجع نفسه ، ص162 .

وفسر بعض العلماء ظاهرة إنقاص الأرض من أطرافها في إطار دلالة الأرض على التربة التي تغطي صخور اليابسة حيث يشير إلى " معنى التصحر أي : زحف الصحراء على المناطق الخضراء ، وانحسار التربة الصالحة للزراعة في ظل إفساد الإنسان لبيئة الأرض "[1]. والله تعالى أعلى و أعلم .

وقضية إنقاص الأرض من أطرافها مشهد يتكرر كل يوم أمام أعيننا في جانب من جنبات الأرض ، حيث تطوى رقعة الدولة المغلوبة و تنحسر و تتقلص . فإذا هي دويلات صغيرة و كانت امبرطورات ، و إذا هي قليلة العدد و كانت كثيرة ....، فالتعبير يرسم يد القدرة وهي تطوي الرقعة و تنقص الأطراف ... مشهد ساحر فيه حركة لطيفة و رهبة مخفية "[2] ، و في كل ذلك ربط لنواميس الكون الدقيقة في الدنيا و الآخرة ، فكم من أقوام عذبت بخسف الأرض وطيها ، وكم من أهوال ستكون لحظة إنتهاء الحياة على وجه الأرض ؟!

1. النجار ، زغلول راغب محمد : الأرض في القرآن الكريم ، ص164 .
2. قطب ، سيد : في ظلال القرآن . مج 4 ، ص 2381 .

المبحث الثاني

تغير معالم الأرض في مشاهد يوم القيامة

تؤكد الآيات القرآنية أن مظاهر الكون ستتغير و تختل من هول و عظمة يوم القيامة ، و تبدأ أحوال الأرض بالتغير بعد أن أعدها الله لتكون للبشر سكناً مريحاً ، و مهد لهم وسائل العيش فيها و سخر لهم فيها وسائل الراحة و المتاع ، و لولا هذا التسخير و التمهيد ما قامت الحياة عليها ؛ فقد سخرها الله لخدمة الإنسان و لتلائم الوظيفة التي خلق من أجلها ، و بالتالي فإن وجودها و وظيفتها مرهونة بوجود الإنسان على ظهرها.

تنتهي يوم القيامة خلافة الإنسان على الأرض ؛ و تنتهي مهمة الأرض بصورتها الحالية ، فيختل نظامها و يتبدل و يتغير حالها ، و تتغير لتلائم المرحلة الجديدة التي تبدأ بالنفخ بالصور، و تنتهي بالبعث من القبور والحشر، فترج ، وتدك ، وتتزلزل ، وترجف وتخرج ما في جوفها ويتغير شكلها .

تبدل الأرض

يتوزع معنى التبديل على دلالتين ؛ حقيقية و مجازية ، فالتَّبْدِيلُ حَقِيقَتُهُ جَعْلُ شَيْءٍ مَكَانَ شَيْءٍ آخَرَ ، فَيَكُونُ فِي الذَّوَاتِ كَمَا في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ

وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [1]. وَيُسْتَعْمَلُ مَجَازًا فِي إِبْطَالِ الشَّيْءِ وَنَقْضِهِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ اللَّهِ ﴾[2] أَيْ : يُخَالِفُوهُ وَيَنْقُضُوا مَا اقْتَضَاهُ" .[3]

واتخذ معنى التبديل أبعاداً تأويلية لدى بعض المفسرين جمعت بين دلالات النفخة الأولى والنفخة الثانية ، وما يحدث من زلزلة ورج ونسف...الخ ، فقد جاء في غير خبر ما يدل على أن تبديل الأرض قبل النفخة الأولى ، وأنه يقع مرتين مرة قبل النفخة الأولى ، و أخرى بعد النفخة الثانية ، و أن أول الصفات ارتجاجها ، ثم صيرورتها كالعهن المنفوش ، ثم كالهباء بأن تتقطع بعد أن كانت كالعهن ، ثم نسفها بإرسال الرياح عليها ، ثم تطييرها بالريح في الجو كأنها غبار ثم كونها سرابا.[4]

رج الأرض :

تتحدث آيات كثيرة عن نهاية الكون التي يظهر فيها الأسلوب القرآني المعجز ، منها قوله تعالى:﴿ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا * وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا * فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا ﴾[5].

الرَّجُّ التحريك رَجَّهُ يَرُجُّهُ رَجّاً حَرَّكَهُ وزَلْزَلَه فارْتَجَّ ورَجْرَجَهُ فَتَرَجْرَجَ ، والرَّجُّ تحريك شيئاً كحائط إذا حركته ، ومنه الرَّجْرَجَةُ وفي قوله تعالى : ﴿ إِذا رُجَّتِ الأَرضُ رَجًّا) ، أي : رُجَّتْ حُرِّكَتْ حركة شديدة وزُلْزِلَتْ والرَجْرَجَةُ الاضطراب ، وارْتَجَّ البحر وغيره اضطرب . ومنه حديث النفخ

---

1. إبراهيم: 48.
2. الْفَتْح: 15.
3 . ينظر : ابن عاشور، محمد الطاهر : التحرير والتنوير. ج18 ، ص21
4 . ينظر : الآلوسي ، شهاب الدين : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني . ج10، ص 245.
5. الواقعة : 4-6 .

في الصور ، فَتَرْتَجُّ الأَرض بأَهلها أَي تضطرب .[1]، وَتَأْكِيدُ الفعل (رجّ) بِالْمَصْدَرِ(رجا) لِلدَّلَالَةِ عَلَى تَحَقُّقِهِ وَ لِيَتَأَتَّى التَّنْوِينُ الْمُشْعِرُ بِالتَّعْظِيمِ وَالتَّهْوِيلِ.[2] ، و أضاف الآلوسي رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا أي : زلزلت وحركت تحريكاً شديداً بحيث ينهدم ما فوقها من بناء .[3]

يقول الله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾[4]. قال ابن عباس في معنى الآية " : يزاد فيها وينقص منها ، و تذهب آكامها وجبالها وأوديتها وشجرها وما فيها ، وتمد مد الأديم ، أرض بيضاء مثل الفضة ، لم يسفك فيها دم ولم يعمل عليها خطيئة " [5]

زلزلة الأرض

من معاني الزلزلة والزلزال تحريك الشيء ، والزلازل : الشدائد والأهوال ، فإذا قيل زلزل القوم : فمعناه صرفوا عن الاستقامة ، وأوقع في قلوبهم الخوف والحذر ، والزلزلة في الأصل : الحركة العظيمة والإزعاج الشديد ؛ ومنه زلزلة الأرض كناية عن التخويف والتحذير "[6]، والزلزلة : هزة أرضية طبيعية تنشأ تحت سطح الأرض ، والزلزال : الهول والبلية والشدة ، وزلزلة وزلزالاً : هزة وحركة شديدة"[7]. قال تعالى : ﴿ إِذا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزالَها *

1. لسان العرب : "مادة رجج" .
2. ينظر : ابن عاشور، محمد الطاهر : التحرير والتنوير .ج27، ص284
3. الآلوسي ، شهاب الدين : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. ج14،ص1341.
4. إبراهيم: 48.
5. الدر المنثور للسيوطي 57/5 .
6. لسان العرب : مادة " زلل " .
7. ينظر : معجم الوسيط .1/387.

وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقالَها * وَقالَ الْإِنْسانُ مَا لَها * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبارَها * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحى لَها * يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتاتاً لِيُرَوْا أَعْمالَهُمْ ﴾[1].

فزلزلت الأرض وتحريكها الشديد المناسب لعظمتها ، وأخراجها كنوزها وموتاها من بطنها وقذفها إياه على ظهرها ، لهو مظهر يوقع الإنسان بالفزع والخوف من عظمة هذا اليوم ، فمن أثقالها : كنوزها والأمواتُ في داخلها"[2] ، فهي تلقي وتتحرر من كل ما هو في بطنها من كنوز ومعادن وموتى . امتثالاً وطاعة لأوامر الله عز وجل ، فتبدأ بتغير ملامحها فتصبح أكثر سعة مما كانت عليه سابقاً .

يقف ابن عاشور على افتتاح السورة بظرف الزمان (إذا) منبهاً على المساحة السياقية الطويلة التي تفصل (إذا) عن جوابها (يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتاتاً لِيُرَوْا أَعْمالَهُمْ) للكشف عن البعد النفسي لأثر الزلزلة في قلوب الناس ، إذ إن افْتِتَاح الْكَلَامِ بِظَرْفِ الزَّمَانِ مَعَ إِطَالَةِ الْجُمَلِ الْمُضَافِ إِلَيْهَا الظَّرْفُ تَشْوِيقٌ إِلَى مُتَعَلِّقِ الظَّرْفِ ، فالْمَقْصُودُ لَيْسَ تَوْقِيتَ صُدُورِ النَّاسِ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ، بَلِ الْإِخْبَارُ عَنْ وُقُوعِ ذَلِكَ وَهُوَ الْبَعْثُ ، ثُمَّ الْجَزَاءُ ، وَفِي ذَلِكَ تَنْزِيلُ وُقُوعِ الْبَعْثِ مَنْزِلَةَ الشَّيْءِ الْمُحَقَّقِ الْمَفْرُوغِ مِنْهُ بِحَيْثُ لَا يُهِمُّ النَّاسَ إِلَّا مَعْرِفَةُ وَقْتِهِ وَأَشْرَاطِهِ فَيَكُونُ التَّوْقِيتُ كِنَايَةً عَنْ تَحْقِيقِ وُقُوعِ الْمُوَقَّتِ.[3]

---

1. الزلزلة : 1-6 .
2. ابن كثير ، اسماعيل ابن عمر: تفسير ابن كثير. ج8، دار طيبة ، 2002م .
3. ينظر : ابن عاشور ، محمد الطاهر : التحرير والتنوير . ج30، ص490.

ويعلل الزمخشري أنسنة الأرض في سورة الزلزلة في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبارَها) ، فيطرح سؤالا : ما معنى تحديث الأرض والإيحاء له ؟ ويجيب هو مجاز عن إحداث الله تعالى فيها من الأحوال ما يقوم مقام التحديث بالنسيان ، حتى ينظر من يقول مالها إلى تلك الأحوال ، فيعلم لِم زلزلت ، ولِم لفظت الأموات ؟ وأنّ هذا ما كانت الأنبياء ينذرونه ويحذرون منه . وقيل : ينطقها الله على الحقيقة . و تخبر بما عمل عليها من خير وشر . وفي كلا المعنيين اللذين أشار لهما الزمخشري تجسيد للبعد النفسي الذي يختزل عظمة الموقف الناجم عن زلزلة الأرض . [1]

توصَّل علماءُ الجيولوجيا إلى أن هناك علاقةً متينةً مترابطةً بين الزلازلِ والبراكينِ ، فمرةً يكونُ الزلزالُ بسببِ تحرُّكِ الكُتَلِ الملتهِبة ِ، وضغطِها على قشرةِ الأرض ِ، فيكونُ الزلزالُ نتيجةَ هيجانِ الكتلِ المحمومةِ في باطنِ الأرضِ ، ومرةً يكونُ الزلزالُ سبباً للبركانِ ، على كلٍّ فهناك علاقةٌ مترابطةٌ بين الزلازلِ والبراكين ِ، ثم اكتشفَ العلماءُ أنّ الحِمَمَ في باطنِ الأرضِ لها وزنٌ نوعيٌّ مرتفعٌ جداً ، فلمّا قرأَ أحدُهم هذه الآية: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الأرض زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الأرض أَثْقَالَهَا ﴾ ، وقد وُصِفَ ما فيها بالأثقالِ ، لأنَّ وزنَها النوعيَّ مرتفعٌ جداً أَخَذَتْهُ الدَّهشةُ . [2]

وتتفق صورة زلزلة الأرض مع أحولها الأخرى كالتبديل والرج والدك وغيرها ، وهي صور مترابطة مع الصور الأخرى في إيضاح الحقائق الدينية الثابتة ، وتكوين الرؤية الإسلامية

---

1. ينظر : الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل .ج4 ، ص784.
2. النابلسي ، محمد راتب : موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة . دار المكتبي – سورية. 2005 م . ج2 ، ص76.

المتكاملة للحياة والإنسان والكون . ولكن الجديد ، هو موقف الإنسان المشدوه المبهور، من هذه الزلزلة العنيفة ، وقد اعتادها مستقرة ، ويجسّم التعبير حالته النفسية الخائفة ، بهذا الاستفهام « ما لها » وكأنّ التعبير القرآني ، يرسم صورة الزلزلة الحسية ، وآثارها في الزلزلة النفسية أيضا. [1]

وفي قوله تعالى : ﴿ أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُور ُ﴾[2] ، في هذه الآية إشارة إلى احتمال أن تضطرب القشرة الأرضية ، وتتحرك مثل سفينة توشك على الغرق ، وهذا هو المعنى اللغوي لكلمة " تَمُورُ"، وهي كلمة تعبر تماماً عن حقيقة الألواح الأرضية ، وحركتها و احتمال أن تضطرب في أي وقت ، و تهتز مثل السفينة التي تغرق في البحر."[3]

دك الأرض

يرسم القرآن الكريم بداية نهاية الأحداث الكونية من خلال عرض صور مشحونة بالحركة والسرعة ، مقترنة بالنفخة في الصور كما في قوله تعالى : ﴿ فَإِذا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ واحِدَةٌ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبالُ فَدُكَّتا دَكَّةً واحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْواقِعَةُ * وَانْشَقَّتِ السَّماءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ واهِيَةٌ ﴾[4]. الدَّكُّ هدم الجبل والحائط ونحوهما دَكَّه يَدُكُّه دَكّاً . و الدَّقُّ مصدر قولك دَقَقْت الدَّواءَ أَدُقُّه دقّاً وهو الرَّضُّ . والدَّقُّ الكَسر والرَّضُّ في كل وجه . وقيل :

1. الراغب ، عبد السلام أحمد : وظيفة الصورة الفنية في القرآن. ص337 .
2. الملك : 16 .
3. ينظر : موسوعة الاعجاز العلمي في القرآن الكريم .
4. الحاقة: 13 - 16

هو أَن تضرب الشيءَ بالشيء حتى تَهْشِمَه. [1] ، وفرق بعضهم بين الدك والدق بأن في الأول تفرق الأجزاء ، وفي الثاني اختلافها . وقال بعض العلماء : أصل الدك الضرب على ما ارتفع لينخفض ويلزمه التسوية غالباً فلذا شاع فيها حتى صار حقيقة ، ومنه أرض دكاء للمتسعة المستوية ، وبعير أدك وناقة دكاء إذا ضعفا ، فلم يرتفع سنامهما واستوت خدجتهما مع ظهريهما فالمراد ها هنا فبسطتا بسطة واحدة وسويتا فصارتا أرضاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً .[2]

تجعل النفخة الواحدة ، الأرض مدكوكة ، والجبال كذلك ، والسماء الضخمة واهية ضعيفة ، و هنا نلاحظ تأثير الصورة السمعية المتمثّلة في النفخة ، في الكتل والأحجام في المشاهد الكونية الضخمة ، في السماء و الأرض و الجبال ، وهذه الصور المرعبة تلقي في حس الإنسان "[3] .

وفي قوله تعالى :﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾[4] . ابتدأت الآية الكريمة بلفظة " كَلَّا " بهدف الردع والزجر والانكار لكل منكر لاتيان يوم القيامة ، والدك في الآية الكريمة يقتضي أن تتحول الأرض من صلبة قاسية إلى رمل مدكوك [5] ، ودكّها بمعنى تحطمها وتفرق أجزائها ، وقد تكرر اللفظ " دَكًّا " إشارة وتأكيداً إلى التسوية ؛ لأن من لوازم تسوية الشيء دكه ، كما لإيقاع حرف الكاف دلالة واضحة على الحركة وتتابع

---

1. لسان العرب : " مادتا دكك ودقق" .
2. الآلوسي ، شهاب الدين : روح المعاني . ج15، ص50.
3. الراغب ، عبد السلام أحمد : وظيفة الصورة الفنية في القرآن. ص 330 .
4. الفجر : 21-22 .
5. الأشقر ، عمر سليمان : القيامة الكبرى . ط4 ، عمان، 1995 م ، ص103

الحدث. وكأن هناك عرض عسكري تشترك فيه جهنم بموسيقاها العسكرية المنتظمة الدقات ، المنبعثة من البناء اللفظي الشديد الآسر "[1].

ولتردد بعض الكلمات في هذه الآيات الكريمة مضامين ودلالات أسلوبية ، فالانسجام التام بين خاتمة الآيات و معنى صدر الآيات جاء مؤكداً لمعنى الدك والتحطيم والسرعة ، فتردد لفظة " دَكًّا" وكلمة " صَفًّا " أكثر من مرة أحدث انسجاماً موسيقياً ، وتآلفاً ايقاعياً بين الكلمات ، وأضاف تأكيداً على اتمام عملية الدك وشمولها وسرعتها ، فلا يوجد فاصل لفظي بين الفعل والمصدر ، أو بين لفظي " صَفًّا صَفًّا " .

والسياق الذي ورد فيه تردد هذه الألفاظ سياق الحديث عن قدرة الله في تسوية الأرض يوم القيامة ، وسرعة توالي الأحداث ، وهذه السرعة يناسبها الإيقاع السريع ، كما بدا لنا في الآيات السابقة . والأثر الموسيقي الذي أحدثته أصوات هذه الألفاظ في الفاصلة القرآنية أحدث جرساً موسيقياً تهابه العقول و القلوب " لأن رنين الكلمات وجرسها ، وتوافق إيقاعها ، لغة تتغلغل في النفس والضمير" [2].

وعند دراسة ظاهرة الثنائيات في النص القرآني السابق ندرك الأسرار النفسية والفنية والفكرية التي يبوح فيها النص القرآني لايصال المعنى والفكرة للمتلقي ، وجعل كل ما يبدو مألوفاً في الحياة يخضع للتفكير والتأمل .

---

1. ينظر : قطب ، سيد : التصوير الفني في القرآن . ص 79 -80

2 . ينظر : أبو موسى ، محمد محمد : خصائص التركيب: دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني . ط4 ، مكتبة وهبة ، القاهرة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م،ص ٣٥٩ .

مد الأرض يوم القيامة

يكون للأرض مد آخر يوم القيامة لكنه مد دون رواسٍ وأنهارٍ؛ فهو مد لجمع الناس ومحاسبتهم . فجاءت لفظة " المد " في أكثر من سياق له دلالة خاصة على الرغم من أن المعنى واحد ، ففي قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾[1]. " أي : إذا الأرض زادت سعة بإزالة جبالها وآكامها ، وصارت مستوية لا بناء فيها ولا وهاد ولا جبال ، ورمت ما في جوفها من الموتى والكنوز والمعادن وتخلت عنهم "[2] ، فمد الأرض هنا يفيد التسوية ، ويشير إلى التوسعة ليس بهدف استقرار البشرية وراحتهم ؛ بل جاء مد الأرض في سياق اعلان نهاية الحياة الدنيا ، وبدء مرحلة جديدة تختلف كل الاختلاف عن المرحلة السابقة ، وفي هذه الآيات استعارة . والمراد بها بعث الأموات ، وإعادة الرفات . فكأن الأرض حامل بهم فوضعتهم ، أو حاملة لهم فألقتهم ، فكانوا كالجنين المولود ، والثقل المنبوذ " [3]. ومن المعاني المعجمية للفظة المد ما جاء في المكروه "[4]. و السياق الدلالي للآيات السابقة ينسجم انسجاماً تاماً مع الدلالة المعجمية للفظة " المد " ، فالآيات التالية

---

1. الانشقاق : 3-5.
2. الصابوني ، محمد علي : صفوة التفاسير . ط1 ، ج3 . ص 511 .
3. الرضي ، الشريف : تلخيص البيان في مجازات القرآن . ص361 .
4. الأصفهاني ، الراغب : مفردات ألفاظ القرآن . ص 763 .

جاءت لتكون مسوغا حقيقياً لاختيار هذا الفعل دون غيره من الأفعال ؛ لما يحمله من دلالات توحي بأهوال يوم القيامة ، وما يترتب عليه من أحداث تشعر الناس بالخوف والفزع .

ولو أمعنا النظر في الأفعال (مُدَّتْ ، وَأَلْقَتْ ، تخَلَّتْ ، أذِنَتْ) لوجدناها أفعالاً ماضية تشير إلى حتمية وقوع هذه الأحداث يوم القيامة ، وتؤكد على حقيقة الخلق كما تؤكد على حقيقة البعث . وعند إجراء مقارنة بين السياق الذي وردت فيه ألفاظ المد ، والسياق الذي وردت فيه ألفاظ البسط نلحظ أن دلالة البسط تظهر في النشر والتوزيع ، والفرش والتمهيد .

يتضح لنا أن الأرض الممهدة المذللة المسخرة للإنسان ستنتهي وظيفتها يوم القيامة حينما تُرجف ، وتُرج ، وتُزلزل ، وتُدك ، وفي هذه الألفاظ دلالات تحمل معنى الرهبة والجزع . وفي نهاية المطاف تبدأ الأدلة الناطقة بالقدرة الإلهية المبدعة بالتغير ، وتبدأ الانقلابات الكونية تدريجياً ؛ استعداداً لاستقبال مرحلة جديدة ، لا يعلم خفاياها إلا الله علام الغيوب .

الفصل الرابع

صورة الجبال في القرآن الكريم

مدخل

المبحث الأول : ثبوت الجبال ورسوخها

المبحث الثاني : حركة الجبال ونسفها

مدخل

وردت كلمة جبال في تسع و أربعين آية صريحة في القرآن الكريم ، إلا أن الحظ الأوفر من تلك الآيات كانت في وصف يوم القيامة وما فيه من الأهوال . وجاءت بصيغة المفرد 6 مرات في و 33 مرة في صيغة الجمع "[1] ، و الجَبَل اسم لكل وَتِدٍ من أَوتاد الأَرض إِذا عَظُم وطال من الأَعلام ، والأَطواد ، والشَّناخِيب ، وأَما ما صَغُر وانفَرد ، فهو من القِنان ، والقُور ، والأَكَمَ، والجمع أجبل وأجبال وجبال" [2].

يعرف الجبل بأنه مجموعة من " النتوءات البارزة من التضاريس بالنسبة للمنطقة المحيطة بها "[3] ، ويقال : فلان جبل ، أي لا يتزحزح تصوراً لمعنى الثبات فيه ، ونقول جبله الله على كذا ، إشارة إلى ما رُكب فيه من الطبع الذي يأبى على الناقل نقله ، وفلان ذو جبلةٍ ، أي : غليظ الجسم ، وثوب جيد الجبلة بمعنى العِظم " [4]. وعرفت الجبال بأنها :" قمم لكتل عظيمة من الصخور تطفو في طبقة أكثر كثافة [5].

وبعد معاينة المعاني السابقة للفظة " الجبل" نستدل أنه يحمل معاني الثبات والضخامة والعظمة . وعند الاطلاع على كثير من التعريفات التي تتضمن معنى الجبل كجزء من

---

1. النجار ، زغلول راغب : من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم : المفهوم العلمي للجبال في القرآن الكريم ، ج 3 ، مكتبة الشروق الدولية ، ط1 – القاهرة ، 2002 م ، ص31 .
2. ابن منظور : لسان العرب ، مادة "جبل" .
3. ينظر : الأصفهاني ،الراغب : مفردات ألفاظ القرآن . مادة " جبل " ص 185.
4. ينظر : المرجع نفسه ، مادة " جبل " ص 185 .
5. النجار ، زغلول : الفكرة الجيولوجية عن الجبال في القرآن . هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، إصدارات رابطة العالم الإسلامي، مكة ، 1992م ، ص3 .

التضاريس نجد أن التعريفات كلها " اقتصرت على الأشكال الخارجية للتضاريس دون أدنى فكرة عن امتدادتها – تحت السطح – التي ثبت مؤخراً أنها تبلغ أضعاف ارتفاعها الخارجي لمرات عديدة "[1] ، وفي المقابل نجد القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرناً يصف الجبال أنها أوتاد ، ورواسي .

وصف التعبير القرآني الجبال بصفات تناولت في معظمها الشكل الخارجي للجبل ، وارتفاعه فوق سطح الأرض ، وامتداداته الهائلة بداخلها ، وأشار إلى دوره ووظيفته الدقيقة في التثبيت ،" تثبيت الغلاف الصخري وتثبيت الكوكب وتثبيت التربة " [2] .

1. النجار ، زغلول راغب : المفهوم العلمي للجبال في القرآن الكريم . ص29.
2.المرجع نفسه . ص30 .

المبحث الأول

ثبوت الجبال ورسوخها

يرسم القرآن الكريم لوحة حية ، يشير فيها إلى الهدف والغاية من انتصاب الجبال، وعلاقتها مع عناصر الكون ، فيقول سبحانه و تعالى :﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾[1] ، في هذه اللوحة الناطقة تتجمع أطراف الخلائق البارزة في الكون كله ، فهذه المشاهد معروضة لنظر الإنسان حيثما كان (السماء والأرض والجبال والحيوان) ، وأياً كان حظ الإنسان من العلم والحضارة فهذه المشاهد داخلة في عالمه وإدراكه. موحية له بما وراءها حين يوجه نظره وقلبه إلى دلالتها "[2] ، فجمعت الآيات بين السماء ، والأرض ، والجبال ، والجمال في مشهد تصويري واحد " والأجزاء موزعة بين الاتجاه الأفقي في السماء المرفوعة والأرض المبسوطة ، والاتجاه الرأسي بينهما في الجبال المنصوبة والإبل الصاعدة السنام . وهذه دقة تأخذها عين المصور الدقيق ، في الأشكال والأحجام "[3]. فتظهر قدرة الله سبحانه وتعالى في حسن صنيعه ، وكأن في كل آية من الآيات السابقة قلب نابض بالحياة ، وكأن عناصر الكون الممثلة بهذه المشاهد المعروضة ، تلتحم معاً لترسم لوحة حية كاملة ، تنطق بعظمة الله ، وتدعونا للتدبر في جميع مخلوقاته .

---

1. الغاشية : 17-20 .
2. ينظر: قطب ، سيد: في ظلال القرآن.ج28،ص563.
3. المرجع نفسه ، ص 100 .

إن المشهد الكلي يضم مشهد السماء المرفوعة والأرض المبسوطة والجبال المنصوبة ، وفي هذا المدى تبرز الجبال لا راسية ، ولا ملقاة ، وتبرز الجمال منصوبة السنام ، خطان أفقيان وخطان رأسيان ، وهذه لوحة متناسقة الأبعاد والاتجاهات على طريقة القرآن في عرض المشاهد "[1].

ويرد الزمخشري على من تساءل عن سَبب ذِكر االله سبحانه و تعالى للإبل ، والسماء، والجِبال ، في نَسَقٍ واحد ظَناً بأنه لا انتِظام بينهما ، " فإن قلت كيف حَسُن ذِكر الإبل مع السماء، والجِبال ، والأرض ، ولا مُناسَبة ، قلت : قد انتَظَمَ هذه الأَشياء نَظَر العَرَب في أودِيَتهم وبَواديهم ؛ فانتَظَمَها الذِكر على حَسَب ما انتَظَمَها نَظَرُهم ، ويُوّجِهُنا لأن نَنْظرَ إلى الجِبال كَيْف ﴿نُصِبَتْ نَصْباً ثابتاً ؛ فهي راسِخة ، لا تَميل ولا تَزول." [2] ، فالإنسان الواعي يدرك أن كل هذه العناصر مخلوقة جميعها من قبل خالق واحد ، ولغاية واحدة ، وتشكل لوحة غاية في الانسجام و التكامل .

لا بد أن يكون هناك قيمة دلالية للجمع بين ألفاظ هذه الآية الكريمة ترشدنا إلى الغاية والعبرة من الجمع بين لفظة : الجبال ، والإبل ، والأرض ، والسماء لأن " التجاذب الدلالي بين الألفاظ المتجاورة والسياق الدلالي يقتضي تأملاً في البنية المعجمية للكشف عن الخلايا

1. قطب ، سيد: في ظلال القرآن.ج28 ، ص565.
2. الزمخشري ، جاد الله محمود بن عمر : تفسيرالكشاف . 747/4 .

الدلالية للألفاظ المتجاورة وتناسبها مع السياق "[1] . وقد تتمثل هذه القيمة الدلالية في بيان أن الكون لا يكون منسجماً ومتوازناً بدون هذه الأطراف مجتمعةً.

نلاحظ عند تحليل النص بنيوياً الثنائيات الضدية الفعلية : بين الفعلين : " رُفِعَتْ ، سُطِحَتْ " وبين الثنائيات الضدية الاسمية : " السَّمَاءِ ، والْأَرْضِ " و" الْجِبَالِ ، الْإِبِلِ " فالبنية الفعلية القائمة على التضاد أنشأت حركة داخلية خفيّة حيناً ، و جليّة حيناً آخر، من العلاقات بين هذه الثنائيات ، و تقدم الآيات الكريمة بنية معقّدة متشابكة ، تخرج عن كونها وصفاً نمطياً . قاصراً على ذكر بعض المخلوقات . إلى رؤيا بيانية تظهر عجز الإنسان العادي ، وعدم إدراكة لقدرة الله سبحانه وتعالى في تأمل ما دعت إليه الآيات الكريمة ، من خلال منظور أكثر شمولية وعمقاً.

عبّر القرآن الكريم عن معنى الجبال بلفظة (رواسي) في عشر آيات ، بمعنى موازنة أو مثبتة لاستقرار الأرض ، ومن المثيرات الأسلوبية التي تدعو للتأمل ملازمة لفظة " رواسي " للسياق الخاص بذكر الجبال ووظيفتها [2] ، ومنها قوله تعالى: ﴿...وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ [3].

1. ينظر: عتيق ، عمر : لمسات من الإعجاز اللغوي في القرآن.المجلة الأردنية الإسلامية،ع3،2015 م ،ص3.
2. الراوي ، عبد الوهاب: معجزات القرآن العلمية في الأرض.ص35.
3. لقمان : 10 .

. رَسَا الشَّيءُ يَرْسُو رُسُوّاً وأَرْسَى ثَبَتَ وأَرْساه هو ، ورَسَا الجَبَلُ يَرْسُو إذا ثَبَت أَصلهُ في الأَرض ، وجبالٌ راسِياتٌ والرَّواسِي من الجبال الثَّوابتُ الرَّواسخُ "[1] ، فهي "رواس حقيقية لا مجازاً ، تعمل على التقليل من ترنح الأرض في دورانها حول محورها ، كما تعمل قطع الرصاص التي توضع حول إطارات السيارات للتقليل من ترنحه في أثناء دوران ذلك الإطار ؛ وسفوح الجبال بانحداراتها اللطيفة عند أقدام تلك المرتفعات الأرضية محضن جيد للرسوبات ، التي ترتكز إليها براحة واستقرار أمين "[2] . والرواسي معنى قائم بذاته ، وهو التثبيت ومنع الحركة ، ومنه سمي المرسى مرسى ؛ لأن فيه تقف السفن وتسكن عن الحركة ، ومنه قوله تعالى :﴿ وَقَالَ ارْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ اللّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.[3]

فالجبال كالمرساة بالنسبة للسفينة ، فهي ترسو تماماً كما ترسو السفينة ، فالأولى تطفو فوق رداء الأرض السائل ، والثانية تطفو فوق ماء البحر ، وتنطبق عليهما قوانين الطفو ، فكثافة مادة الرداء أعلى من كثافة صخور الجبل ، وكذلك نجد كثافة مادة البحر أعلى من متوسط كثافة السفينة ، وإلا لما طفت السفينة ، فيتحقق الشبه بين إرساء الجبال وإرساء السفينة "[4] ، وفي هذا بيان بليغ لحقيقة الجبال ووظيفتها ، في تثبيت الأرض ، والسياق الخاص الذي يُظهر وظيفة الجبال . و سبق ذكر أن الجَبَل اسم لكل وَتِدٍ من أَوتاد الأَرض ومهمة الوتد التثبيت.

---

1. لسان العرب : مادة " رسا " .
2. النجار ، زغلول راغب : المفهوم العلمي للجبال في القرآن الكريم . ص30 .
3. هود : 41 .
4. النبي ، منصور محمد حسب : الرواسي الشامخات والماء الفرات . سلسلة 3 ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 2010 م ، ص 18 .

أثبت العلماء أن كثافة الجبل تختلف عن كثافة الصخور المحيطة به ، فالجبل عبارة عن أداة ترسو على الأرض ، فتثبت القشرة الأرضية فلا تسمح لها بالاهتزاز أو الاضطراب ، لأن الطبقة التي تلي القشرة الأرضية هي طبقة من الصخور ذات درجة حرارة عالية وضغط مرتفع ، ثم تليها طبقة ثالثة أكثر حرارة ، وأكثر ضغطاً وتعتبر أكثر لزوجة ، وبالتالي كأن الطبقة الأولى والثانية تسبحان وتعومان على طبقة ثالثة تماماً كأن هناك مجموعة ألواح تطفو على سطح الماء"[1] .

إن إرساء الجبال هو نتيجة لاستقرار سطح الأرض ، ووصول درجة حرارته إلى هذا الإعتدال الذي يسمح بالحياة ، وفي قوله تعالى : " وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا "(2) ، حقيقة من أجل التدبر والتفكر في تصميم هذا الكون الكبير[3].

وفي قوله تعالى : ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾[4] ، جاءت بعض الآيات التي تناولت موضوع الجبال مرة باستخدام الفعل " ألقى " وأخرى باستخدام الفعل" جعل " في قوله تعالى :

1. ينظر : موسوعة الكحيل عبد الدائم : الإعجاز العلمي .
2. النازعات : 32 .
3. قطب ، سيد: في ظلال القرآن. ج28،ص447.
4. الحجر : 19 .

﴿ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾[1]، وسأحرص على التمييز بين فعل " الإلقاء " وفعل " الجعل " في الآيات الكريمة .

آيات جعل الرواسي	آيات إلقاء الرواسي
﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا ﴾ (الرعد: 3)	﴿ وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ ﴾ (الحجر: 19).
﴿ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ (الأنبياء: 31).	﴿ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾(النحل: 15).
﴿ أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ﴾(النمل: 61).	﴿ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ (لقمان: 10).
﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ ﴾(فصلت:	﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ (ق: 7

1. الأنبياء : 31

10).	).
﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاء فُرَاتًا ﴾ (المرسلات: 27).	

جاءت لفظتا " أَلْقَيْنَا، وَجَعَلْنَا " في سياق الحديث عن الجبال ، و لكل لفظة من هذه الألفاظ دلالاتها من خلال العناصر اللغوية التي تتفاعل معها في إطار السياق الذي وردت فيه . فالإلقاء يتضمن معنى السرعة والقدرة المطلقة "[1] ، على الرغم من عظم الجبال وقوتها وثقلها ، إلا أن الله ألقاها فوردت لفظة " أَلْقَيْنَا " كما يلقى الشي الخفيف وليس ذلك لخفتها ، بل لقدرته العظيمة ، و قد يدل ذلك على علو المكان الذي ألقيت منه الجبال ؛ لأن الإلقاء فيه هذا المعنى ، وليس شرطاً أن يكون الإلقاء من أعلى إلى أسفل ، فقد يحمل أيضاً من أسفل إلى أعلى إشارة إلى الطريقة التي تكونت بها الجبال البركانية بإلقاء مادتها ؛ من باطن الأرض إلى الأعلى ثم عودتها لتستقر على سطح الأرض .

نلحظ عند تأمل الآيات التي وردت فيها لفظة " الجعل " ملازمة الفعل بصيغتيه ،" جَعَلَ ، جَعَلْنَا " سياق الصيرورة ، والصنعة . فلم يأت بفعل مناظر آخر . إن الربط بين معاني مادة " جعل " وسياق التحول والصيرورة ، يدل على أن حال الجعل لازم سياق الصنعة ، فلفظة " جَعَلَ" حملت شحنات دلالية تفاعلت مع مقتضيات السياق الدلالي . وما الجبال إلا نموذج على قدرة الله تعالى في ما أودعه في هذا الكون الفسيح من بديع صنعته .

1. ينظر : المقدسي ، عبد الإله المقدسي : ملتقى أهل الحديث ،منتدى القرآن الكريم وعلومه . https://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.

ولو تأملنا سياق الآيات مرة أخرى لوجدنا تناسباً وارتباطاً لافتاً للنظر بين لفظة رواسي ، وسياق الماء ، حيث يعد الباحثون الجبال الشاهقة أهم مصدر للماء العذب ، وتظهر في الآيات الكريمة دور الجبال في تنقية الماء ، فكلما زادت المسافة التي تقطعها قطرة الماء زادت درجة نقاوتها "[1] ، كما في قوله تعالى :﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا ﴾[2]. في هذه الآية الكريمة ربط سبحانه وتعالى بين الرواسي الشامخات ، وهي الجبال العالية و الماء الفرات وهو شديد العذوبة . يربط بعض المفسرين بين الجبال العالية ، وتولد الأنهار على وجه الأرض ، فإذا تصاعدت الأبخرة من قعر الأرض ، ووصلت إلى الجبل احتبست هناك ، فلا تزال تتكامل فيحصل تحت الجبل مياه عظيمة ، تخرج وتسيل على وجه الأرض ، فمنفعة الجبال في تولد الأنهار ، ولهذا السبب أينما ذكر الله الجبال ، قرن بها ذكر الأنهار "[3].

أوضح بعض المفسرين أنه " كلما كان الجبل أكثر شموخاً وارتفاعاً أدى ذلك لتجمع كمية أكبر من الغيوم ، ثم نزول المطر أو الثلج ، ثم ذوبان هذا الثلج وتسرُّبه عبر طبقات الجبل ومسامه حتى تتفجر الينابيع شديدة العذوبة . ولذلك نجد أن معظم الجبال الشامخة يوجد في قربها أنهار وينابيع ومياه عذبة "[4].

1ينظر: الكحيل ، عبد الدائم : الإعجاز المائي في القرآن الكريم .
https://www.babnet.net/cadredetail-3132.asp
2. المرسلات : 27 .
3. ينظر : الرازي ، فخر الدين : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب . ص 179 .
4. الكحيل ، عبد الدائم : موسوعة الكحيل للإعجاز العلمي .
http://www.kaheel7.com/ar/index.php/2010-02-02

ويظهر أن هناك علاقة واضحة بين كتل الجبال الراسيات وكتل المياه الجوفية ذات الأوزان ، فالجبال تحافظ على توازن الأرض ، والسحب والثلوج ، تتجمع فوق قمم الجبال ، فتنحدر مساقط الماء العذب . وهكذا تتجاور الصور في السياق ، ضمن نظام العلاقات الذي يربط بينها ، ويوحّد أثرها في تحقيق الغرض الديني . ولولا الجبال لمادت الأرض واضطربت "[1].

يشير ما تقدم أن هناك علاقة دلالية بين لفظة " رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ " و " مَاءً فُرَاتًا " لسياق الحياة الذي يتم بواسطة الماء ، فارتباط الماء العذب بالجبال الشاهقة يضيف بعداً دلالياً ، و يظهر انسجام المفردات وعلاقتها ببعضها بعضا في السياق نفسه ، وبهذه العلاقة يَظهر لنا لوناً من ألوان الدقة اللغوية في اختيار اللفظة المفردة ، التي تظهر الإعجاز البياني في القرآن الكريم . ومن المفيد أن نتأمل بعض اللطائف اللغوية التي تعزز محور ثبوات الجبال واستقرارها ، ففي قوله تعالى :﴿ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَراراً وَجَعَلَ خِلالَها أَنْهاراً وَجَعَلَ لَها رَواسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حاجِزاً أَإِلهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [2] ، اللَّامُ فِي (لَها رَواسِيَ) لَامُ الْعِلَّة ِ، أَيِ الرَّوَاسِي لِأَجْلِهَا أَيْ لِفَائِدَتِهَا ، فَإِنَّ فِي تَكْوِينِ الْجِبَالِ حِكْمَة لدفع الملاسة عَنِ الْأَرْضِ لِيَكُونَ سَيْرُهَا فِي الْكُرَةِ الْهَوَائِيَّةِ مُعَدَّلًا غَيْرَ شَدِيدِ السُّرْعَةِ وَبِذَلِكَ دَوَامُ سَيْرِهَا ".[3]

1. الراغب ، عبد السلام أحمد : وظيفة الصورة الفنية في القرآن . ص 214 .
2. النمل : 61 .
3. ابن عاشو ، محمد الطاهر : التحرير والتنوير . ج20 ، ص12

وفي قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ فِيها رَواسِيَ مِنْ فَوْقِها وَبارَكَ فِيها وَقَدَّرَ فِيها أَقْواتَها فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَواءً لِلسَّائِلِينَ ﴾ [1]. جاءَ وَصْفُ الرَّوَاسِي بِـ (مِنْ فَوْقِها) لِاسْتِحْضَارِ الصُّورَةِ الرَّائِعَةِ لِمَنَاظِرِ الْجِبَالِ ، فَمِنْهَا الْجَمِيلُ الْمَنْظَرِ الْمُجَلَّلُ بِالْخُضْرَةِ أَوِ الْمَكْسُوُّ بِالثُّلُوجِ ، وَمِنْهَا الرَّهِيبُ الْمَرْأَى مِثْلَ جِبَالِ النَّارِ (الْبَرَاكِينِ) ، وَالْجِبَالِ الْمَعْدِنِيَّةِ السُّودِ".[2]

ويثير الزمخشري سؤالاً : ما معنى قوله مِنْ فَوْقِها وهل اختصر على قوله وَجَعَلَ فِيها رَواسِيَ كقوله تعالى وَجَعَلْنا فِيها رَواسِيَ شامِخاتٍ ، وَجَعَلْنا فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ ، وَجَعَلَ لَها رَواسِيَ ؟ ويجيب : لو كانت تحتها كالأساطين لها تستقر عليها ، أو مركوزة فيها كالمسامير : لمنعت من الميدان أيضاً ، وإنما اختار إرساءها فوق الأرض ، لتكون المنافع في الجبال معرضة لطالبيها ، حاضرة محصليها ، وليبصر أن الأرض والجبال أثقال على أثقال ، كلها مفتقرة إلى ممسك لا بد لها منه ".[3]

ثبوت الْجِبَالَ بالأَوْتَاد

الوتد ما رُزَّ في الحائِط أَو الأَرض من الخَشَب ، والجَمع أَوتاد "[4] ، فالوتد أغلبه مدفون في الأرض ، وأقله ظاهر فوق السطح ، ووظيفته التثبيت لغيره ، فعند انغراس الوتد تثبت ألواح

1. فصلت : 10 .
2. ابن عاشو ، محمد الطاهر : التحرير والتنوير . ج24 ، ص244 .
3. الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد : الكشاف. ج4، ص 187.
4. لسان العرب ، مادة " وتد" .

الغلاف الصخري للأرض ويجعلها صالحة للإعمار "[1] والوتد هو : العمود الذي يدق على الخيمة وتشد به حبالها ليثبتها في الأرض ، ويمنعها من أن تذهب بعياً بفعل الرياح " [2].

وردت في القرآن الكريم صفات مختلفة للجبال ، ذكرت في تسع وثلاثين آية صريحة منها قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾[3]. فشبه الجبال بالوتد ، و المعروف أن الوتد يكون معظمه تحت الأرض ، فلا يظهر على السطح إلا الشيء اليسير منه ، و تصور الآية الكريمة حقيقة محسوسة للإنسان في أي طور من أطوار حضارته ومعرفته ، فلا نحتاج إلى علم غزير لإدراكها في صورتها الواقعية ، فكون الجبال أوتاداً ظاهرة تراها العين ، وهذه ذات وقع في الحس عندما توجه إليها النفس".[4] ، ويتحقق التناسب في الجمع بين الأرض والجبال في آيتين متتابعتين في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ ، إذ إن تشبيه الأرض بالمهاد يستدعي صورة الفراش داخل الخيمة التي قد تتعرض للهدم بسبب الرياح القوية ، أو غيرها من الأسباب ، فجاء تشبيه الجبال بالأوتاد تثبيتاً وتقوية للخيمة خشية سقوطها ، أو للأرض كيلا تميد أو تتحرك . ويتعزز هذا المعنى بما نص عليه ابن عاشور : فَلَمَّا كَانَ الْبَيْتُ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَخْطُرَ بِبَالِ السَّامِعِ مِنْ ذِكْرِ الْمِهَادِ كَانَتِ الْأَرْضُ مُشَبَّهَةً بِالْبَيْتِ عَلَى طَرِيقَةِ الْمَكْنِيَّةِ ، فَشُبِّهَتْ جِبَالُ الْأَرْضِ بِأَوْتَادِ الْبَيْتِ تَخْيِيلًا لِلْأَرْضِ مَعَ جِبَالِهَا بِالْبَيْتِ وَمِهَادِهِ وَأَوْتَادِهِ . وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْجِبَالُ مُشَبَّهَةً بِأَوْتَادِ الْخَيْمَةِ فِي أَنَّهَا

1.ينظر : النجار ، زغلول راغب : المفهوم العلمي للجبال في القرآن الكريم . ص29 .
2. العبيدي، خالد فائق : الأرض . ومضات اعجازية من القرآن والسنة النبوي ، دط ، دار الكتب العلمية ، ص 24 .
3. النبأ :6- 7 .
4. قطب ، سيد:في ظلال القرآن. ج 28 ، ص428.

تَشُدُّ الْخَيْمَةَ مِنْ أَنْ تَقْلَعَهَا الرِّيَاحُ أَوْ تُزَلْزِلَهَا بِأَنْ يَكُونَ فِي خَلْقِ الْجِبَالِ لِلْأَرْضِ حِكْمَةٌ ؛ لِتَعْدِيلِ سَبْحِ الْأَرْضِ فِي الْكُرَةِ الْهَوَائِيَّةِ إِذْ نُتُوُّ الْجِبَالِ عَلَى الْكُرَةِ الْأَرْضِيَّةِ يَجْعَلُهَا تَكْسِرُ تَيَّارَ الْكُرَةِ الْهَوَائِيَّةِ الْمُحِيطَةِ بِالْأَرْضِ ، فَيَعْتَدِلُ تَيَّارُهُ حَتَّى تَكُونَ حَرَكَةُ الْأَرْضِ فِي كُرَةِ الْهَوَاءِ غَيْرَ سَرِيعَةٍ "[1].

يتناسب هذا التصوير مع وظيفة الجبال ، فهي بمنزلة الأوتاد للخيمة ، فوظيفة الوتد التثبيت ، فالوتد يدفن أغلبه في الأرض ، ويظهر جزء منه على السطح ، وعلوم الأرض الحديثة أكدت على ذلك بعد أن كانت الجبال توصف بأنها نتوءات فوق سطح الأرض "[2] ، ومن أهم المفاهيم العلمية لمعنى الجبل ورود ذكره في كتاب الله عز وجل ، والذي يؤكد أن الجبال ليست فقط تلك الارتفاعات الكبيرة التي تبدو على سطح الكرة الأرضية ، ولكنها أيضاً امتدادات تلك الارتفاعات في داخل الأرض والتي يسميها علماء الأرض اليوم " جذور الجبال " وهذه الحقيقة تؤكدها الآيات القرآنية بوصفها للجبال بأنها أوتاد "[3] ، فلم يكن العقل البشري يتصور أن هذه الجبال بشكلها الظاهر والعظيم لا تمثل إلا نسبة بسيطة من حجم الجبل الحقيقي . فكل نتوء فوق سطح الأرض له امتداد في داخلها يتراوح طوله بين (10 إلى 15) ضعف ارتفاعه فوق مستوى سطح البحر ، فكلما كان الإرتفاع فوق سطح الأرض كبيراً تضاعف الجزء الغائر في الأرض امتداداً إلى داخلها ، ليخترق الغلاف الصخري للأرض

1. ينظر : ابن عاشور ، محمد الطاهر : التحرير والتنوير . ج30 ، ص15
2. ينظر : النجار ، زغلول راغب محمد : الأرض في القرآن الكريم . ص215 .
3. النجار ، زغلول راغب : المفهوم العلمي للجبال في القرآن الكريم . ص38 .

بالكامل "[1] ، فهنا يعمل الخيال ويتصور، ويستنتج تناسب معنى الوتد مع التصوير الثابت للجبال ، ومع سياق الآية التي قبلها بقوله : " والأرض مهادا " التي تعني الاستواء والتوازن فهذه الألفاظ استخدمت دون غيرها ؛ لأنها المناسبة للسياق المعبر عن المعنى .

يحمل وصف الجبال بالأوتاد شحنات دلالية تشعرنا بالطمأنينة والاستقرار في قوله تعالى :﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا *وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا* وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا *وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا * وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا* وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴾[2].

لازمت لفظة " أَوْتَادًا"سياق الاستقرار والطمأنينة ، ونلاحظ التفاعل الدلالي بين لفظة " أَوْتَادًا " والكلمات الملازمة للسياق الذي وردت فيه ، فالتقاطع الدلالي بين ألفاظ السياق في المفردات التالية : " أَزْوَاجًا، سُبَاتًا ، لِبَاسًا ، مَعَاشًا " ، تحمل هذه الألفاظ معنى الثبات والاستقرار ، ويتجلى التقاطع الدلالي بين مادة " وتد " ، والسياق الدلالي للاستقرار والثبات على النحو الآتي :

أَوْتَادًا : من أسباب تثبيت الجبال على الأرض ، وذلك في قوله تعالى : " وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا "

أَزْوَاجًا : من أسباب الاستقرارُ في الحياةِ ، فغايةُ الإنسان الاستقرار والسكينة ، فلا استقرارَ إلا بسكونٍ.

1. ينظر :المرجع نفسه . ص 18 .
2. النبأ : 6-11 .

سُبَاتًا : من سبت يسبت سبتاً : استراح وسكن [1] ، وفي هذا المعنى ما يدل على الاستقرار والهدوء ، وكذلك الأمر في لفظة " لباساً " ، فاللباس يلف صاحبه ، ويعطيه شعور الاستقرار النفسي . أما لفظة " مَعَاشًا " ، فهي تحمل معنى مُشْرِقًا نَيِّرًا مُضِيئًا لِيَتَمَكَّن النَّاس مِنْ التَّصَرُّف فِيهِ وَالذَّهَاب وَالْمَجِيء لِلْمَعَاشِ وَالتَّكَسُّب "[2] ، وفي ذلك أيضاً استقرار وهدوء نفسي .

ونخلص مما تقدم أن الألفاظ المفردة السابقة شكلت شبكة من العلاقات التفاعلية ، حملت دلالة الاستقرار والثبات ، فظهرت دقة اختيار لفظة " أَوْتَادًا " دون غيرها من الألفاظ لما تحمله من شحنات دلالية تتفاعل مع المفردات في سياق الآيات الكريمة . فالتناسب الذي تحقق بين مادة " وتد " وسياق الاستقرار والسكون ، أظهر الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم .

الاستقرار والسكن في الجبال

تعلم الإنسان منذ القدم كيف ينحت في الجبال بيوتاً ، فهي مصدر الأمن والأمان ، والاستقرار الروحي والنفسي ، وذكر لنا القرآن الكريم أسماء بعض الأقوام التي اتخذت من الجبال مكاناً لسكناهم ، أمثال قوم عاد و ثمود ، قال تعالى : ﴿ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴾[3] ، وقوله : ﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴾[4] ، فقد استطاع الإنسان أن ينحت قصوراً فارهة في الجبال وسفوحها ، وكان قوم عاد وثمود من أوائل البشر ، الذين اتخذوا من الجبال قصوراً مشيدة منيعة ، معتقدين الخلود في الدنيا كأنهم باقون إلى الأبد ؛

---

1. لسان العرب : مادة " سبت " .
2. ابن كثير ، تفسير ابن كثير مج3 ، ص 590 .
3. الحجر: 82 .
4. الشعراء : 149 .

فكانت الجبال الملجأ ، الذي حقق المتاع والأمن والآمان لهم. وذكر سبحانه وتعالى في سياق الاستقرار والطمأنينة : ﴿ وَأَوْحى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِها شَرابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ فِيهِ شِفاء لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1]، إن في اختيار النحل للجبال بيوتاً لها ، بايحاء من الله لم يكن عبثاً ، فكان الاختيار دقيقاً وبعناية فائقة ، تمثل في بعدها عن قسوة الظروف المناخية مثل : التيارات الهوائية ، والسيول ، وكل ما يهدد أمانها واستقرارها .

تظهر في الآيات السابقة قواسم مشتركة ، تبدو في الدلالة اللونية لكل من " الجبال ، والثمار ، والعسل " ، والماء هو العامل الأساسي في تكوين الأشياء وتلوينها. وفي اختلاف الألوان آية ربانية عظمى ، لا يدرك سرها ومكنونها إلا كل متدبر لألفاظ القرآن الكريم ودلالتها .

تظهر أواصر القربى بين لفظة " الجبال " ولفظة " بيُوتًا " ، فمن المعاني المعجمية التي تفيدها لفظة " البيت" معنى الاستقرار والأمان وأصل البيت : مأوى الإنسان بالليل ؛ لأنه يقال : بات : أقام بالليل ، ويقال للمسكن بيت من غير اعتبار الليل فيه " [2] ، فالبيت هو المأْوَى ، والجبل يحمل دلالة المكان المرتفع الذي يأوي إليه الانسان وقت الخطر . كما في قوله تعالى :﴿ قَالَ

1. النحل : 68 -69 .
2. الأصفهاني ، الراغب : مفردات ألفاظ القرآن . ص 151 .

سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾[1]

يتبين مما تقدم شبكة العلاقات الدلالية بين مادة " الجبل " والسياق العام للآيات ، فقد جاءت الجبال في سياق الاستقرار والأمان .

وفي قوله : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾[2]، وردت لفظة " أَكْنَانًا" وهي جمع لكلمة " كن" ، والكنان : الغطاء الذي يكن فيه الشيء"[3] ، والكنّان : وقاء كل شيء وستره . والكنّ : البيت أيضاً والجمع أكنان وأكنّة " [4]. تظهر لنا الآيات الكريمة السابقة دلالة البيوت والأكنان ، ووجودها في الجبال رمزاً للاستقرار والأمان والسكن .

1. هود : 43 .
2. النحل : 81 .
3. الأصفهاني ، الراغب : مفردات ألفاظ القرآن . 727 .
4. لسان العرب : مادة " كنن " .

تسبيح الجبال وخشوعها

قوله:﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [1] وقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴾[2]

التَّأْوِيبُ التَّرْجِيعُ ، مُشْتَقٌّ مِنَ الْأَوْبِ وَهُوَ الرُّجُوعُ . وَكَذَلِكَ الطَّيْرُ إِذَا سَمِعَتْ تَسْبِيحَهُ تُغَرِّدُ تَغْرِيدًا مِثْلَ تَسْبِيحِهِ وَتِلْكَ كُلُّهَا مُعْجِزَةٌ لَهُ . ويجتهد ابن عاشور في تحديد الزمن الذي حدث فيه تسخير الجبال والطير للنبي داود ، كما يبدو في قوله : وَيَتَعَيَّنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا التَّسْخِيرُ حَاصِلًا لَهُ بَعْدَ أَنْ أُوتِيَ النُّبُوءَةَ كَمَا يَقْتَضِيهِ سِيَاقُ تَعْدَادِهِ فِي عِدَادِ مَا أُوتِيَهُ الْأَنْبِيَاءُ مِنْ دَلَائِلِ الْكَرَامَةِ عَلَى اللَّهِ ، وَلَا يعرف لداوود بَعْدَ أَنْ أُوتِيَ النُّبُوءَةَ مُزَاوَلَةُ صُعُودِ الْجِبَالِ وَلَا الرَّعْيِ فِيهَا ، وَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِ النُّبُوءَةِ رَاعِيًا . ويرجح ابن عاشور جبل (زيف) مكاناً حدثت فيه معجزة التسخير حينما كَانَ يأوي إِلَيْهِ دَاوُود مَعَ أَصْحَابِهِ الْمُلْتَفِّينَ حَوْلَهُ فِي تِلْكَ السِّيَاحَةِ أَيَّامَ خُرُوجِهِ فَارًّا مِنَ الْمَلِكِ شَاوَلَ (طَالُوتَ) حِينَ تَنَكَّرَ لَهُ شَاوَلُ بِوِشَايَةِ بعض حساد دَاوُود ويقف ابن عاشور على الجملة المعترضة (وكنا فاعلين) ليدلل بها على حقيقة تسبيح الجبال والطير ، لِإِزَالَةِ اسْتِبْعَادِ تَسْبِيحِ الْجِبَالِ وَالطَّيْرِ مَعَهُ . وَفِي اجْتِلَابِ فِعْلِ الْكَوْنِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ ذَلِكَ شَأْنٌ ثَابِتٌ لِلَّهِ مِنْ قَبْلُ ، أَيْ وَكُنَّا قَادِرِينَ على ذَلِك.[3]

---

1. الانبياء : 79 .
2. سبأ : 10 .
3. ينظر : ابن عاشور، محمد الطاهر : التحرير والتنوير . ج17 ، ص119 ، 120 .

وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ [1]

يظهر التواصل الدلالي بين الجبال و المخلوقات في سجودها وتسبيحها للخالق عز وجل ، إلا أن الله سبحانه وتعالى قدم لفظة " الجبال " على الطير في تسبيحها ، ولا بد أن يحمل هذا التقديم شحنات دلالية تنبئ عن أهمية الجبال ومكانتها في نفوس البشر بالرغم من كونها أجسام جامدة. فخضوع الجبال لسلطان الله ، وانقيادها لأوامره ، وانضباط حركاتها تنطق بخشوعها واستسلامها المطلق لله في الدنيا والآخرة .

حركة الجبال

قال تعالى : ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾[2] . فرق بعض المفسرين بين مرور السحاب في سياق الحياة الدنيا ، وإثبات معجزة الخالق في آيات الكون ، وتسيير الجبال في سياق يوم القيامة ، وذلك أن مَرَّ السَّحابِ مَصْدَرٌ مُبَيِّنٌ لِنَوْعِ مُرُورِ الْجِبَالِ ، أَيْ مُرُورًا تَنْتَقِلُ بِهِ مِنْ جِهَةٍ إِلَى جِهَةٍ مَعَ أَنَّ الرَّائِيَ يَخَالُهَا ثَابِتَةً فِي مَكَانِهَا كَمَا يَخَالُ نَاظِرُ السَّحَابِ الَّذِي يَعُمُّ الْأُفُقَ أَنَّهُ مُسْتَقِرٌّ وَهُوَ يَنْتَقِلُ مِنْ صوب إِلَى صَوْبٍ وَيُمْطِرُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرَ فَلَا يَشْعُرُ بِهِ النَّاظِرُ إِلَّا وَقَدْ

1. الحج : 18 .
2. النمل : 88 .

غَابَ عَنْهُ . وَبِهَذَا تَعْلَمُ أَنَّ الْمَرَّ غَيْرُ السَّيْرِ الَّذِي فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بارِزَةً ﴾[1]، فَإِنَّ ذَلِكَ فِي وَقْتِ اخْتِلَالِ نِظَامِ الْعَالَمِ الْأَرْضِيِّ .[2]

ليست الجبال أجساما ثابتة ، فهي تتحرك وتدور مع دوران الأرض ، وفي دلالة هذه الآية الكريمة ما يثير انتباه المتلقي ، ويجعله يطرح على نفسه سؤالاً كيف تكون الجبال ثابتة على الرغم من حركتها ؟؟ ، وكأن الآية الكريمة تقدم لنا صورة خيالية ، تنبض بالحركة ، فالجبال أجسام تتحرك بحركة الأرض ، رغم ثباتها ورسوخها . والمضامين العلمية التي تتضمنها الآيات الكريمة تخلو من أي تناقض ، لا يتوافق مع معطيات العلم الحديث ، والذي سمح لنا بفهم بعض الآيات القرآنية " [3] .

فهم المفسرون منذ مئات السنين الآية الكريمة على أنها تتحدث عن حركة الجبال يوم القيامة ، لأنّها وردت في سياق آيات ورد قبلَها قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللهُ وَ كُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِي ﴾ [4].

وهذا الفهم صحيح ، لأن الجبال بالفعل ستتحرك ، وتسير ثم تنسف وتسوى بالأرض. وحديثاً فهم علماؤنا هذه الآية على أنها تتحدث عن دوران الأرض حول نفسها ، وهذا فهم صحيح لأن الأرض بالفعل تتحرك مع كل ما تحمله من جبال وبحار ومخلوقات ، وفي سياق قوله

---

1. الكهف : 47 .
2. ابن عاشور، محمد الطاهر : التحرير والتنوير . ج20، ص50
3. الكحيل ، عبد الدائم : موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم .
http://kaheel7.com/pdetails.php?id=563&ft=
4. النمل : 87 .

تعالى: ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صنع الله الذي أتقن كل شيء ﴾ [1] ، مرجح قوي في جعل الآية مساقة لما هو كائن في الدنيا ، فإن التذكير بنعم الله تعالى ، وبديع صنعه في هذا الكون ، مما يبعث على الإيمان به ، وهو المناسب لذكر الصنع ، وما يدل عليه من إتقان وعلم تام ، فالله لا يهتم بالصنعة لو أن هذه الآية تدل على يوم القيامة ، وكذلك الفعل " تحسبها " يناسب ما هو في الدنيا ، فالكلام هنا مبنيٌّ على الظن { تَحْسَبُهَا جَامِدَةً } ، وليس في القيامة ظن ؛ لأنها إذا قامتْ أحداثها مُتيقنةٌ ، ولهذا ختمت الآية بقوله تعالى : " إنه خبير بما تفعلون" ، فالمقام والسياق في الدلالة على هذا المعنى ، أي معنى العلم التام ، والقدرة البالغة ، التي من آثارها هذا الصنع المتقن المحكم ، ولو كانت الآية تتحدث عن زوال الدنيا وقيام الساعة لما ذكر الصنع والإتقان "[2].

تشبيه الشيء القوي الضخم بالسحاب الخفيف المتطاير مثير للخيال ، وموجه لقدرة الله تعالى على الخلق والإبداع ، واستخدام كلمة (تمر) دون غيرها يدل على الحركة المستمرة ، " فحركة الجبال ليست حركة ذاتية بنفسها ، بل هي حركة اندفاعية بسبب تيارات حرارية تسببها الطبقة التي تليها من الأرض ، وكذلك حركة الغيوم أيضاً هي حركة ليست ذاتية إنما حركة اندفاعية بسبب التيارات الهوائية والرياح "[3]. وتتحقق الثنائيات الضدية في لفظي " الجمود والمرور" معنى قدرة الله وعلمه بأدق تفاصيل خلقه ، و البنية الحركية في النصّ ، تقوم بدور حيويّ فاعل في إنتاج دلالات مطلقة . فالثنائيات المذكورة تصوّر حالات من المفارقة

---

1. النمل : 88 .
2 . انظر : الشعراوي ، متولي : موسوعة تفسيرالقرأن. http://www.al-eman.com
3. الكحيل ، عبد الدائم : موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم. http://www.kaheel7.com

بين الثبات والديمومة من جهة أولى ، والسرعة والمرور من جهة ثانية . فالفظتان متناقضتان في الدلالة ، إلاّ أنهما مجتمعتان في الوظيفة . إذ إن " قيمة التضاد الأسلوبية تكمن في نظام العلاقات ، الذي يقيمه بين العنصرين المتقابلين وعلى هذا فلن يكون له أيّ تأثير ما لم يتداعَ في توال لغويّ ، وبعبارة أخرى : فإنّ عمليات التضاد الأسلوبية تخلق بنية ، مثلها في ذلك مثل بقية التقابلات المثمرة في اللغة "[1]

صفات الجبال وألوانها

يقدم لنا القرآن الكريم صورة بصرية عمادها اللون ، فيقول سبحانه وتعالى :﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ۚ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ (2) ، فقوله سبحانه وتعالى يوقظ أبصارنا ، ويغير مزاجنا وأحاسيسنا ، بالإشارة إلى الألوان المختلفة للثمار والجبال ، وكأننا أمام مقارنة بين نوعيين ، متحرران من التناسب المنطقي ، إلا أن لهما معان دلالية ، هدفها ادراك الصور الحسية لاستثارة الأحاسيس واستنهاض الوجدان .

و المتدبر للمعاني اللطيفة في الآية الشريفة يرى توازن الألوان في نعوت أنواع الجبال المختلفة ودقة تدرجها ، فتبدأ بالبيض و تنتهي بالسود ، ويتوسط هذه وتلك حمر متدرجة الألوان "[3] ، و كأن الآيات الكريمة تضعنا أمام إطار واحد جمع رسامها غير لون في لوحته

---

(1) فضل ، صلاح: علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته . ص 256

2. فاطر : 27 .

3.الجميلي ، السيد : الإعجاز العلمي في القرآن . ط 2، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر والتوزيع ودار الوسام للطباعة والنشر –بيروت – لبنان ، 1992م ، ص 29 .

، تدرجت في ألوانها لضمان التناسق والتناغم ، وهذه لفتة كونية عجيبة إلى ألوان الجبال والصخور وتنوعها داخل اللون الواحد من بيض مختلفة البياض ، وحمر مختلفة في حمرتها ، وسود شديدة السواد ، توقظ حاسة الذوق الجمالي العالي بما يستحق النظر،" فالتصوير القرآني حين ينتهي من تناسق الألوان والأجزاء في الصورة أو المشهد ، وحين يطلق حولها الموسيقى المكملة للجو : لا ينتهي عند هذه الآفاق في تناسق الإخراج . إن هذه خطوة وراء هذا كله ، ضرورية للتناسق ، وضرورية لتأثير المشهد ، وللكمال الفني فيه . تلك هي المدة المقررة لبقاء المشهد معروضاً على الأنظار في الخيال . والتناسق القرآني يلحظ هذا ويؤديه أرفع أداء "[1] .

وفي الآيات الكريمة نكتشف الدور المحوري في ألوان الثمرات ، وله دور أيضاً في ألوان الجبال ، فالماء من أكثر السوائل مقدرة على الإذابة ، وأكثرها مقدرة على النقل ، وأفضل العوامل المساعدة في تحويل الصخور من نارية أو رسوبية إلى متحولة ، فالماء يقوم بتغيير ألوان الصخور عن طريق تدخله في عمليات الترسيب "[2] ، فتعدد ألوان الجبال يرجع إلى نوعية تركيب المعادن في صخورها ، ويكون الماء السبب الرئيس في اختلاف نوعية صخور الجبال ، وبالتالي يكون له الأثر الأوفر في تغير ألوان الجبال .

---

1. قطب ، سيد : التصوير الفني في القرآن ، ص 104 .

2.العبيدي ، خالد فائق : الأرض .ومضات اعجازية من القرآن والسنة النبوي ، ص 27 .

المبحث الثاني

نسف الجبال

اختار القرآن الكريم في حديثه عن الأحداث الكونية رموزاً عظيمة ، ومثالاً للثبات والقوة فوردت إشارات قرآنية في أكثر من عشر آيات ، تظهر مصير الجبال الراسية يوم الحساب ، وما سيحل بها من تسيير ، ونسف ، وهدم ، ودمار ، فينتهي أمر الجبال بكل ما فيها من متاع إلى زوال يوم القيامة ، وسنلاحظ أسلوب القرآن الكريم في استخدام ألفاظاً صريحة لا تحتمل التأويل في هذا السياق ؛ حيث ذكر أن الجبال في آخر مألها تسير سيراً ، وتُنسف نسفًا، وتُدَك دكًّا. وسندرس هذه الآيات دراسة أسلوبية بنيوية ؛ لنستدل على آليات الدقة اللغوية والدلالية ، وكمال المعنى في احكامها وصياغتها قال تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴾ [1] ، ومن معاني لفظة " النسف" القلع ، وانتساف الريح الشيء كأنها تسلبه ، ونقول انتسف البناء : استأصلته ، وأنسفت الرّيح إنسافاً وأسافت التّراب والحصي ، والنسف : نقر الطائر بمنقاره ، وقد أنسف الطائر الشيء عن وجه الأرض بمخلبه ونسفه" [2].

ويَنْسِفُ الجبال يجعلها كالرمل ، ثم يرسل عليها الرياح فتفرّقها كما يذرى الطعام فَيَذَرُها ، أى فيذر مقارّها ومراكزها . ويدلل الزمخشري على قدرة الله في نسف الجبال ، ودقة تسوية الجبال

---

1. طه : 107 .
2. لسان العرب : مادة " نسف " .

بالأرض بوساطة بلاغة النفي في قوله تعالى : (لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا) ، إذ إن نفي الاعوجاج عنها على أبلغ ما يكون ، وذلك أنك لو عمدت إلى قطعة أرض فسوّيتها وبالغت في التسوية على عينك وعيون البصراء من الفلاحة ، واتفقتم على أنه لم يبق فيها اعوجاج قط ، ثم استطلعت رأى المهندس فيها وأمرته أن يعرض استواءها على المقاييس الهندسية ، لعثر فيها على عوج في غير موضع ، لا يدرك ذلك بحاسة البصر ولكن بالقياس الهندسي ، فنفى الله عزّ وعلا ذلك العوج الذي دقّ ولطف عن الإدراك ، اللهمّ إلا بالقياس الذي يعرفه صاحب التقدير والهندسة ، وذلك الاعوجاج لما لم يدرك إلا بالقياس دون الإحساس[1].

يرسم التعبير القرآني تصويراً حسياً دقيقاً يظهر قدرة الله سبحانه وتعالى في تدمير الكون استعداداً لاستقبال مرحلة جديدة من الحياة ، ففي قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ * وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ*وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ [2] . تتكامل المشاهد ، وتتلاحق الصور مع الآيات السابقة واللاحقة لها " يوم تطمس النجوم فيذهب نورها ، وتفرج السماء أي تشق ، وتنسف الجبال فهي هباءً. فتتفتت فتاً ، ثم تصبحت هباءً منبثاً كرهج الغبار يسطع ، ثم يذهب فلا يبقى منه شيئاً .[3] ، تظهر دقة اختيار اللفظة بما تحمله من شحنات دلالية تجسد المعنى ، وتصوره أمام أعيننا ، وكأننا نرى الجبال وهي تقتلع وتنسف من أماكنها بقوة الريح ، وتظهر أواصر القربى بين معاني الألفاظ الأولى التي وردت في الآيات السابقة مثل :

---

1. الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد : الكشاف . ج3 ، ص88 .
2. المرسلات:8-10 .
3. ينظر : أبي الفداء ،عماد الدين:مختصر تفسير ابن كثير. ط1،دار البيان الحديثة،القاهرة،2003م ،ج3،ص266

" طُمِسَتْ " والتي تحمل معنى : إزالة الأثر بالمحو " [1] ، ولفظة " فُرِجَتْ" تفيد الانشقاق "[2] ، ونلحظ اتفاق دلالة الألفاظ الثلاثة في مظاهر يوم القيامة ، وكأن دلالة السياق تتكامل فيها الصورة والمعاني ؛ لتعبر في النهاية عن زوال الأثر واختفائه .

ونبرر غياب البديل المناظر للفظة " نُسِفَتْ " فلو استخدم سبحانه وتعالى لفظة " هُدِمَت " لما كان لها الأثر نفسه في قوتها ؛ لأن دلالة " النسف " بخلاف دلالة الهدم " فالهدم " : التحويل إلى ركام ، والقرآن الكريم يستخدم الكلمة دون غيرها من الكلمات المناظرة لحكمة بيانية معجزة ، وقد وردت مشاهد هذا الإنقلاب الكوني مرتبة ، وفي ترتيبها دلالة تظهر التتابع الزمني ، فالأحداث مرتبة زمنياً ، ونشاهد صور شتى توحي كلها بانفراط عقد هذا الكون المنظور، انفراطاً مصحوباً بقرقعة ودوي وانفجارات هائلة ، لا عهد للناس بها فيما يرونه من الأحداث الصغيرة ، كالزلازل والبراكين وليس هذا سوى مثل للتقريب ، فالهول الذي ينشأ أقوى من التصور البشري "[3] ، ونلحظ في الآيات السابقة ورود الأفعال بصيغة الفعل الماضي المبني للمجهول " طُمِسَتْ ، فُرِجَتْ ، نُسِفَتْ" إشارة إلى تحقق وقوع الفعل ، وتحمل شحنات نفسية تمنح المتلقي فضاء تخيلياً ، يعمل على تجسيد المعنى ، فالأحداث المعروضة بشكل تصويري متحرك ، يسرح معها الخيال في منظر النجوم اللامعة وهي تطمس ، ومنظر السماء الخالية من الفتوق والشقوق وهي تتشقق ، ومنظر الجبال الراسية الثابتة وهي تنسف وتتطاير

1. الأصفهاني ، الراغب : مفردات ألفاظ القرآن . ص 524 .
2. المرجع نفسه : ص 628 .
3. قطب ، سيد : في ظلال القرآن.ج28 ، ص412.

أجزاؤها ، وهذه الصور والمشاهد حافلة بالحركة التي جاءت بعد سكون واستقرار دام ملايين السنين .

وفي قوله سبحانه وتعالى :﴿ ويسأَلُونَك عنِ الْجِبالِ فَقُلْ ينْسفُها ربي نَسفًا * فَيذَرها قَاعا صفْصفًا * لَا تَرَي فيها عوجا ولَا أمتاً ﴾ [1]. " ذكر سبحانه وتعالى نسف الجبال بلغة التأكيد ، جواباً لسؤال طرح على الرسول الكريم ، فقدرة الله في نسف الجبال وإزالة أي أثر لها ، وصف بديع يظهر الأرض مستوية ، وينفي عنها أي اعوجاج ، فتظهر عظمة وقدرة الله سبحانه وتعالى بنسفه للجبال من أماكن ثباتها ، فالجبال الراسية الراسخة تنسف وتفتت ذراتها ، وجاء فعل النسف بصيغة المضارع إيحاءً بالتجدد والاستمرار ، وتأكيداً للمعنى وترسيخه ؛ لنشعر أنه لا مفر من قدوم هذا اليوم عاجلاً أم آجلاً ، وتشير كلمة النسف إلى معاني الانتشار وقد تكرر المعنى إشارة وتأكيداً إلى معنى الانتشار ، ففي البيان الالهي طريقة مبهرة في التعبير بالتصوير ، وكأننا أمام شاشة عرض ثلاثية الأبعاد ، نرى أنفسنا في قلب الحدث الذي سيكون وكأنه شاخص حاضر نعيش تفاصيله ، فنخاف ونضطرب . ويبدأ خيال المتلقي المتدبر للآيات الكريمة بعرض الصور المشحونة بدلالات صوتية وحركية ، مصحوبة بضجيج عنيف . فالجبال الراسية الراسخة التي من طبعها الاستقرار والثبات تنسف وتتطاير أجزاؤها.

1. طه : 105-107 .

إلى جانب ذلك نلحظ أثر تكرار لفظة " ينسفها ، نسفا " ونلحظ أن التكرار هنا ولّد جرساً موسيقياً ، وخلق إثارة لدى المتلقّي ، وأدّى أيضاً إلى ازدياد حدّة التوتُّر والخوف من عظمة تلك اللحظات . وهنا يضع القرآن الكريم المتلقي في حالة تأهب وخوف .

الجبال السراب

تتحدث آيات كثيرة عن تسيير الجبال كالسراب ، وعن بسها ونسفها ودكها . ووردت هذه الآيات في السياق الدلالي الذي يصف مشاهد يوم القيامة ، وما يحدث من صور تسيير الجبال وهدمها وتفتيتها ، وبروز الأرض ، وحشر الناس للحساب جميعاً بعد خروجهم أحياء من قبورهم ، فالتصوير القرآني لمشاهد يوم القيامة ، وما يحدث للجبال من هدم وتفتيت مترابط مع السياق ومعبر عنه.

قال تعالى : ﴿ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾[1] ، أي أن الجبال الرواسي ، الأوتاد ، سيرت فكانت سرابا ، فهي لا وجود لها ، كالسراب الذي ليس له حقيقة ، إنه الهول البادي في انقلاب الكون المنظور ، كالهول البادي في الحشر بعد النفخ في الصور . وهذا هو يوم الفصل المقدر بحكمة وتدبير"[2] ، ويحتمل معنى كانَتْ سَراباً أي فصارت بعد تسييرها مثل

1. النبأ : 20 .
2. قطب ، سيد: في ظلال القرآن.ج28،ص433.

سراب فترى بعد تفتتها وارتفاعها في الهواء كأنها جبال وليست بجبال ، بل غبار غليظ متراكم يرى من بعيد كأنه جبل كالسراب.[1]

أصبح يخيل إلى الناظر أن تسيير الجبال أي : نسفها وقلعها من أماكنها ، حتى أنها شيء وليست بشيء ، كالسراب يظنه من يراه ماءً وهو في الحقيقة هباءً " [2] ، فيرسم لنا القرآن الكريم صوراً تشير إلى زوال الجبال عن مواضعها ، وتحولها إلى سراب خادع ، ويشير تسيير الجبال إلى ظهور صورة مشحونة بالحركة ، وجاء في السياق صيغة الفعل الماضي المبني للمجهول "سُيِّرَتِ" تأكيداً على تحقق الحدث يوم القيامة . وهذه اللوحة من مشاهد ليوم القيامة ، فلا نعلم حقيقة تسيير الجبال ، ولا كيف يكون ، وفي هذا المشهد خفايا غيبية ، تقوم ثنائية التضاد بين (الجبال ، والسراب) بدور حيوي فاعل ، وكأن السراب يلغي وجود الجبال ويرفضها . وتقوم ثنائية التضاد هنا ببناء مفارقة تصويرية ضخمة ، طرفها الأول الجبال ، بكل ما ترمز إليه من معاني الثبات والصلابة والقسوة ، وطرفها الثاني السراب ، بكل ما يرمز إليه من معاني الوهم والخداع ، فمنطق المفارقة والتناقض بين اللفظتين هو الذي وضع طرفي المفارقة في لوحة واحدة .

وردت مادة "سَيّرَ " في سياق أهوال يوم القيامة ، وما يلحق بالنفس الإنسانية من خوف وجزع ، فقد جاء في قوله تعالى : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَت * وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَت * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ * وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾[3] ، يزخر المشهد

---

1. الآلوسي ، شهاب الدين : روح المعاني . ج15 ، ص213
2. الصابوني ، محمد علي : صفوة التفاسير . ج 3 ، ص 484 .
3. التكوير : 1-6 .

بالحركة العنيفة ، وما يلحقها من مشاعر خوف وفزع ، فتردد الفعل المبنى للمجهول في الآيات السابقة " كُوِّرَت ، سُيِّرَتْ ، عُطِّلَتْ ، حُشِرَتْ، سُجِّرَتْ " وكان تردده في سياق ذكر أهوال يوم القيامة دلالة خاصة تنبئ عن خفايا المشهد وعظمته ، فجاءت الأفعال مبنية للمجهول لتصور المشهد في ذروة الحركة وعنفها.

تسيير الجبال

قال تعالى :﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾[1]. فتسيير الجبال يقدم صورة مشحونة بالحركة ، " يوم نزيل الجبال من أماكنها ونسيرها كما نسير السحاب فنجعلها هباء منبثا " وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً " أي : ظاهرة بلا جبل ولا تل ولا رمل ، وكل ما ظهر بعد خفاء فقد برز " [2] ، وقيل معنى بارزة ، أي : وترى الأرض ظاهرة للعيان ليس عليها ما يسترها من جبل ، ولا شجر ، ولا بنيان فقد قلعت جبالها ، وهدم بنيانها فهي بارزة ظاهرة "[3] ، فلا جبال فيها ، ولا سهول ، ولا أنهار ،" البراز : الفضاء "[4] والأرض بارزة ،أي : ظاهرة تبدو للعيان ظاهرة لا شيء عليها ولا حجر فيها ولا يسترها شيء "[5] ، فحدث تسيير الجبال ينسجم إنسجاماً واضحاً في دلالته اللغوية مع ما تحمله لفظة "

---

1. الكهف : 47 .
2. لسان العرب : مادة " برز " .
3. الصابوني ، محمد علي:صفوة التفاسير.ج2،ص178
4. الأصفهاني ، الراغب : مفردات ألفاظ القرآن الكريم . ص 118 .
5. هاشم ، نائلة صبري : المبصر لنور القرآن . ط1 ، مج5 ص213 .

بَارِزَةً " من شحنات دلالية تتوافق في معناها مع تسيير الجبال فكل منهما يؤكد الآخر في الازالة .

فتكون الأرض سطحاً مستوياً ، بادية ظاهرة ، ليس فيها معلم لأحد ، ولا مكان يواري أحداً ، فهي مكشوفة لا يسترها ساتر ، فلا جبال عليها ، و الخلق كلهم ظاهرون لربهم لا تخفى عليه منهم خافية ، وفي ملازمة اللفظة " بَارِزَةً " لسياق حال ظهور الناس جميعاً حفاة عراة ، يعطي قيمة دلالية تتمثل بأمرين ، الأول : ظهور الناس كما خلقوا أول مرة . و الثاني زوال كل ما يوجد على سطح الأرض وتسويته ؛ ليظهر الناس بشكل واضح لا فاصل ولا حجاب بينهم .فظهور الناس على هيأتهم الأولى ، وزوال الجبال من أماكنها ، حدثان مهمان مرتبطان بعضهما بعضا على الرغم من التضاد الظاهر في دلالاتهما ، وجاء في السياق الفعل المضارع " نُسَيِّرُ" للدلالة على الاستمرار والتجدد في الحدث ، وجاء الفعل " تَرَى" إشارة إلى استمرارية الرؤية وتجددها . ومن هنا يولّد الفعل المضارع طاقة تعبيرية ، وقدرة تحويلية على تمثيل الواقع ، وإثارة الحدث ، ممَّا يسهم في تكثيف الدلالات الفعلية ، لخلق كمّ هائل من الدلالات والثنائيات الضدية . وتتلاحق الثنائيات الضدية في الآية الكريمة فتظهر في حركة الجبال وتسييرها ، بالرغم من ثباتها وسكونها في الحياة الدنيا ، وعند تأمل الأفعال الواردة في الآية السابقة نرى تنوع في الأزمنة في السياق نفسه ، فالأفعال التالية جاءت بصيغة المضارع كما في : " نُسَيِّرُ ، تَرَى ، نُغَادِرْ " وجميعها تفيد معنى التجدد والاستمرار ، يُثبت أمام أعيننا مشهد حشر الناس لحظة جمعهم ، وسرعة حدوثه.

دك الجبال

رسم الله سبحانه وتعالى المصير الذي قُدر للجبال يوم قيام الساعة ، فاقترن لفظ " الدك " في القرآن الكريم بلفظ الجبال ، ففي قوله تعالى :﴿ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴾[1] ، وقوله:﴿....فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾[2]

تحمل لفظة " الدَكَّ " معنى لغوي يشير إلى الأرض اللينة السهلة ، يقال : أرض دكاء : مسواة وناقة دكاء : لا سنام لها ، تشبيهاً بالأرض الدكاء" [3]، و" الدَكَّ " هدم الجبل والحائط ونحوهما ، وتدل ألفاظ الآية الكريمة في ما تحمله من معان ودلالات على زوال الجبال واختفائها ، ولفظة " الدَك " تعني : الهدم والكسر ، ودك الجبال يعني زلزلتها وهدمها ، والدّكّة : بناء يسطح أعلاه ، والدّكُّ والدَّكّةُ : ما استوى من الرمل وسهل ، ودككت التراب على الميت أدكه إذا هلته عليه ، وقد تَدكدكَت الجبالُ أَي صارت دكَّاوات ، وهي رواب من طين ، واحدتها دكَّاء ، ودككت الشيء إذا ضربته وكسره حتى سويته بالأرض ؛ ومنه قوله عز وجل : "

---

1. الحاقة : 14 .
2. الأعراف : 143 .
3. الأصفهاني ، الراغب : مفردات ألفاظ القرآن . ص 316 .

فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً " [1]. فتدك الجبال كما تُدك الأرض ، ولفظة " الدك " تحمل شحنات دلالية تتفاعل مع مقتضيات سياق أهوال يوم القيامة ، ومصير الجبال في ذلك اليوم ، ومن تفسيرات الآية الكريمة ما يظهر : " رفع الأرض والجبال عن أماكنها ، وضرب بعضها بعضا حتى تندق ، وتتفتت وتصير كثيباً مهيلاً " [2].

وفي كل هذا قدرة عظيمة في رسم صورة حية تنبض بالحياة والحركة ، وكأن الأرض والجبال شيء واحد صغير ، يحمل ويدك بضربة واحدة ، وفي تكرار لفظة " الدك " قيمة دلالية وأبعاد نفسية ، تشعر المتلقي بشدة الأحداث وسرعتها ، وفي هذا اظهار لمدى قوة الله وقدرته في دك الجبال وتسويتها بالأرض ، وكأنها قطعة صغيرة من السكر إن صح التعبير . وتبدأ أحداث الانقلاب الكوني المدمر ، الذي تتحول فيه الصورة من حال إلى حال ، و تتوالي أهوال يوم القيامة في جو مشحون بالحركة .

نفش الجبال

تبدأ مظاهر زوال الجبال بحركتها أولاً ، ثم دكها ، ومن ثم تتلاشى ، بعد نفشها وتطايرها. أشارت الآيات القرآنية أن الجبال ستصبح كالصوف المنفوش بعد أن كانت قاسية ثابتة راسخة في الأرض فيقول سبحانه وتعالى :﴿ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴾[3] ، ومن المعاني اللغوية للفظة " النفش " مدك الصوف حتى يتنفش

---

1. ينظر : لسان العرب ، مادة " دكك".
2. ينظر : الصابوني ، محمد علي : صفوة التفاسير. ج 3 ، ص412 .
3. القارعة : 5 .

بعضه عن بعض ، وعهن منفوش ، وأرنبة منتفشة : أي منبسطة على الوجه "[1] ، ومن هذه الدلالات المعجمية يظهر معنى المد والبسط والتفرق ، وتبدو الجبال التي كانت راسخة ثابتة كالصوف المنفوش تتقاذفه الرياح وتعبث به حتى الأنسام"[2] ، ولا تخفى دلالة الحركة والانتشار في الآية الكريمة ، التي تشبه الناس حينما يبعثون من القبور بالفراش يوم القيامة من حيث الكثرة والانتشار والتطاير إلى الداعي من كل جانب كما يتطاير الفراش إلى النار "[3]، وسمي الفراش فراشاً لتفرشه وانتشاره"[4] ، أما مشهد الحركة والانتشار في الآية الكريمة فيتمثل ، في منظر الناس في كثرتهم وحيرتهم وذهولهم ، وضعفهم ، وانتشارهم مثل الفراش المبثوث المتفرق ، وفي استخدام لفظة الفراش ما يحمل دلالة توحي بالضعف ، كما يظهر مشهد الحركة والانتشار بحركة الجبال ، التي تتحول من حالة الصلابة والرسوخ إلى حالة الليونة والتفرق والانتشار والتمدد ، حتى تصبح كالصوف المنفوش ، فقد شبه الجبال بالعهن ، والعِهْن : أي : الصوف المنتشر المتطاير ، تتفرق أجزاؤها وتتطاير في الجو "[5] ، وبالمنفوش منه لتفرق أجزائها " [6].

---

1. لسان العرب : مادة " نفش " .
2. قطب ، سيد : في ظلال القرآن.مج 2 ، ص646.
3. ينظر : عتيق ، عمر : الأسلوبية الصوتية في الفواصل القرآنية . نشر في مجلة المنارة ، م١٦/ع /٣جامعة آل البيت ، ص 24 ، 26 .
4. تاج الدين أبو المحاسن عبد الباقي بن عبد المجيد بن عبد الله :الترجمان عن غريب القرآن . تح ، موسى بن سلمان بن آل إبراهيم ، ط1 ، مكتبة البيان ، 1998 م ، ص 437 .
5. الصابوني ، محمد علي : صفوة التفاسير . الجزء 3 ، ص 569.
6. ينظر : الزمخشري ، جار الله (ت 538) : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل . ص 1218 .

وتحمل لفظة "منفوش " ثلاث دلالات ؛ الأولى : التمدد ، نقول : نَفَشَ الصوفَ ينْفُشه نَفْشاً إذا مده حتى يتجوف " [1] ، والثانية : التفرق ، فالنَّفْشُ : مدك الصوفَ حتّى ينْتَفشَ بعضهعن بعض ، والثالثة : الانتشار ، فقد نص أَئمةُ الاشْتقَاق أن مادةُ النَّفْش وضعت للنَّشْرِ والانْتشَارِ"[2] ، فتكون الجبال كالصوف المنفوش . فتبدأ الجبال بالذهاب والتمزق مثل الصوف المنفوش الذي قد تخلخلت مكوناته ، فلا يبق للجبال بعد تفتتها وتفرّقها صورة إلا صورة الصوف المنفوش ، فلا تلبث أن تذهب وتتطاير ، ومن ملامح صوت الشين في لفظة " الْمَنفُوشِ " ما يحمل معنى الانتشار ، وفي هذا دلالة حركية . فالجبال في اختلاف ألوانها وتفكّك أجزائها وتطايرها في الجو مثل الصوف المنفوش ،" والصورة هنا تتناسق مع السياق المرتبطة به وفيه الفراش المبثوث ، فاقتضى ذلك وصف العهن بالمنفوش ، أما صورة العهن بدون وصف فتتناسق مع صورة المهل " [3].

وتتنامى الحركة الضدية عبر شبكة من الثنائيات الضدية ، بين (الجبال ، والعهن) تتضح في البنية اللّغويّة للفظتين ، فتظهر في علاقة القوة والضعف ، قوة الجبال وعظمتها وضعف الصوف المنفوش ، إلى جانب الجمع بين هاتين اللفظتين ، ومشاركتهما لبعضهما بعضا في صفتي اللون ، والانتشار ، فالجبال في لحظة معينة تتطاير أجزاؤها كما يتطاير الصوف الخفيف ، إلى جانب ما تحمل اللفظتان من دلالات لغوية تشير إلى الألوان المختلفة للصوف

1. لسان العرب : مادة " نفش " .
2. تاج العروس : مادة " نفش " .
3. الراغب ، عبد السلام أحمد: وظيفة الصورة الفنية في القرآن . ص101 .

المنفوش ، والجبال المختلفة الألوان . فذكر سبحانه وتعالى في قوله : ﴿ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ [1].

بس الجبال

تظهر قدرة الله سبحانه وتعالى في حركة الجبال الراسخة ، بقوله سبحانه وتعالى :﴿ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا* فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا ﴾[2] ، ومعنى كلمة بست أي : فتت فتاً فصارت كالدقيق المبسوس ، فزَوَال الْجِبَال عَنْ أَمَاكِنِهَا يَوْم الْقِيَامَة وَذَهَابهَا وَتَسْيِيرهَا وَنَسْفهَا ، أَيْ : قَلْعهَا من مظاهر وصور أهوال يوم القيامة . و كلمة " بست" ، وهي من بس السويق والدقيق وغيرها ، أي : خلطه بالسمن أو الزيت ،" وبست الجبال بساً " ، فصارت كالدقيق المبسوس وجاء المصدر " بَسًّا " ليؤكد فعل " البس " . فالمشاهد التصويرية في ما ستؤول إليه الجبال يوم القيامة ، رغم ثباتها واستقرارها وعظمتها ، فسيذهب الله بثباتها ورسوخها وتماسكها واستقرارها ، وبَثَّ الشيءَ بَثّاً ، وأَبَثَّه ، فانْبَثَّ : فَرَّقه فتَفَرَّقَ ، ونَشَره "[3] ، والهَبَاءُ : ما تطاير في البيت وتراه في ضوء الشَّمس شبيهًا بالدُّخان ، ويُضرب به المثل لما لا يُعتدّ به ، وغبار ، تراب تطيّره الرّيحُ ، ويلزق بالأشياء ، والهَبَاءُ : الشيء المنبثُّ تراه في البيت من ضوء الشَّمس شبيهاً بالغبار ، وقوله : " هَبَاءً مُّنبَثًّا " فمعناه أن الجبال صارت غباراً ، ومثله : "

1. فاطر : 27 .
2. الواقعة : 5-6 .
3. لسان العرب : مادة " بثث " .

وسيرت الجبال فكانت سرابا " وقيل : الهباء المنبث ما تثيره الخيل بحوافرها من دقائق الغبار ، والهابي من التراب : ما ارتفع ودقَّ "[1] ، فتظهر مظاهر قدرته سبحانه و تعالى في ما تحمله هذه الآيات جميعاً من قوة تنبيء عن حال الجبال يوم القيامة فتصبح مفتتة كالرمل ، أو كالصوف ، وبالتالي سوف تتطاير بفعل أي ريح ، أو حتى نسيم خفيف ،" و صورة الهباء أضعف من العهن المنفوش " [2]. فتحول الجبال من الحالة الصلبة إلى السائلة شيء عجيب معجز لا يقدر عليه أحد إلا الله .

وجاء تكرار لفظة " البس " في سياق الحديث عن قدرة الله سبحانه وتعالى ، و إثارة المتلقّي وتوجيه ذهنه نحو الصورة المستحضرة – صورة الدقيق المبسوس – إلى جانب تأكيد المعنى في الحالة التي ستؤول إليها الجبال ، وهناك إنسجام موسيقي نتج من أصوات اللفظتين ينبئ بحدث البس ، وتكرار اللفظتين جاء موظَّفاً لغاية بيانية جمالية ، فالقارىء من خلال لفظة " بست "" استحضر صورة واقعية لحال الجبال في الحاضر ، وحالها لحظة بسها ومن هنا جاء التكرار مُحَمَّلاً بطاقة دلالية وإيقاعية معاً.

الجبال كثيب مهيل

1. لسان العرب : مادة " هبا " .
2. الراغب ، عبد السلام أحمد : وظيفة الصورة الفنية في القرآن . ص 101 .

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴾[1].

في هذه الآية أهوال متتابعة يعرضها سياق السورة في جو مشحون بالحركة والتوتر ، ومن هذه الأهوال هول الموقف الذي يتجلى في مشاهد الكون ، وفي أغوار النفوس حيث تصبح الجبال يوم القيامة كالرمل المهيل [2*] ، وهذه أولى صور الهدم والتفتيت ، وتفيد الدلالات المعجمية للفظة " الكثيب " : الرمل ، والمهيل : الذي يحرك أسفله فينهال عليه من أعلاه وقال ابو حنيفة : المهل بقية جمر في الرماد تبينه إذا حركته [3] ، وتصبح الجبال على صلابتها تلاً من الرمل سائلاً متناثراً "[4]، و تهتز الأرض وترتجف ، ويتبع حركة اهتزازها اهتزاز الجبال ؛ بفضل ارتباطهما معاً ، والجبال الصلبة القاسية تتحول إلى كثبان من الرمل الناعم ، بعد أن كانت أحجاراً صلبة كبيرة متراصة .

وفي السياق العام للسورة ، " لم يرد ذكر لوصف القيامة سوى رجفة الأرض والجبال ، وجوّ السورة يوحي بالثقل والتأني ، فجاء تصوير الجبال بالكثيب المهيل للإيحاء بقوة الرجفة للأرض ، المؤثّرة في الجبال الثابتة ، فتصبح رمالاً متحركة ، ويمكن اعتبار هذه الصورة ، هي المرحلة الأولى لزوال الجبال يوم القيامة "[5] .

عند تشريح النص بنيوياً ، تظهر الثنائيات الضدية في لفظتي " الْجِبَالُ و كَثِيبًا " فتشكل مناخاً متكاملاً متفاعلاً ، يسهم التضاد فيها إلى الربط بين المتناقضات " فالجبال تمثّل رمزاً للصلابة

---

1. المزمل : 14 .
2*. الرمل المهيل : هو الذي إذا أخذت منه شيئا تبعك ما بعده .
3 . لسان العرب : مادة " مهل ".
4. الصابوني ، محمد علي ، صفوة التفاسير . جزء 3 ، ص 443.
5. الراغب ، عبد السلام أحمد: وظيفة الصورة الفنية في القرآن . ص102 .

والقساوة والتماسك ، والرمال تمثل رمزاً للتفكك والنعومة . وهذا التضاد ولّد تفاعلاً خاصاً ، و اختصر مجموعة كبيرة من الدلالات التي تظهر قوة الله وقدرته ، فرجة الأرض الأولى تكون سبباً في جعل الجبال كثيباً مهيلاً " تتبعها صورة العهن الضعيفة الملونة ، ثم تتبعها صور تناثرها كالهباء في الهواء ، حتى تصبح في النهاية سراباً لا وجود لها ، فهي صور متدرّجة ، ترسم مراحل زوال الجبال بدقة وعناية . من خلال السياق الذي يقتضيها ، حتى تكوّن في النهاية صورة متكاملة لها " [1] ، ونهض الفعل " تَرْجُفُ " بمقتضيات سياق الخوف والفزع ، و حمل دلالات تشعرنا بالحركات المتتالية والأحداث المتتابعة ، واللحظات المتجدِّدة ، ولّدت فاعلية حركية قوية .

نتق الجبال

ترد في القرآن الكريم ألفاظ تلازم سياقاً دلالياً معيناً دون غيره من السياقات ، وينتج عن هذا التلازم تفاعل دلالي بين الألفاظ الملازمة للسياق الذي وردت فيه ، ويظهر في قوله تعالى : ﴿ وَإِذ ْنَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[2].

من المعاني اللغوية للفعل " نتق " الزعزعة والهز والجذب ، وفي التنزيل : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ ﴾ أي : زعزعناه ورفعناه ، وقيل فرس ناتق إذا كان ينفض راكبه ، ومنها نتقت الشيء

1. الراغب ، عبد السلام أحمد: وظيفة الصورة الفنية في القرآن ، ص102 .
2. الأعراف : 171 .

إذا حركته حتى يسفك ما فيه " [1] ، و" نتقا " تعني : نزعنا الجبل من مكان إرسائه حتى نرفعه ، وقد رفعه الله ليجعل منه ظلة عليهم ، أي أن هناكَ ثلاث عمليات : نتق أي نزع ، وخلع ، ثم رفع ، ثم جعله سبحانه ظلة لهم ، وهذا يحتاج إلى اتجاه في المرفوع إلى جهة ما. لأن الجبل راسٍ في الأرض ، وممسوك كالوتد ؛ لذلك يحتاج قبل أن يرفع إلى عملية نزع واقتلاع من الأرض ، ثم يأتي من بعد ذلك الرفع .

والحق يقول : " وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ " أي : اذكر إذ نتقنا الجبل ، أي نزعناه وخلعناه من الأرض ، ولا ننزعه ونخلعه من الأرض إلا لمهمة أخرى أي نجعله ظلة ، وكان تظليل الغمام رحمة لهم من قبل ، وصار الجبل ظلة " عذاب" .[2]

واختيار لفظة " نتق " دون غيرها من البدائل يعدّ منبهاً أسلوبياً ، يتوائم مع سياق العذاب والخوف والفزع ، واستبعاد أقرب النظائر للفعل "نتق " ، وبخاصة الفعل " رفع " الذي يحمل معاني الرفع ، والرفعة من حيث التشريف ، وفيه إعلاء مكانة ، وشرف المنزلة "[3] ، على خلاف ما يحمل الفعل " نَتَقْنَا " من دلالات سلبية تتمثل في النزع والإزالة والخلع .

ونخلص مما تقدم أن ملازمة اللفظة للسياق دون غيرها من الألفاظ ، يظهر الدقة اللغوية التي تميز فيها القرآن الكريم عن باقي الكتب السماوية ، فالألفاظ المستخدمة لأحوال الجبال ، وما ستؤول إليه يوم القيامة تنتج طاقة دلالية ، تشي بالعلاقة الواضحة بين أحوال الجبال ،

---

1. لسان العرب : مادة " نتق ".

1. الشعراوي ، متولي : خواطر متولي الشعراوي .http://www.alro7.net/ayaq.php
3. ينظر : الأصفهاني ، الراغب : مفردات القرآن الكريم . ص 361 .

والدلالات اللغوية للألفاظ المستخدمة للتعبير عن هول وعظمة ذلك اليوم مثل : الدك ، والنّسف ، والبس ، والنتق " ، وهكذا تتكشف للناظر في القرآن آفاق وراء آفاق ، من التناسق والاتساق : فمن نظم فصيح . إلى سرد عذب . إلى معنى مترابط . إلى نسق متسلسل . إلى لفظ معبر . إلى تعبير مصور . إلى تصوير مشخص . إلى تخييل مجسم . إلى موسيقى منغمة . إلى اتساق في الأجزاء . إلى تناسق في الإطار . إلى توافق في الموسيقى إلى تفنن في الإخراج ...، وبهذا كله يتم الإبداع ، ويتحقق الإعجاز "[1].

1. قطب ، سيد : التصوير الفني في القرآن . ص115 .

الخاتمة

عُنيت الدراسة برصد أبرز الظواهر الأسلوبية البنيوية في القرآن الكريم ، من خلال تأمل الظواهر الكونية الكبرى للسماء والأرض والجبال في مشهدي الحياة الدنيا ويوم القيامة . ويُفضي تأمل الثنائيات الضدية للظواهر الكونية الثلاث إلى مضاعفة يقظة المتلقي للتشكيل اللغوي الذي يجسد جانباً من الإعجاز اللغوي والبلاغي في القرآن الكريم . وتُضمر الثنائيات دعوة للتأمل والتدبر والتفكر بخلق الله جل وعلا ، وتؤكد أن حياة الإنسان مرهونة بالتحولات الدلالية للظواهر الكونية الثلاث وفق نظام بنيوي مرتبط بتدبير رباني .

توصلت الباحثة إلى النتائج الآتية:

أولا : تؤكد الدراسة أن الثقافات الإنسانية المؤسسة على الفكر الأسطوري تتصف بالقصور في تفسير خلق الكون وتكوينه ، وفنائه في مشهد يوم القيامة .

ثانياً : تنبه الدراسة إلى أن كثيراً من النصوص التوراتية في قضية خلق السموات والأرض والجبال ، هي نتاج اقتباسات مبعثرة من أساطير وخرافات قديمة ، و إنعكاسات لأساطير الأولين.

ثالثاً : تسهم الدراسة في الكشف عن جماليات النص القرآني وفق نسق أسلوبي بنيوي في تحول مشهد السموات والأرض والجبال في الحياة الدنيا ويوم القيامة.

رابعاً : تشكل الدراسة منبهاً ذهنياً من خلال ثنائية الاستقرار والثبات لمظاهر الكون في الحياة الدنيا ، وسياق الاضطراب والتغير في مشاهد يوم القيامة.

خامساً : تعزز الدراسة التوافق الدلالي بين البنية المعجمية ، والنظريات العلمية في سياق تصوير السماء والأرض والجبال وفق المنظور الأسلوبي البنيوي.

سادساً : تحفز ظاهرة الثنائيات في النص القرآني المتلقي لإدراك الأسرار النفسية والفنية والفكرية التي يختزلها النص القرآني .

سابعاً : ترجح الدراسة أن المنهج الأسلوبي البنيوي هو أنسب المناهج في تحقيق مقاربة بين التفسير اللغوي والتفسير العلمي للقرآن الكريم .

التوصيات

1- **الاهتمام بتدبر آيات القرآن الكريم وفق منهج علمي يمنح المتلقي مهارات الربط بين البنية المعجمية ، والنظريات العلمية .**
2- **توجيه عناية الطلبة والباحثين إلى دراسة القرآن الكريم دراسة أسلوبية بنيوية .**
3- **تحذر الدراسة من بعض الروايات المؤسسة على الأساطير التي ترد في بعض كتب تفسير القرآن الكريم.**

4- تدعو الدراسة وزارة التربية والتعليم إلى إثراء المناهج الدراسية ، وخاصة كتب التربية الإسلامية برؤى فكرية مؤسسة على نسق أسلوبي بنيوي ؛ لإثراء فهم الطالب لمنظومة الكون.

5- تدعو الدراسة إلى تطهير الخطاب الثقافي من رواسب الأساطير المقحمة في تعليل خلق السماء والأرض والجبال .

اقتصرت في هذه الدراسة على ما اقتضاه المقام ، رغم أن النفس في شوق للتوسع . أسأل الله أن يكرمني باستكمال ما بدأت .

مسرد الآيات القُرآنية الكريمة

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
﴿ هذه نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾	الأعراف	73	19
﴿ فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ﴾	البقرة	55	19
﴿ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾	الأنعام	25	34
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾	النحل	24	34
﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾	القلم	15	34
﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾	الفرقان	5	34
﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾	فصلت	25	36
﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾	فصلت	53	71
﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ لَآياتٍ لِأُولِي الألباب﴾	آل عمران	190	72

﴿ وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ﴾	البقرة	22	73
﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ﴾	الأنبياء	32	74
﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ ﴾	المؤمنون	17	74
﴿ الذي خلق سبع سموات طباقا ﴾	الملك	3	74
﴿ وبنينا فوقكم سبعا شدادا ﴾.	النبأ	12	74
﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾.	الأنبياء	30	74
﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾	فصلت	11	74
﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾	الأعراف	185	74
﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾	الأنعام	125	75
﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾	الذاريات	47	83
﴿ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ	النحل	26	83

﴿عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُون﴾			
﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاء سَقْفًا مَّحْفُوظًا ﴾	الأنبياء	32	85
﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴾	الحج	15	86
﴿ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴾	الطور	5	86
﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾	الرعد	2	87
﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴾	المؤمنون	17	88
﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ * ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾	الملك	4-3	90
﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴾	الذاريات	7	91
﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾	ق	6	95
﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴾	الصافات	6	95
﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا	فصلت	12	96

۞ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾			
﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾	الملك	6	96
﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴾	الحجر	16	97
﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُّنِيراً ﴾	الفرقان	61	97
﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾	ق	6	98
﴿ فَلاَ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الجَوَارِ الكُنَّسْ ﴾	التكوير	15- 16	99
﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾	الانشقاق	1	103
﴿ وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴾	الحاقة	16	104
﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا﴾	الفرقان	25	104
﴿ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾.	الرحمن	37	106
﴿ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴾	المرسلات	9	106
﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ * وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ﴾	الانفطار	1-2	107

108	9	الطور	﴿ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴾
109	19	النبأ	﴿ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴾
110	11	التكوير	﴿ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾
111	104	الأنبياء	﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾
115	11	الأنعام	﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾
119	1	الأنعام	﴿ خَلَقَ السموات و الْأَرْضِ ﴾
119	117	البقرة	﴿ بديع السموات والأرض ﴾
121	9- 11	فصلت	﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ ﴾
122	29	البقرة	﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾
122	27- 31	النازعات	﴿ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ ۚ بَنَاهَا *رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا *وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا * وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾
124	13	الجاثية	﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍلِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴾	نوح	19	125
﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا ۖ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾	الرعد	3	126
﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا ﴾	طه	53	126
﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾	ق	7	126
﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ*وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴾	الحجر	20	127
﴿ خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهارِ وَيُكَوِّرُ النَّهارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾	الزمر	5	128
﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَناكِبِها وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾	الملك	15	129
﴿ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴾	الذاريات	48	129
﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴾	النبأ	6	129
﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ﴾	طه	53	131

﴿ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾	الغاشية	20	132
﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴾	النازعات	30	133
﴿...وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾	الحج	6-5	137
﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۚ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾	فصلت	39	137
﴿ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴾	الطارق	12	139
﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾	الرعد	41	140
﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾	الأنبياء	44	140
﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ ﴾	الفتح	15	144
﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾	إبراهيم	48	144
﴿ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا * وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا * فَكَانَتْ هَبَاءً	الواقعة	6-4	144

﴿ مُّنبَثًّا ﴾			
﴿ إِذا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزالَها * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقالَها * وَقالَ الْإِنْسانُ مَا لَها * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبارَها * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحى لَها * يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتاتاً لِيُرَوْا أَعْمالَهُمْ ﴾	الزلزلة	6-1	146
﴿ أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾	الملك	16	148
﴿ فَإِذا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ واحِدَةٌ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبالُ فَدُكَّتا دَكَّةً واحِدَةً، فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْواقِعَةُ، وَانْشَقَّتِ السَّماءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ واهِيَةٌ ﴾	الحاقة	13-16	148
﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾	الفجر	21-22	149
﴿ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾	الانشقاق	3-5	151
﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ* وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ* وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾	الغاشية	17-20	156
﴿ ...وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ	لقمان	10	158

﴿ دَابَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾			
﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾	الحجر	19	160
﴿ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾	الأنبياء	31	161
﴿ أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ﴾	النمل	61	164
﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ ﴾	فصلت	10	165
﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاء فُرَاتًا ﴾	المرسلات	27	173
: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا* وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا * وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا *وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا * وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴾	النبأ	6-11	168
﴿ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴾	الحجر	82	169
﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴾	الشعراء	149	169
﴿ وَأَوْحى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبالِ بُيُوتًا وَمِنَ	النحل	68-	170

الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِها شَرابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ فِيهِ شِفاء لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾		69	
﴿ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾	هود	43	171
﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّوَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾	النحل	81	171
﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ ا لْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَوَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾	الأنبياء	79	172
﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيد ﴾	سبأ	10	172
﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن	الحج	18	173

			﴿ مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾
173	88	النمل	﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ۚ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ
176	27	فاطر	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ۚ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾
179	8- 10	المرسلات	﴿ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ * وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ* وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ
181	105 – 107	طه	﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴾
182	20	النبأ	﴿ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾
183	6-1	التكوير	﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَت * وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَت * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ * وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾
174	47	الكهف	﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾
186	143	الأعراف	﴿....فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾

﴿ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴾	الحاقة	14	186
﴿ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴾	القارعة	5-4	187
﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴾	المزمل	14	191
﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾	الأعراف	171	193

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع .

**** القرآن الكريم.**

***العهد القديم (التوراة) .**

1- ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن أبي محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني : الكامل في التاريخ . تحقيق عبد االله القاضي ، ط 2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1415هـ .

2- الأشقر ، عمر سليمان : القيامة الكبرى . ط4 ، دار النفائس ، عمان ، 1995 م .

3- الأصفهاني ، الراغب : مفردات ألفاظ القرآن . تح : صفوان عدنان داوودي ، ط2 ، دار القلم – دمشق ، الدار الشامية – بيروت ، 1997 م .

4- الآلوسي ، شهاب الدين : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. تح : علي عبد الباري عطية ، ط 1 ، دار الكتب العلمية – بيروت ، 1415 هـ .

5- إبراهيم ، زكريا : مشكلة البنية أو أضواء على " البنيوية " . دط ، دار مصر للطباعة ، دت .

6- إلياد ، مرسيا : مظاهر الأسطورة . ترجمة : نهاد خياطة ، ط 1، دار كنعان للدراسات والنشر ، دمشق ، 1991 م .

7- البستاني ، بطرس : دائرة المعارف : قاموس عام لكل فن ومطلب . مج 3 ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، د ت.

8- البلخي ، أبي زيد أحمد بن سهل : البدء والتاريخ . ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، 1997م.

9- توكاريف ، سيرغي : الأديان في تاريخ شعوب العالم . ط1 ، الأهالي للطباعة والنشر ، دمشق ، سورية ، 1989 م.

10- تاج الدين أبو المحاسن عبد الباقي بن عبد المجيد بن عبد الله :الترجمان عن غريب القرآن . تح ، موسى بن سلمان بن آل إبراهيم ، ط1 ، مكتبة البيان ، 1998 م .

11- الثعالبي ، أبو إسحاق : عرائس المجالس . تحقيق : محمد سيد ، ط1 ، دار الفجر للتراث – القاهرة ، 2001 م .

12- الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر : الحيوان ، حققه وشرحه عبد السلام هارون . ط3 ، المجمع العلمي العربي الإسلامي ، بيروت ، 1969م .

13- الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر : البيان والتبيين . دط ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، دار الجبل ، بيروت ، دت .

14- جرينبرج ، جاري : أسطورة توراتية : وكيف ابتدع الكتبة القدماء التاريخ التوراتي ترجمة : دينا السيد عبد الرؤوف إمام ، مراجعة : منير موسى ، ط1 ، دار العين للنشر ،2013م .

15- جلال ، ابراهيم : الأساطير الصينية وروائع الحواديت والحكايات الشعبية . ط1 ، دار طيبة للطباعة – جيزة ، 2009م.

16- الجميلي ، السيد : الإعجاز العلمي في القرآن . ط2، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر والتوزيع ودار الوسام للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ، 1992م .

17- الحباني ، الشيخ جمال الدين : شذور الابريز : من كتاب الله العزيز ، القسم الأول في ملخص أخبار العهد العتيق . طبع في أورشليم ، مطبعة الأرض المقدسة للآباء الفرنسيين ، 1911م.

18- حمامة ، حسني حمدان الدسوقي : الإعجاز . دط ، الصفا للطباعة والنشر بالمنصورة ، 1999 م .

19- حمد ، عبد الله خضر : مناهج النقد الأدبي السياقية والنسقية . ط1 ، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، 2017 م.

20- الحواري ، رائد محمد جميل : الحضارة الهلالية والتكوين التوراتي . ط1، دار الفارابي ، نابلس ،2001 م .

21- أبو حيان ، محمد بن يوسف : تفسير البحر المحيط . ط2 ، دار الفكر ، 1978م .

22- حيدر ، فريد عوض : أثر سياق الحال في الدرس الدلالي (تحليل وتطبيق). دط ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1998 م .

23- الخالدي ، صلاح عبد الفتاح : البيان في إعجاز القرآن . ط3 ، دار عمار للنشر والتوزيع ، 1992 م .

24- خان ، محمد عبد المعيد : الأساطير العربية قبل الإسلام . دط ، مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة ، القاهرة ، 1937 م

25- الخطيب ، محمد : الفكر الإغريقي . ط1 ، دار علاء الدين ، دمشق ، 1999م.

26- الخطيب ، محمد : الدين والأسطورة . ط 1، دار علاء للنشر ، دمشق ، 2004 م .

27- ابن خلدون ،عبد الرحمن بن محمد : مقدمة ابن خلدون . نشر الدكتور علي عبد الواحد وافي ، القاهرة ، 1960 م.

28- خليل ، أحمد خليل : مضمون الأسطورة في الفكر العربي . ط3 ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، 1986 م .

29- الدمشقي ، أبو الفداء الحافظ : البداية والنهاية . ط4 ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ج1 ، 1981م .

30- الدوادارى ، أبي بكر بن عبد الله بن أبيك : كنز الدرر وجامع الغرر : الدرة العليا في أخبار بدء الدنيا ، ج1 ، قسم الدراسات الإسلامية بالمعهد الألماني للآثار بالقاهرة ، تح ، بيرند راتكه ، القاهرة ، 1982م.

31- الديوب ، سمر : الثنائيات الضدية. بحث في المصطلح ودلالته . ط1 ، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية ، 2017 م .

32- الرازي ، فخر الدين : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب . ط1 ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت . لبنان ، 2005 م.

33- الرازي ، أبو محمد ، عبد الرحمن بن أبي حاتم ، تفسير القرآن العظيم . ط3 ، مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية ، تح ، أسعد محمد الطيب ، دت .

34- الراغب ، عبد السلام أحمد : وظيفة الصورة الفنية في القرآن . ط1 ، دار فصلت للدراسات والترجمة والنشر ، حلب ، 2001 م .

35- الراوي ، عبد الوهاب : معجزات القرآن العلمية في الأرض. ط1 ، دار العلوم للنشر والتوزيع ، 2009 م.

36- ربايعة ، موسى : الأسلوبية وتجلياتها . دط ، دار الكندي ، الكويت ، 2003م .

37- الرضي ، الشريف : تلخيص البيان في مجازات القرآن . تح : محمد عبد الغني حسن ، ط1 ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، 1955 م.

38- زكي ، أحمد كمال : الأساطير دراسة حضارية مقارنة . ط1 ، دار العودة – بيروت ، 1979م .

39- الزبيدي ، محمد مرتضى : تاج العروس من جواهر القاموس ، تح ، عبد الستار أحمد فراخ ، 24 جزءً ، ط1 ، دار مكتبة الحياة ، بيروت – لبنان ، 1888 م .

40- الزمخشري ، جاد الله محمود بن عمر : تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل . ط1 ، دار المعرفة ، بيروت ، 2002م .

41- الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل . ط3 ، دار الكتاب العربي – بيروت ، 1407 هـ .

42- الزمخشري ، أبي القاسم جار االله محمود بن عمر بن أحمد: أساس البلاغة . تحقيق محمد باسل عيون السود ، ط1، دار الكتب العلمية ،بيروت، لبنان، 1998م.

43- السامرائي ، فاضل صالح : دراسات بيانية في الأسلوب القرآني : التعبير القرآني . ط8 ، دار عمار . عمان ، 2012 م .

44- سحلول ، حسن مصطفى : نظريات القراءة والتأويل الأدبي وقضاياها . منشورات اتحاد الكتاب العرب ، 2001 م.

45- السد ، نور الدين : الأسلوبية وتحليل الخطاب . دط ، دار هومه ، الجزائر، ج 1، 1997 م .

46- أبو السعود ، صلاح : أساطير سومر وبابل ، ط1، دار طيبة للطباعة ، الجيزة ، 2009 م .

47- السعود ، محمد بن محمد العمادي : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم . دار إحياء التراث العربي – بيروت ، دت .

48- سليمان ، فتح الله أحمد: الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية . ط1، دار الآفاق العربية ، 2008 م .

49- السواح ، فراس : كنوز الأعماق (قراءة في ملحمة جلجامش) . ط 1 ، نيقوسيا ، قبرص ، سومر لدراسات والنشر والتوزيع ،1987 م .

50- السواح ، فراس : مغامرة العقل الأولى ، دراسة في الأسطورة ، ط11 ، دار علاء الدين ، دمشق ، 1978 م .

51- ابن سيدة ، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي : المخصص.تح ، خليل إبراهم جفال الناشر ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، 1996م .

52- السيوطي ، أبو الفضل ، جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر محمد الخضيري : الدر المنثور في تفسير المأثور ، حقق بإشراف ، دار الفكر، بيروت ، لبنان، 1983 م .

53- السيوطي ، جلال الدين : الإتقان في علوم القرآن . المكتبة الثقافية ، بيروت ، 1973م.

54- الشايب ، أحمد : الأسلوب – دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية. ط8 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1990م.

55- الشعراوي ، محمد متولي : معجزة القرآن . ط1، مكتبة دار التراث الإسلامي – القاهرة ، 1988 م.

56- الشهرستاني : الملل والنحل. دط ، جزءان ، تح ، محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، د ت .

57- الصابوني ، محمد علي : صفوة التفاسير : تفسير القرأن الكريم . ط1 ، دار الصابوني للطباعة و النشر والتوزيع – القاهرة ، 1997م.

58- صبري هاشم ، نائلة : المبصر لنور القرآن . ط1 ، مطبعة الرسالة المقدسية ، القدس ، بيت حنينا ،ج 30 ، 2003 م.

59- صدقة، جان مخايل رموز وطقوس ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت لبنان، 1994 م .

60- الطبري ، ابن جرير : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، 2001م .

61- الطبري ، أبو جعفر ، محمد بن الحسن بن علي : تاريخ الرسل والملوك . ط4 ، تح ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، مصر – القاهرة ، 1979 م .

62- الطرابلسي ، محمد الهادي : تحاليل أسلوبية . ط1 ، دار الجنوب للنشر ، تونس ، 1992 م.

63- ابن عاشور ، محمد الطاهر : التحرير والتنوير « تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد. الدار التونسية للنشر – تونس ، 1984 م .

64- ابن عباس ، عبد الله بن عباس بن عبد المطلب : تفسير ابن عباس . مطبعة محمد ، طبع كردية ، (ت 68 هـ / 687) م .

65- عبد الجليل ، عبد القاهر : الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية ، ط1 ، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، عمان ، 2002 م .

66- عبد الحكيم ، شوقي : موسوعة الفولكلور والأساطير العَرَبية. ط1 –دار العودة ، 1982م.

67- عبد المطلب ، محمد : البلاغة والأسلوبية . ط1 ، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان ، 1994م.

68- عبده ، محمد : تفسير القرآن الكريم (جزء عمّ) . ط3 ، مطبعة مصر ،1341هـ .

69- العبيدي ، خالد فائق : الأرض . ومضات اعجازية من القرآن والسنة النبوي ، دط ، دار الكتب العلمية ، دت .

70- عتيق ، عمر : دراسات أسلوبية في الشعر الأموي . ط1 ، دار جرير للنشر والتوزيع ، عمان ، 2012 م .

71- عتيق ، عمر : ظواهر أسلوبية في القرآن الكريم (التركيب والرسم والايقاع) ، ط1 ، عالم الكتب الحديث ، إربد – الأردن ، 2010 م .

72- عتيق ، عمر : علم البلاغة بين الأصالة والمعاصرة . ط1 ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، الأردن – عمان ، 2012م .

73- عجلال ، ابراهيم : الأساطير الصينية وروائع الحواديت والحكايات الشعبية . ط1. دار طيبة للطباعة – جيزة ، 2009م .

74- عجينة ، محمد : أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها . ط1 ، دار الفارابي – بيروت – لبنان ، 1994 م .

75- عدامة ، صلاح : حضارات عالمية . ط 1 ، فلسطين، جامعة القدس، مكتبة دار الفكر ،2003م .

76- أبو العدوس ، يوسف : الأسلوبية الرؤية والتطبيق . ط1 ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، 2007 م .

77- ابن عرفة : محمد : تفسير ابن عرفة . تحقيق : جلال الأسيوطي . ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، 2008 م .

78- عزام ، محمد: الأسلوبية منهجاً نقدياً . ط1 ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، 1989م .

79- عسكر ، قصي الشيخ : أساطير العرب قبل الإسلام وعلاقتها بالديانات القديمة ، ط 1، دار معد للطباعة و النشر والتوزيع ، 2007م .

80- عكاشة ، ثروت : الفن العراقي (سومر وبابل وآشور) . ط1 ، القاهرة ، المؤسسة العَرَبية للدراسات والنشر ، دت .

81- علي ، جواد : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام . ط2 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ،1976م .

82- علي ، فاضل عبد الواحد : سومر أسطورة وملحمة . دار الشؤون الثقافية العامة " أفاق عربية " ، بغداد ، 1997 م.

83- أبو الفداء ، عماد الدين : مختصر تفسير ابن كثير. ط1، دار البيان الحديثة ، القاهرة، 2003م.

84- فرانكفورت ، هنري وآخرون : ما قبل الفلسفة (الإنسان في مغامراته الفكرية الأولى) . تحقيق جبرا إبراهيم جبرا ، ط 2 ، المؤسسة العَرَبية للدراسات والنشر ،1980 م .

85- فريزر ، جيمس : الفولكلور في العهد القديم . ترجمة نبيلة إبراهيم ، دط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1974 م .

86- فضل ، صلاح علم الأسلوب – مبادئه وإجراءاته ، ط1 ، دار الشروق ، 1998 م .

87- فولكوف ، ألكسندر ميلنتيفيتش : الأرض والسماء. أحاديث ترفيهية في الجغرافيا والفلك ، ترجمة : أدهم السمان ، دمشق ، منشورات دار الثقافة والارشاد القومي ، 1968م.

88- قاشا ، سهيل : أثر الكتابات البابلية في المدونات التوراتية . ط1 ، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام ، بيروت/ لبنان ، 1996م.

89- القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن . ط2 . دار الكتب المصرية ، القاهرة ،1964 م .

90- القرطبي ، عبد الوهاب بن محمد : الموضح في التجويد. تحقيق غانم قدوري الحمد ، عمان ، ط6 ، دار عمار ،2000 م .

91- قطب ، سيد : التصوير الفني في القرآن الكريم . ط4 ، دار الشروق ، 1978م .

92- قطب ، سيد : في ظلال القرآن . ط9 ، بيروت : دار الشروق ، 1980م .

93- قطرب ، أبو علي محمد بن المستنير : الأزمنة وتلبية الجاهِلِيَّة. تح ، حاتم الضامن ، ط2 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،1985م .

94- كامبل ، جوزيف : قوة الأسطورة . تر : حسن صقر وميساء صقر، ط1، دار الكلمة للنشر والتوزيع ، سوريا / دمشق ، 1999 م .

95- ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي المتوفى 774 هـ : تفسير ابن كثير . تح ، محمد حسين شمس الدين ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1987 م.

96- ابن كثير ، عماد الدين الدمشقي : مختصر تفسير ابن كثير . اختصار وتحقيق : محمد علي الصابوني ، دار التراث العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1987م.

97- كريمر ، صموئيل نوح : أساطير العالم القديم ، ترجمة أحمد عبد الحميد يوسف ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1973م.

98- كنعان ، جورجي : مفهوم الألوهة في الذهن العربي القديم . ط2 ، بيسان للنشر والتوزيع بيروت ، 1996 م .

99- كوهن ، جان : بنية اللغة الشعرية . ط1 ، تر: محمد الولي ومحمد العمري ، دار توبقال للنشر ، المغرب ، 1986م.

100- الكيلاني ، شمس الدين : العود الأبدي إلى الوعي التاريخي . ط1 ، دار الكنوز الأدبية ، لبنان/ بيروت ، 1998م .

101- الماجدي ، خزعل ، الدين السومري . ط1 ، دار الشروق ، عمان ، الأردن ، 1998م.

102- ماضي ، شكري عزيز : في نظرية الأدب . ط1 ، دار الفارس للنشر والتوزيع ، عمان ، 2005 م .

103- المحلي ، جلال الدين محمد بن أحمد : تفسير الجلالين . تقديم ومراجعة : مروان سوار ، دار المعرفة : بيروت – لبنان ، 1983م .

104- مدكور ، إبراهيم ، المعجم العربي ، المنظمة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ، مصر ، 1989 م .

105- المراغي ، أحمد مصطفى : تفسير المراغي . ط1 ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده ، القاهرة ، 1946م .

106- المسعودي ، أبو الحسن ، علي بن الحسين بن علي : أخبار الزمان ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، 1996 م .

107- المسعودي ، أبو الحسن علي ابن الحسين بن علي : مروج الذهب ومعادن الجوهر. ، ط1 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت– لبنان ، مج1 ، 1982م–1402 –هـ .

108- مصطفى ، فائق وعلي ، عبد الرضا : في النقد الأدبي الحديث منطلقات وتطبيقات. ط1 ، وزارة التعليم العالي ، الموصل ،1989 م.

109- مظهر، سليمان: قصة الديانات ، ط1 ، مكتبة مدبولي ، مصر–القاهرة–، 2003 م .

110- معدي ، الحسيني الحسيني : الأساطير السومرية . ط1، كنوز للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2012م.

111- المقدسي ، المطهر بن طاهر :البدء والتاريخ . تح ، بروكلمان هوار ، ط1 ، مكتبة المثنى ، العراق – بغداد ، 1965م .

112- الملحم ، إسماعيل : التجربة الإبداعية دراسة في سيكولوجية الاتصال والإبداع . منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2003م.

113- ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم : لسان العرب . ط6 ، دار المعارف ، بيروت ، 1997 م .

114- أبو موسى ، محمد محمد : خصائص التركيب : دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني . ط4 ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م .

115- النابلسي ، محمد راتب : موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة . دار المكتبي – سورية. 2005 م .

116- ناصر ، عبد الهادي : نظرات في الكون والفرآن . ط1 ، مدارسة عقلية إيمانية ، المكتبة الأكاديمية ، 1995 م .

117- النبي ، منصور محمد حسب : الرواسي الشامخات والماء الفرات . سلسلة 3 ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 2010 م .

118- النجار ، زغلول : الفكرة الجيولوجية عن الجبال في القرآن . هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، إصدارات رابطة العالم الإسلامي ، مكة ، 1992م.

119- النجار ، زغلول راغب محمد : من آيات الإعجاز العلمي : الأرض في القرآن الكريم . دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت ، لبنان ، 2005 م.

120- النجار ، زغلول راغب محمد : من آيات الإعجاز العلمي : السماء في القرآن الكريم . ط1 ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت : لبنان ، 2004م.

121- النجار ، زغلول راغب : من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم : المفهوم العلمي للجبال في القرآن الكريم . ط1 مكتبة الشروق الدولية ، – القاهرة ج 3 ، 2002 م .

122- النعيمي ، أحمد اسماعيل : الأسطورة في الشِّعْر العَرَبي قبل الإسلام . ط 1 ، القاهرة ، سينا للنشر ، 1995م .

123- نهر ، هادي : علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي. ط1 ، تقديم : علي الحمد ، دار الأمل ، الأردن ، 2007 م.

124- الهاشم ، رانيا : موسوعة قصة وتاريخ الحضارات العربية . ط1 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت– لبنان ، 1999م.

125- الهمذاني : الحسن بن أحمد : صفة جزيرة العَرَب. تح : محمد بن علي الأكوع الحوالي . ط1 ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، 1990م .

126- ابن يحيى ، محمد : محاضرات في الأسلوبية . ط1 ، مطبعة مزوار ، الوادي – الجزائر ، 2012 م .

الرسائل الجامعية

1- حنيفة ، بداش : الأسلوبية الوظيفية وموقعها من كتاب البيان في روائع القرآن لتمام حسان . رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي . إشراف : دوب رابح ، جامعة منتوري ، الجزائر ، قسنطينة 2008 م.

2- الخرشة ، أحمد غالب النوري : أسلوبية الانزياح في النص القرآني ، رسالة دكتوراه في النقد والبلاغة ، إشراف زهير المنصور ، جامعة مؤتة ، 2008 م .

3- عبد الجواد ، إبراهيم عبد الله : الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث (رسالة دكتوراة) . إشراف إبراهيم السعافين ، الجامعة الأردنية ، 1994م.

4- علي عبد الله خضر ، نوال : صورة السماء والأرض في القرآن الكريم (دراسة بلاغية) . رسالة ماجستير: إشراف خليل عودة ، 2011 م.

المجلات والدوريات

1- ربايعة ، موسى : الأسلوبية : الاتصال والتأثير . علامات في النقد ج 27 ، مج7، 1998 م. 2- عبد الرحمن ، إبراهيم : التفسير الأسطوري للشعر الجاهلي ، مجلة فصول ، مجلد 1 ، العدد الثالث ، ابريل- جمادى الآخرة ،1981م.

2-عتيق ، عمر : الأسلوبية الصوتية في الفواصل القرآنية . مجلة المنارة ، جامعة آل البيت ، م ١٦ ، ع ٣ ، 2014م .

3- عتيق ، عمر : لمسات من الإعجاز اللغوي في القرآن. المجلة الأردنية الإسلامية ، ع3 ،2015 م .

4- نعامنة ، محمود : من الإينوما إيليش إلى ملحمة جلجامش – أساطير من بلاد الرافدين (السومرية والبابلية) ، تفاصيل جديدة أهملها الميثولوجيون . مجلة المجمع ، كلية القاسمي ، باقة الغربية ، ع8 ،2014 م .

المواقع الإلكترونية

1. الشعراوي ، محمد متولي : تفسير خواطر الشعراوي .

http://www.alro7.net/ayaq.ph

2. القمني ، سيد محمود ، مدخل إلى فهم الميثيولوجيا التوراتية ، دراسة منشورة بموقع منتدى اللادينيين العرب .

3. **الكحيل** ، عبد الدائم : **الفتق الكوني حقائق جديدة**

http://kaheel7.com/pdetails.php?.

4. الكحيل ، عبد الدائم : موسوعة الكحيل للإعجاز العلمي .

http://www.kaheel7.com/ar/index.php/2010

5. انظر : المقدسي ، عبد الإله المقدسي : ملتقى أهل الحديث ،منتدى القرآن الكريم وعلومه

.https://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=295487.

فهرس المحتويات

	• العنوان	الصفحة
	• الإقرار	أ
	• قرار لجنة المناقشة	ب
	• التفويض	ج
	• الإهداء	د
	• الشكر والتقدير	هـ
	• الملخص	و
	• الملخص باللغة الانجليزية	ح
	• المقدمة	1
	• التمهيد	6
الفصل الأول: صورة السماء والأرض والجبال في المعتقدات والثقافات الانسانية		

	• مدخل	31
	• المبحث الأول : السماء في الفكر الأسطوري .	36
	• صورة السماء في الفكر الأسطوري.	37
	• صورة الأرض في الفكر الأسطوري.	51
	• صورة الجبال في الفكر الأسطوري.	53
المبحث الثاني : صورة السماء في التوراة.		
	• مدخل.	58
	• صورة السماء في التوراة .	63
	• صورة الأرض في التوراة.	65
	• صورة الجبال في التوراة .	67

الفصل الثاني : صورة السماء في القرآن الكريم.

	• مدخل .	71
	• المبحث الأول : البناء والاحكام .	76
	• رتق السماء وفتقها .	76
	• خلق السماء في العلم الحديث .	78
	• السماء الدخان .	80
	• بناء السماء .	82
	• بناء السماء في العلم الحديث .	82
	• السقف المحفوظ .	85
	• السماء سقف مرفوع .	86
	• رفع السماء .	87
	• طرائق السماء .	88
	• السماوات الطباق .	89
	• السماء الحبك .	91
	• تزيين السماء .	93

	• التزيين بالكواكب .	96
	• التزيين بالمصابيح .	100
	المبحث الثاني : الهدم والانشقاق	
	• انشقاق السماء	103
	• فروج السماء .	106
	• انفطار السماء .	107
	• مور السماء.	108
	• فتح السماء.	109
	• كشط السماء.	110
	• طي السماء.	111
	الفصل الثالث : صورة الارض في القرآن الكريم	
	• مدخل	115
	• المبحث الأول : استقرار الأرض وثباتها .	119
	• تسخير الأرض .	124

	• بسط الأرض.	125
	• مد الأرض.	126
	• فرش الأرض.	129
	• الأرض المهاد .	131
	• سطح الأرض.	132
	• دحو الأرض.	133
	• همود الأرض وخشوعها .	137
	• تصدع الأرض.	139
	• نقصان الأرض من أطرافها .	140
	المبحث الثاني : تغير معالم الأرض في مشاهد يوم القيامة .	143
	• تبدل الأرض .	143
	• رج الأرض.	144
	• زلزلة الأرض.	145
	• دك الأرض.	148

	• مد الأرض يوم القيامة .	151
الفصل الرابع : صورة الجبال في القرآن الكريم		
	• مدخل	154
	• المبحث الأول : ثبوت الجبال ورسوخها .	156
	• ثبوت الجبال بالأوتاد .	165
	• الاستقرار والسكن في الجبال .	169
	• تسبيح الجبال وخشوعها .	172
	• حركة الجبال .	173
	• صفات الجبال وألواتها .	176
	• المبحث الثاني : نسف الجبال.	178
	• الجبال السراب .	82
	• تسيير الجبال.	184
	• دك الجبال .	186
	• نفش الجبال .	187

	• بس الجبال .	190
	• الجبال الكثيب المهيل .	191
	• نتق الجبال .	193
	• الخاتمة .	196
	• النتائج .	196
	• التوصيات .	197
	• مسرد الآيات .	199
	• المصادر والمراجع .	211
	• فهرس المحتويات .	228